صالح بن أحمد الصوافي

# الإمام
# جابر بن زيد العماني
# وآثاره
# في الدعوة



ماجستير
في الدعوة والثقافة الاسلامية
جامعة الأزهر
١٤٠١هـ / ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ورشده وبعد ،

فما أكثر فى تاريخ الاسلام ـ الشخصيات التى يمكن للشباب المسلم أن يجد منهم القدوة الصالحة فى الدعوة والعمل وفى الاسلوب والسياسة وفى الصبر والصمود فكم نجد اذا قلبنا صفحات التاريخ من رجال أفذاذ يكاد كل فرد منهم امة فى العلم والتقوى والجهد والانتاج ومواجهة الدهر بقلب يكاد يكون أوسع من الدهر لماوسعه من الايمان والصبر ولماوقرفيه من حكمة وخبرة وما اجدر هذه الشخصيات بدراسة جوانبها التاريخية والدينية والثقافية لتعود الى المسلمين ثقتهم بماضيهم المشـــرق واعزازهم بمجدهم التليد ٠

وفى هذه الرسالة التى نقدمها بين يدى القارىء الكريم دراسة عن أحدى هذه الشخصيات التى عرفها الدهر وخلدها التاريخ تلك هى شخصية الامام التابعى الكبير أبى الشعثاء جابر بن زيد اليحمدى الازدى العمانى البصرى الذى كان مثالا فى علمه وعمله وفى زهده وورعه وفى جهاده وتضحياته وفى دعوته ونشاطه كما فيها دراسة قيمة عن المذهب الاباضى القويم الذى يعتبر الامام ابو الشعثاء رضى الله عنه على رأس علماءه العاملين الذين حملوا لوآء دعوة الحق والاستقامة فى ادق الظروف واحرجها وبلوروا مبادىء الاسلام الناصعة البيضاء فى مناهجهم السياسية اذ كانت تجسيدا لعدالة الاسلام الحقه ٠

هذا وانى لاذكر بكل شكر وتقدير الاخ العزيز الشيخ صالح بن أحمد الصوافى الذى اختار هذا الموضوع ليكون محور بحثه فى رسالته التى قدمها الى جامعة الازهر الشريف لنيل الماجستير راجيا من الشباب المثقف أن يحذ وحذوه فى التنقيب عن مثل هذه الكنوز الثمينة وعرضها للمستفيدين والله ولى التوفيق وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ٠

**أحمد بن حمد الخليلى**

المفتى العام للسلطنة

فى مسقط : ١٣ ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد أفضل من دعا الى الله رب العالمين ومسك الختام للنبيين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ،

فلماذا الاباضية ؟

ولماذا جابر بن زيد ؟

ولماذا اخترت هذا الموضوع ليكون رسالتي لنيل درجة الماجستير ؟

الحق انني وضعت هذه الاسئلة الثلاثة بين يدى لأختار الموضوع ووضعتها بين يدى وأنا أدرس وأناقش المعلومات وأبوبها ووضعتها بين يدى لأكتب هذا البيان فى هذه الدراسة ٠

ان الذى حدا بى الى هذا البحث عدة أمور أجملها في هذه السطور ٠٠٠

أول هذه الامور ٠٠ ضرورة التعريف بهذا المذهب الذى يلتزم به ملايين من المسلمين في المشرق وفي المغرب ، فى القديم وفى الحديث ، هذا المذهب الذى غمض وخفيت ملامحه حتى عن كثير من مؤرخى الفكر الاسلامى ، ودارسى المذاهب والفرق ٠٠ فاعتبروه جهلا أو تجاهلا ـ مذهبا خارجيا ٠٠٠ وظنوه عن حسن قصد أو سوء قصد منهجا من مناهج الخوارج ٠

ان التعريف ( بالاباضية ) يعتبر حتمية فكرية ٠٠٠ يؤكدها الواقع الاسلامى ، ويدعو اليها ضمير هذه الامة ومصيرها ٠٠٠٠

ويكون هذا التعريف آكد ، والحاجة اليه أشد ، اذ كان مجاله ( أروقة ) البحث العلمى فى الأزهر ، حرسه الله معقلا للاسلام ، وموئلا لثقافته وقلعة مضيئة يهتدى بها ٠

وثانى هذه الأمور ٠٠ نبذ الخصومات بين الموحدين ٠٠٠ تلك الخصومات التى أثارها وحرض عليها ٠٠ الجهل وقلة المعرفة ٠٠ فالناس أعداء ما جهلو كما قالوا قديما ٠٠ وكما يصح أن يقولوه فى الحديث أيضا ٠

ان ( الجهل بالاباضية ) وبطبيعتها الفكرية جعل كثيرا من المسلمين ينظرون اليها نظرة مُتشككة مرتابة ٠٠٠ ويتهمونها اتهامات ظالمة سـواء أكان فى مجال العقيدة أم فى مجال الفقه/أم فى مجال السياسة ، هى منها براء ٠

وثالث هذه الأمور : أن أمتنا المسلمة ، التى فرقتها الأهواء والبدع فى حاجة الى أن تراجع ماضيها وحاضرها لتخطط لمستقبلها بأسلوب علمي سليم مستقيم ٠

ان هذه الأمة الواحدة ٠٠ ذات الكيان الواحد ٠٠ والرسول الواحد والقبلة الواحدة ٠٠ والعقيدة الواحدة ٠٠ والشريعة الواحدة ٠٠ والكتاب الواحد ٠٠ هى الأمة التى تعبد ربا واحدا لاشريك له ٠٠ عليها أن تتحد ٠٠ وعليها أن تؤمن أنه لا توحيد بدون اتحاد ٠٠ اذ أن هذه الأمة خوطبت بكلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة ٠٠

انه من الضرورى والحتمي ، أن يتحد الموحدون حتى يحققوا النصـــر فى معركتهم الحضارية ٠

ان الكيانات الصغيرة ٠٠ تتلاشى فى خضم الصراع العالمى وتذوب ، وان ( الكيانات الكبيرة ) وحدها هى التى تصمد وتقاوم ٠

والأمة الاسلامية مدعوة الى أن تتماسك فى كيان كبير قادر على مواجهـــة التحديات ٠٠ كل التحديات دينية أو ثقافية أو حضارية ٠٠

ولا شك أن أعظم الكيانات على الاطلاق ٠٠ هو كيان الأمة الاسلامية ٠٠ الذى يمتد شرقا وغربا ٠٠ حتى يحتضن ( الكرة الارضية ) ويستوعب مواردها الاصيلة ٠٠ وطاقاتها الدافقة من الاشياء والاحياء ٠

ويأتى هذا البحث فى أوانه ٠٠ ليتحدث عن هذه الأمور وغيرها ٠٠٠

وليصحح من الأخطاء التى شاعت وذاعت بين الناس ٠٠ عن هذا المذهب الذى يعتبر جزءا حيا نابضا من الكيان الثقافى الاسلامى ٠٠٠

٠٠ ويأتى هذا البحث فى أوانه ٠٠ مطالبا بضرورة ازاحة السدود والحواجز من مجرى الفكر الاسلامى ٠٠٠ حتى يهدر النبع الصافى الثجاج ليروى الظمأ ، وليبعث الحيوية الدافقة فى عقول البشر ، الذين يعيشـون السنوات الأخـيرة من القـرن العشـــرين ٠

وكم أتمنى أن يقدر هذا البحث ليقـول كلماته فى صراحة ووضـوح وبـلا مواربة ٠٠٠

كم أتمنى ٠٠ 

ولكن ٠٠ ما كل يتمنى المرء يدركه ٠٠

فستكون في هذا البحث هنات ، أدعو الله أن تكون هينات ، وربما كانت فيه سقطات وعثرات ٠٠ أقال الله عثراتنا ، وسدد خطواتنا ٠٠

وما أحسن ما قاله الاصفهاني ٠٠ رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا الا قال في يومه لو غير هذا لكان أحسن ، ولو قدم هذا لكان يستحسن ولو زيد هذا لكان أفضل ، وهذا من أعظم العبر على نقص البشر ٠٠٠

ولكن هذا البحث ـ برغم ما فيه ، وما قد يلاحظ عليه ، هو محاولة مخلصة لخدمة الثقافة الاسلامية ، ولازالة بعض العراقيل القديمة من طريق الوحدة الاسلامية التى باركها الله ويتمناها الناس ٠

وبعد ٠٠ فللمرة الثانية :

فان هذا الموضوع الذى بحثت فيه هذه الدراسة وأراد الله له ان كان سلما لنيل درجة ( الماجستير ) في الدعوة الاسلامية والثقافة من جامعة الأزهر ٠٠ والذى أطلقت عليه ( جابر بن زيد الأزدى التابعى العمانى ـ وآثاره فى الدعوة ) ينقسم الى : ـ

( أ ) ( فصل تمهيدى ) عن عمان ومكانتها فى الاسلام ) ٠٠ وهو أمر ينبغى التنبيه اليه والتنبه عليه ذلك أن لعمان مكانها ومكانتها فى الجهاد والنضال والفتح الاسلامي العظيم ، والوقوف ضد أعداء الاسلام في القديم وفي الحديث ٠٠ ولقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم عليها بقوله : ( ليكثرن وراد حوضي من أهل عمان ) ذكره أبو يعقوب فى لواحق المسند فى روايات الامام الربيع بن حبيب رحمه الله ٠

وعن جابر ابن عمر سمعت أبا برزة : يقول بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حي من أحياء العرب فسبوه وضربوه ، فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو أن أهل عمان أتيت ماسبوك ولا ضربوك ٠ رواه مسلم في صحيحه في باب ( فضل أهل عمان ) ٠

الى غير ذلك من النصوص الكريمة المنقولة نقلا موثوقا به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن صحابته ، وعن التابعين لهم باحسان ٠

ولقد قسمت هذا الفصل التمهيدى الى مباحث ثلاثـــة : ـ

١ ـ عمان من حيث الموقع والطبيعة ٠

٢ ـ عمان فى فجر الاسـلام ٠

٣ ـ عمان ومكانتها العلمية والأدبية ٠

وفي هذا المبحث الأخير قدمت لبعض النماذج لعلماء عمـــــان من القدامى والمحدثين في مجالات اللغة والفقه والأدب والتاريخ ٠٠ وما اليها من فنون المعقول والمنقول ٠٠ لتتضح أمام الدارس خصوبة البيئة العقلية والدينية التى نشأ فيها جابر بن زيد رضى الله عنه ٠

(ب) الباب الأول : تناولت فيه الحديث عن الامام جابر بن زيد من حيث نشأته وحياته وثقافته ٠٠

ويتكون هذا الباب من فصول ثلاثة : ـ

الفصل الأول : نشأة جابر بن زيد ٠

الفصل الثاني: شيوخـــه وتعليمــــه ٠

الفصل الثالث: حياته العملية ، وآثاره العلمية ٠

وهذا الباب بفصوله الثلاثة ، يعتبر الأساس والركيزة التى تدور حولـــــه الدراســـــة ٠

ولقد عانيت الكثير خلال جمع الوثائق الخاصة بهذا الباب وتحقيقها ٠٠ اذ ان المراجع التى تهتم بجابر وبجهوده وبجهاده نادرة ٠٠٠

لقد اعتمدت على ماكتبه جابر ومانقله عنه تلاميذه ٠٠ لا على ما كتب عنه ٠٠

فما كتبه وما نقل عنه كثير ٠٠٠ أما ما كتب عنه في كتب التراجم والسـير فهو قليل بل دون القليل ٠

(ج) الباب الثانى : وعنوانه : جابر بن زيد والمذهب الاباضى ٠٠٠ وقد تناولت فيه ظروف نشأة المذهب ، وتطوره ، وانتشاره ، وقد قسمته أيضا على فصـــول ثلاثـــة :

**أولها : مقدمات تاريخية ٠**

**ثانيها : دور جابر بن زيد كزعيم حقيقي للمذهب الاباضي ٠**

**ثالثها : اتباع جابر بن زيد وانتشار المذهب الاباضي ٠**

وهذا الباب بفصوله هذه ٠٠ قد تناول الجانب الحركي التجمعي في حياة جابر وفكره ٠٠ أو بعبارة أخرى كيف تحول فكر جابر الى واقع عملي حركي فحملـه رجال أبطال ٠٠ ونقلوه في طول البلاد وعرضها ٠

٠٠ تلك هي نقطة البدء في نشأة المذهب الاباضي ؛وتلك هى نقطة البدء فى المسيرة الجادة التى قطعها رجال ذلك المذهب نحو أربعة عشر قرنا من الزمان ، فى رحلة رشيدة وفى نفس الوقت مثيرة ٠٠٠ تبعث بالتقدير والاعجاب ٠

( د ) الباب الثالث والأخير : وعنوانه : أصول المذهب الاباضى وفيه تناولت بعض الأصول الهامة فى المذهب ودراسته لبعض القضايا التى انفرد فيها بآراء خاصة ٠٠ وينقسم هذا الباب الى فصول أربعة هى :

الفصل الأول : نظرة عامة على أصول المذهب الاباضي ٠

الفصل الثاني : الفرق بين الاباضية والخوارج ٠

الفصل الثالث : الاباضية والقضايا السياسية ٠

الفصل الرابع : الاباضية والعقيدة الاسلامية ٠

ولقد كان هذا الباب ( بحق ) هو محور الدراسة وهدفها ، اذ أننى قمت بتصحيح بعض الأخطاء الشائعة عن ذلك المذهب ٠٠

وهي أغاليط ليست بشائعة على ألسنة العامة فقط ولكنها قد تورط فيها كثير من المثقفين والمؤلفين وكتاب الموسوعات وكتب العقائد في القديم والحديث ٠

ان العمل الأول الذى ينبغي أن تهتم به الدراسات العلمية الجادة هو تصحيح الأخطاء واضافة الجديد ٠٠ ولا شك أن تصحيح ذلك أولى وأهم من اضافة الجديد ٠٠ وان كان الامران مهمين للباحث العلمي الذى يريد أن يخدم الحق والحقيقة ٠

وقبل أن أرفع القلم عن هذه المقدمة ... ( أتوقف ، لأعرف ... بالجهد الكبير المشكور الذى بذله شيخي العلامة الجليل الاستاذ الدكتور صالح شرف عضو هيئة كبار العلماء وعضو مجلس جامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية الشقيقة والمشرف على هذه ( الرسالة ) .

فلقد كان لسماحته من المتابعة الصادقة والارشاد المخلص والتوجيه الحسن ما مكنني .. من اخراج هذا البحث الذى أدعو الله أن يكون مسددا ... وأن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم وأن يثيبنا عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون الامن أتى الله بقلب سليم .

صالح بن أحمد الصوافي
٢١/١٠/١٤٠١ هـ
٢١/٨/١٩٨١ م

**بسم الله الرحمن الرحيم**

# فصل تمهيدى

## عمــان ومكانتهــا فى الاســلام

**موضوع هذه الرسالة ـ كما أوضحنا ـ هو « الامام جابر بن زيد الأزدى ، التابعى العمانى » وآثاره فى الدعوة ٠**

وعلى ذلك ، فللموضوع جانبان :

**ـ الجانب الأول هو سيرة الشيخ وعصره ، بما يستتبع ذلك من دراسة لبيئته ، ونشأته ، وما تقلب فيه من أحوال ، ومن تتلمذ عليه من مشايخ ، تلقى عنهم العلم ، واستنار بهديهم ٠٠**

**ـ أما الجانب الثانى فيتصل بدراسة ما كان للشيخ من آثارفى الدعــــوة الاسلامية ، تمثلت فيما أنشأ من مؤلفات ، وفيما بذل من جهود فيما كان يسود عصره من صراعات ، كان للشيخ منها موقف ، وله فيها آراء ، كما تمثلت فيما أرسى من أسس قام عليها مذهبه الذى عرف فيما بعد بأنه « المذهب الأباضى » وتمثلت أخيرا فيمن ربى من تلاميذ ، ونشأ من دعاة ، وخلف من فقه ، وفكر ٠٠**

والشيخ عمانى الأصل ، ولد ونشأ فى عمان ، ثم آمن بدعوة الاسلام ، ورحل ـ وهو شاب يافع ـ الى البصرة ثم الى الحجاز ، فى طلب العلم والهداية ٠٠ وقــد تتلمذ على كثيرين من الصحابة الأول ، فارتوى من فيض معارفهم ، وأصبح من كبار التابعين الأوائل ، وله مكانته المرموقة فى علمى التفسير والحديث وسائر علوم الدين الاسلامى الحنيف ٠٠ كما أن دعوته التى قام بها ، وكتب لها أن تجد أنصارا ودعاة فى مختلف بقاع الأمة الاسلامية : فى البصرة ٠وحضرموت ٠ واليمن ٠وخراسان ٠وعمان ثم فى شمال أفريقيا ، هذه الدعوة ـ التى هو قائدها توجب علينا أن نعرض بشىء من التفصيل لنشأة الشيخ ٠٠ فلم تكن عمان هى البلد التى نشأ فيها الشيخ وتربى فقط ولكنها كانت فضلا عن ذلك ـ التربة الصالحة التى تلقت دعوته ـ وهى دعــــوة الحق لأنها تقــوم على الكتاب والســنة دون زيف أو غلــو ـ تلقتها عمان بمــا

هى جديرة به من ايمان ويقين ، فذادت عنها ، وثبتت أركانها ، ودعمتها بما جلى حقائقـــها ٠

ولذلك فاننا نجد من المحتم علينا ، وحتى يمكن لنا أن نمضى على هدى وبصيرة أن نمهد بدراسة موجزة عن عمان ـ حيث كان منشأ الشيخ وحماه ، وحيث وجدت دعوته القلوب الواعية التى هداها الله للحق ، وهدى الحق بها ٠٠

**خطـــة الدراســـة :**

وعلى ذلك فاننا نفرد هذا الفصل التمهيدى لاعطاء لمحة سريعة عن عمـــان ، ـ ومكانتها فى الاسلام ٠٠

ومثل هذه الدراسة تقتضى منا أن نلم ـ ولو على عجل بما لعمان من موقع وطبيعة وتاريخ ومكانة ٠ وعلى ذلك فسوف ينقسم هذا الفصل الى مباحث ثلاثة :

المبحث الأول : عمان من حيث الموقع والطبيعة ٠

المبحث الثانى : عمان فى فجر الاسلام ٠

المبحث الثالث : عمان ومكانتها العلمية والادبية ٠

## المبحث الأول

## عمان من حيث الموقع والطبيعة

**الموقـــــع :**

عمان اسم لذلك الجزء من شبه الجزيرة العربية الذى يقع فى أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية ، وهى تمتد بين خطى عرض ١٦ر٤٠ ، ٢٦ر٢٠ شمالا ـ وبين خطى طول ٥١ر٥٠ ، ٥٩٤٠ جنوبا ، فوق مساحة شاسعة من الأرض تصل الى ٣١٢ ألف كيلومتر مربع من الأراضى الجبلية الوعرة التى تتخللها الأودية والبقاع الخضراء ، والتى يشكل جزء كبير منها مناطق صالحة للزراعة ٠ (١)

وقبل أن نتناول بشىء من التفصيل طبيعة أرض عمان ، ووضع السكان بها ،

---

(١) عمان فى عشر سنوات ٠ ص ٨ نشرة لوزارة الاعلام العمانية عام ١٩٨٠ م ٠
الجغرافية ـ سلسلة الدراسات الاجتماعية ص ١٠ ـ وزارة التربية والتعليم ـ سلطنة عمان ٠

نجد من الأهمية بمكان أن نشيرالى ماذكره ابن خلدون عنها ٠٠ فقد ذكر أن « عمان هى من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن ، والحجاز ، والشحر ، وحضرموت ، وعمان ٠٠ وهى اقليم سلطانى منفرد على بحر الخليج من غربيه مسافة شهـــر ، شرقيها بحر فارس ، وجنوبيها بحر الهند ، وغربيها بلاد البحرين ، كثيرة النخــل والفواكه ، وبها مغاص اللؤلؤ » ٠ (١)

وعلى ذلك فعمان تحتل بحكم موقعها مكانة ممتازة ، ومنذ أن ظهرت الحضارات الانسانية ، وعمان تعتبر مكان التقائها ، وتمازجها ، لأنها تربط بين مناطق الشرق الأقصى وأفريقيا والهند من ناحية ، وبين المنطقة العربية وأوربا ودول الغرب من ناحية أخرى ٠ ومن هنا فان طرقها التجارية بين الشرق والغرب ، وبين أفريقيـــا والهند قامت منذ عصور متناهية فى القدم ، ولم تزد بمرور الأيام الا أهمية ٠ واذ تشرف عمان على شمال المحيط الهندى وعلى مدخل الخليج ، وعلى بحر العـــرب ، فانها بذلك تحتل مكانا كان له على الدوام أهميته المتزايدة من النواحى الاقتصادية وذات الأهمية (٢) ٠

**التضاريس :**

أشرنا الى تميز طبيعة تضاريس عمان بالأراضى الجبلية الوعرة التى تتخللها الأودية والبقاع الخضراء ٠٠ وتمتد الجبال الموازية للمنطقة الساحلية من رأس الحد جنوب مسقط ( العاصمة ) لجهة الشمال لتلتقى مع السلاسل الجبلية الممتدة من رأس مسندم ، فتكون هناك رؤوس الجبال ، وتنحدر سلسلة أخرى من الشمال حتى تلتقى مع منطقة الجبل الأخضر التى تشكل أعلى ارتفاع فى جبال عمان حيث تبلغ عشرة آلاف قدم ، تكسوها الخضرة ، وتكثربها الثمار ٠

والى الشرق من سلاسل الجبال الممتدة من أقصى الشمال يقع سهل الباطنة الساحلى الخصب ، ويمتد فى مساحة تتراوح ما بين ٥٠ و ١٥٠ كيلومترا ما بين البحر والجبال على امتداد المسافة الى أقصى الشمال ٠

---

(١) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان الجزء الاول ص (٦) ببعض تصرف ٠

(٢) عمان فى عشر سنوات ٠ ص ٨ بتصرف ٠

ومن أشهر الجبال فى عمان الجبل الأخضر الذى يشكل المنطقة العليا من سلسلة هى بمثابة العمود الفقرى لجبال عمان ، وقد اشتهر بهذا الاسم نسبة للمنطقة المحيطة به ، اذ أنها منطقة قد كستها الطبيعة بخضرة جميلة ، فضلا عن أن بعض صخوره ذات لون أخضر بالفعل وقد أشار صاحب « تحفة الأعيان » الى ما لهذا الجبل من طبيعة متميزة ، فقال « وفى عمان الجبل الأخضر ويقال له رضوى (١) وهو من عجائب الدنيا مملوء بالفواكه من الرمان والعنب والجوز ... وغيرها من أشجار الجبل ، وفيه من الرياحين كالورد والزعفران والآس والنرجس وغيرها ، وسئل بعض أهله عن وصفه فقال : هو جبل عظيم الارتفاع ، صعب الامتناع ، فى وسط عمان ، أهله فى رفاهة وأمان لا يخافون جور شيطان ، ولا سطوة سلطان ، ذو نهور وقصور ، وحياض ورياض ... » (٢) .

وهناك سلسلة حجر التى تمتد مسافة أربعمائة ميل من رأس مسندم الى رأس الحد فى شكل قوس عظيم يتجه من الشمال الشرقى للبلاد الى جنوبها الغربى ، أما المنطقة التى تقع فى خليج عمان ـ وتعرف بالباطنة ـ فهى شواطىء ساحلية شكلتها رواسب الوديان المحيطة من الجبال ، وهى احدى المناطق التى يزرع بها النخيل والليمون وكثير من الفواكه المتعددة (٣) .

أما المنطقة التى تقع الى القرب من المرتفعات « الظاهرة » فهى سهول تكونت من طمى الوديان ، وتعتمد الجهات السكانية فيها على مياه المنطقة فى شبكة من القنوات تسمى « الافلاج » (٤) .

وهكذا تتنوع التضاريس من أرض جبلية وعره ، الى سهول صحراوية الى أراض منبسطة حجرية تتخللها وديان الى أراض زراعية خصبة ، ترويها مياه الأفلاج الغزيرة (٥) .

---

(١) وكان مولد جابر بن زيد فى « فرق » وهى من هذه المنطقة اذ أعلاه جبل رضوى . ببعض تصرف .

(٢) الشيخ عبد الله السالمى : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان الجزء الأول ص (٨) ببعض تصرف .

(٣) المرجع السابق ص ٥٥

(٤) المرجع السابق ص ٥٥

(٥) الاستعمال الشائع لكلمة « الفلج » يعنى به نظام الرى بالقنوات ، وتسير منحدرة حتى تنتهى فى المصدر الأصلى التى جاءت منه المياه أصلا من فجوة فى مكان عال من طبقة الاودية الصخرية ، وتكون القناة اما قد بنيت بناء جانبيا أو نحتت من الجدران الصخرية للوادى مسافة أميال بعيدة ، ويرجع العهد بالأفلاج الى ما يزيد على ألفين وخمسمائة ، وتبقى مياه الأفلاج جارية طوال أيام السنة ، ويستفاد من القسم الأكبر منها فى رى أشجار النخيل وغيرها من الحاصلات الزراعية راجع ( عمان ونهضتها الحديثة ) ص ١٢٨ وما بعدها .

هذا ومن أهم الجبال فى عمان : الجبل الأخضر ، جبال شرقية ، جبل فهود ، رؤوس الجبال ، جبل حفيت ، جبل حطاط ، جبل الشحوح ، جبل الحدان ، جبل الكور ٠

ومن أهم الأودية : وادى سمائل ، وادى الطائيين ، وادى الرستاق ، وادى السرين ، والذى يعرف بوادى مجلاص ٠ وادى حلفين ، وادى عندام ، وادى بهلى ، وادى العين ، وادى بنى خالد ، وادى الجزى ، ووادى فدى ٠

## المنـــــاخ :

ويتنوع المناخ ـ فى عمان ـ كما تتنوع التضاريس ، فهو حار رطب صيفا فى المناطق الساحلية ، حار جاف فى المناطق الداخلية ، باستثناء بعض المناطق المرتفعة حيث يكون الجو معتدلا طوال العام ، وكذلك الحال فى المنطقة الجنوبية ، حيث الجو معتدل صيفا وشتاء على الســواء ٠

وبشكل عام فان الأمطار تسقط بكميات قليلة وفى أوقات غير منتظمة ، وذلك باستثناء المناطق الجنوبية من عمان ، حيث تسقط الأمطار الغزيرة خلال شهـــور الصيف بتأثير الرياح الموسمية ٠

وهذا التنوع فى المناخ يسمح بتنوع المحاصيل الزراعية عن طريق الاستفادة من نظام الرى القائم على القنوات المائية ( الافلاج ) والتى تنساب من ينابيـــع فى الجبال لا يصيبها الجفاف حتى فى أشد أوقات الحرارة ٠

## مصادر الثروة فى عمـــان :

ومصادر الثروة فى عمان متعددة ٠٠ بعضها مصادر طبيعية ، وبعضها الآخر يرجع الى ما لأهلها منذ القدم من حذق ومهارة ٠٠ وقد عرفت عمان ـ على طول تاريخها ـ فترات رخاء ممتدة ، وهى ترجع فى الكثير من أسبابها الى استغلال أهلها لموقعها الجغرافى الممتاز استغلالا ذكيا ، جعل من عمان ـ فى معظم الوقت ـ مركزا تجاريا هاما للتبادل التجارى بين كل من آسـيا وأفريقيا ٠٠ فاذا أضفنا الى ذلك مهارة العمانيين ـ المأثورة ـ فى ركوب البحر والتجارة البحرية ، تبين الى أى مدى اتسعت تجارتهم ، وتعددت أنشطتهم ٠ ولقد ظهر فى عمان فى فترة مبكرة جدا من التاريخ نموذج لحضارة متميزة شهدتها منطقة الخليج فكان للبحر والجبال التى تحيط بعمان

والصحراء التى تخترقها تأثير أساسى على نفسية الشعب وكيف تطور ٠٠ فالى جانب احتواء البحر من جهاته الثلاث ورمال الربع الخالى من الجانب الرابع تكاد عمان أن تكون جزيرة ٠٠ وفضلا عن أهمية البحر كطريق دولى يربط عمان ومدنها الساحلية بالعالم الخارجى فهو مولد هام لمعايشة الجانب الأكبر من سكان البلاد (١) ٠

وتقع المدن الرئيسية – فى أغلب الأحوال – على الساحل حيث تتوفر سبل المعيشة للصيادين ، والبحارة ، والتجار المشتغلين بالتبادل التجارى ما بين مختلف الثغور ، وذلك فضلا عن الاشتغال بصيد اللؤلؤ ، وصناعته ، والاتجار فيه ٠

وهناك السهول والأودية – والمناطق الزراعية المختلفة ٠٠ وقد اكتسب العمانيون – على مر العصور – خبرة فائقة فى استنبات الأراضى رغم تنوع تربتها ، وتفاوت أشكالها ، واختلاف تضاريسها ، فحيثما تكون الزراعة ممكنة ترى المزارعين يجعلون الأرض تخرج نباتاتها المتوفرة ٠ وقد احسن العمانيون استغلال المياه ، وحرصوا على توزيعها بينهم على نحو يراعى العدالة والانصاف بما يحقق استغلال كمياتها استغلالا حكيما مقتصدا ، فلا يظل شبر من الأراضى المسقية دون استغلال (٢)

٠٠ وقد كثرت فى عمان الحاصلات الزراعية : كالقمح والشعير والذرة ٠٠ كما غنيت مناطق كثيرة منها بأنواع مختلفة من الفواكه ٠٠ وأما النخيل فانها تغطى مساحات ومناطق شاسعة من أرض عمان ، وهى تعتبر من مصادر الثروة لما تدره من دخل كبير ٠

وتشغل الصحارى فى عمان نسبة كبيرة من مساحتها ، وكان يعمل كثير من سكانها بالرعى ، وتربية الابل والماشية ، حيث يعتمدون عليها – وعلى بعض ما يزرعون من نخيل وزراعات يسيرة – فى معيشتهم وموارد رزقهم ٠

---

(١) صفحة (٣٢) عمان مسيرا ومصيرا تأليف روبرت جيران لاندن ترجمة محمد أمين عبد الله – وراجع أيضا المجلد الثانى من التقويم الجغرافى تأليف لوريمر (رمال العرب) تأليف الرحالة نيسجر ٠

(٢) عندما أصبح الحكم فى عمان للأئمة من أتباع المذهب الاباضى ٠٠٠ زاد الاهتمام بتنظيم القرى والمناطق الزراعية ، ووضعت الكثير من الأحكام « الشرعية » لتنظيم استغلال مياه الأفلاج التى يرجع معظمها الى عهد الامام الأول فى القرن الثالث الهجرى ( المرجع السابق – ص ١٣١ ) وفى عصرنا الحاضر بقيادة جلالة السلطان قابوس بن سعيد حفظه الله أولت الحكومة اهتماما كبيرا بتنظيم الرى حيث أنشأت ( وزارة الزراعة والأسماك ) لتقوم بدورها فى تنمية الثروة الزراعية ٠

وفضلا عن ذلك فان أهل عمان ـ من جميع المناطق ـ يعملون فى التجارة ، وبخاصة تجارة حاصلاتهم الزراعية ، وأهمها التمر ، وهم فى ذلك على صلات مستمرة بالتجار فى المناطق الساحلية حيث تسير العلاقات التجارية على نحو منتظم ٠

وقد استتبعت حركة التجارة النشطة وجود طرق معروفة ومحددة للقوافل التجارية عبر مختلف مناطق عمان فى حركة ٠ دائبة لجلب البضائع من الخارج وتبادلها ونقلها بين مختلف المدن ، بل والى الدول الأخرى ٠٠ وقد أدى الى اشاعة الحياة والحضارة فى معظم أنحاء عمان وربط أهلها بمختلف الدول المجاورة فى آسيا وأفريقيا واقامة أوثق الصلات بين عمان وتلك البلدان ٠

وهكذا تنوعت مصادر الثروة فى عمان ، وتعددت مصادر الكسب لأهلها ، واختلفت حرفهم ، فكانوا أهل بحر وصيد وزراعة وتجارة ، وعرفوا ـ على طول التاريخ ـ بنشاطهم الملحوظ ، وعملهم الدائب ، ولم ينحصروا فى نطاق بلدهم بل كانوا على اتصال مستمر بمختلف الدول المجاورة شرقا وغربا ٠ ولا يفوتنا أن عمان بنت نظاما لانتاج النفط منذ أن بدأ يتدفق فى آب أغسطس عام ١٩٦٧ م وقد ظل يرتفع باستمرار منذ ذلك الحين (١) وفى المكان الذى وجد فيه النفط وجد الجيولوجيون فى ( فهود ) تشكيلا جيولوجيا كاملا من حيث ملاءمته لوجود النفط والحمد لله على ذلك فما أشرق شمس يوم جديد من عصرنا الحاضر الا يأتى بالجديد من الاكتشافات وفتح كثير من الموارد ( كالغاز ) مثلا الذى تم افتتاحه هذا العام ١٤٠٢ هـ ١٩٨١ م ٠

## المبحث الثاني
## عمان فى فجر الاسلام

تعتبر عمان من أعرق الدول حضارة ، ومن أقدمها مدنية ، ولم يكن سكانها فى أول الأمر من العرب ، اذ يرجح البعض دخول العرب اليها الى ألفى عام قبل

---

(١) عمان ونهضتها الحديثة ص ٢٠٨

دخولها فى الاسلام ·· ومن المعروف أن عمان كانت من أوائل الدول التى دخلت فى الاسلام على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ·

وسوف نتناول فى هذا المبحث بعض النواحى التاريخية لعمان على النحو التالى : -

١ - عمان فى فجر التاريخ ·
٢ - دخول العرب الى عمان ·
٣ - عمان فى رحاب الاسلام ·

### ١ - عمان فى فجر التاريخ :

كانت عمان تشكل - منذ فجر التاريخ - وحدة من أقدم الوحدات السياسية التى ظهرت فى الجزيرة العربية ، وقد ورد ذكرها فى كثير من الكتب التاريخية والجغرافية سواء منها ما كتب باللغة العربية أو ما كتب فى المراجع الأجنبية بمختلف اللغات · وقد تميزت عمان - على طول تاريخها - بالمحافظة على استقلالها فى كثير من العصور التاريخية ، كما شهدت تفاعلا كثيرا من الحضارات الانسانية فوق أراضيها ، كحضارات السومريين والآشوريين والبابليين والاغريق والفنينيقيين والفرس والعرب ، وكان ذلك يرجع الى ما تتمتع به من موقع جغرافى هام جعلها ملتقى الطرق البرية والبحرية على مرالعصور (١) ·

وكان للعامل الجغرافى - الذى أشرنا من قبل الى معامله الرئيسية - دور كبير فى تكييف التاريخ العمانى ، حيث تطل السواحل العمانية على اهم الطرق البحرية فى العالم ، فهى تمتد على طول المحيط الهندى والخليج العربى · ونظرا لتعرض منطقة المحيط الهندى للرياح الموسمية السنوية فقد كانت السواحل العمانية ممر الملاحة بين الهند وأفريقيا · ومن الهند الى شواطىء الخليج العربى ، ومنها الى الهند ، وبالتالى فلم يكن غريبا أن يكون للملاحة التجارية دور هام فى تاريخ عمان ·· لقد كان المحيط الهندى مسرحا لنشاط آلاف الملاحين العمانيين الذين كانوا يجوبون شواطئه ذهابا وايابا ، واذا كانت الصحراء تفصل بين عمان وبقية أجزاء شبه

---

(١) عمان فى عشر سنوات : ص ١٤

الجزيرة العربية فان عمان بحكم صلاتها مع الشرق والغرب هى بلد ذو تاريخ مجيد استطاع أن يبتكر لنفسه ثقافة من نوع فريد ، هى ، رغم طابعها الشمولى ، عميقة الجذور فى تاريخ شبه الجزيرة العربية ٠

ويرجح بعض المؤرخين أن عمان قد سميت باسم عمان بن قحطان بن هود النبى عليه السلام وقيل سميت عمان بعمان بن ابراهيم الخليل ٠ وقال ابن الكلبى : سميت بعمان بن سبأ بن يقتان بن ابراهيم خليل الرحمن لأنه بنى مدينة عمان وفى كتاب ابن أبى شيبة ما يدل على أنها المرادة فى حديث الحوض لقوله : « مابين بصرى وصنعاء وما بين مكة وأيلة ومن مقامى هذا الى عمان » وفى مسلم « من المدينة الى عمان » وفيه « ما بين أيلة وصنعاء اليمن » ومثله فى البخارى وفى مسلم « وعرضه من مقامى هذا الى عمان » وروى الحسن بن عادية قال : لقيت ابن عمر فقال : من أى بلد أنت ؟ قلت من عمان قال : أفلا أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انى لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطىء البحر الحجة منها أفضل أو خير من حجتين من غيرها » وعن الحسن يأتين من كل فج عميق قال عمان وعنه عليه الصلاة والسلام ٠٠ « من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان » (١) ٠

وان أول من سكن عمان هم السومريون ، وهم أول من أخرج النحاس الى العالم ، وكانوا يسمون عمان بأرض « مجان » وذلك فى الألف الرابع قبل الميلاد ، وبعدهم سكنها الكلدانيون ثم قوم عاد ٠ ثم جاء عمان بن قحطان بن هود ، فحملت هذه البلاد اسمه وصار ملكا عليها ٠ وبعده جاء الفينيقيون وسكنوا صور ـ المدينة المعروفة بنفس الاسم حتى اليوم ـ ثم الاشوريون ، ومن بعدهم البابليون ثم السبائيون ـ نسبة الى سبأ بن يقتان بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، ومن بعدهم الفرس فأطلقوا عليها اسم « مزون » لفترة قصيرة ٠٠ ثم جاء مالك بن فهم الازدى من ولد الأزد بن القوت بن مالك بن قحطان بن هود ، فأخرج الفرس واستوطن فيها (٢) ، وكان ذلك أول دخول العرب اليها ، وذلك كما نفصله فيما يلى : ـ

---

(١) معجم البلدان ـ ياقوت الحموى المجلد الرابع دار الكتاب العربى بيروت ص ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٦ ، ١٧

## ٢ ـ دخول العرب الى عمان :

تشير الروايات الى أن العرب قد ابتدأوا يفدون الى عمان فى موجات مهاجرة ، وان بداية هذه الموجات قام بها رجال القبائل من المنطقة المحيطة بسد مأرب فى اليمن الى ربوع عمـــان ٠

وتشير الروايات أيضا الى أن احدى تلك الموجات كان يقودها « نصر بن الأزد » وأن الأخرى قادها أبناء « مالك بن فهم » وهو الآخر من سلالة أزد ٠٠ وقد تبـــع هؤلاء الرحل الأوائل أعدادا متزايدة فى خلال القرون المتتابعة ، الى أن أخذ سد مأرب العظيم يتعرض للتصدع وينهار ، وبذلك أقفرت مناطق كثيرة ، وأصابها الجـــدب ، مما دفع القبائل التى كانت تسكنها الى هجرتها ٠٠ والى ذلك يشير القرآن الكريـــم فى قوله تعالى :

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال ٠ كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له ، بلدة طيبة ، ورب غفور ٠ فأعرضوا فأرسلنا عليهم ســـيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل » (١) وكان يطلق على أوائل المهاجرين أسماء مختلفة « كاليمانيين والازد والقحطانيين » ٠٠ والمعروف أن الموجة الثانية من المهاجرين جاءوا الى عمان من شمال وأواسط الجزيرة قبل ظهور الاسلام ببضعة قرون (٢)

وفى ذلك يذكر صاحب « تحفة الأعيان » بسيرة أهل عمان :

سمعت من يدعى المعرفة بذلك يقول : ان ذلك كان قبل الاسلام بألفى عام ، وذلك بعدما أرسل الله على سبأ سيل العرم ، وخرجت الأزد منها الى مكة ، وأرسلوا روادهم فى النواحى ، يرتادون لهم الأمكنة ، وتفرقوا من هنالك الى الأطراف ، وخرج « مالك » فى جملة من خرج الى السراة ، ثم منها الى عمان » ٠

ويروى صاحب « تحفة الأعيان » بعد ذلك ما دار من معارك حتى أمكن لمالك أن يدخل عمان ٠٠ ويجلى عنها من كان يسكنها من « الفرس » ، فقد تقدم مالك ، فى قبائل الأزد ومن معه من أحياء قضاعة الى أرض عمان فوجد بها « الفرس » من

---

(١) ســورة سبأ : آية (١٥) وما بعدها

(٢) عمان مسيرا ومصيرا : ص (٣٥)

جهة الملك دارا بن دارا ٠٠ وهم يومئذ أهلها وسكانها ، والمتقدم عليهم « المرزبان » عامل ملك فارس ٠٠ وقد استمر القتال بين الفريقين واستمر لأكثر من سنة حتى أمكنه الله منهم ، وحمل من بقى منهم الى أرض فارس ، واستولى على عمان فملكها وما يليها ، وساسها ، وسار فيها سيرة جميلة (١) ٠

وذكر أن مالكا جمع قوة قوامها ٦٠٠٠ ستة آلاف رجل وجعل على مقدمة الجيش ابنه هناه فقضى على الفرس (٢)

ثم جاء الى عمان قبائل كثيرة من الأزد ، فأول من لحق بمالك من الأزد عمر بن عمرو ابن عامر ( ماء السماء ) وولداه الحجر « والأسود » ، وتفرعت من الحجر والأسود بعمان قبائل كثيرة ، ثم جاء ربيعة بن الحارث ابن عامر الغطريف واخوته ٠٠ ثم جاءت بنو غنم ٠٠ ثم معوله ٠٠ وجاءت ناس من بنى يشكر ، ومن بنى غامد ، ومن خواله ٠٠ جاءت هذه القبائل على راياتها حتى وصلوا عمان فملأوها ، وأقاموا فى بلد ريف ، وخير واتساع ٠٠ ولم تزل الأزد تنتقل الى عمان حتى كثروابها ، وقويت يدهم واشتدت شوكتهم ، وملأوها ٠

ثم نزل عمان من غير الأزد بعض بنى غالب ٠٠ وبنو تميم ٠٠ وغيرهم من القبائل العربية (٣)٠

وكان مالك بن فهم ملكا ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم على منازلهم وعددهم يهابونه ، ويخافون بأسه ، فيفتخرون به ، ويتعززون بمنعته ، وقد سار فى حـــكم البلاد سيرة حسنة ٠٠ وملك عمان بعد مالك ولده هناه ، وكان أحســـن ولد مالك سيرة ، وأكملهم رأيا ، وأجودهم مروءة ، فقام بتدبير الأمر وسار فى الملك سيرة أبيـــــه ٠٠

ثم لم يزل الملك فى أولاد مالك ، ولم يرجع أحد من الفـــرس الى عمان حتى انقضى ملك ولد مالك بن فهم ، وصار ملك عمان الى آل الجلندى بن المستكبر ، وهو من معولة بن شمس ٠٠ (٤) ، ثم لم يزل ملك عمان فيهم حتى أظهر الله الاسلام فى عمان وغيرها ، وأسلم أهل عمان ٠

---

(١) نور الدين السالمي : تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان : جزء أول ، ص ٢٠

(٢) ( عمان ونهضتها الحديثة ) تأليف رونالد هولى ص ٢٠

(٣) المرجع السابق ص ٣١ ، ٣٢

(٤) المرجع السابق ص ٤٧

### ٣ ـ عمان فى رحاب الاسلام :

#### أول من أســلم :

مما يذكر أن أول من أسلم من أهل عمان كان مازن بن غضوبه ، ابن سبيعة ابن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبى بن خطامه بن سعد بن عمرو بن الغوث ابن طى ·· وكان من أهل سمايل ·· ـ وهى منطقة كانت تبعد فى ذلك الوقت عـن مقر الملك فى صحار ـ وكان مازن زعيم قومه آل طى فى سمايل والمقدم عليهم ـ وقد قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم ، ودعا له النبى ـ عليه السلام بخير ·· يروون عن اسلامه روايات عديدة خلاصتها أنه كان يسدن (١) صنما له فى الجاهلية فى سمايل يقال له ناجر تعظمه بنو خطامة وبنو الصامت من طى ·· قال مازن : فذبحنا ذات يوم عنده ذبيحة ، قال فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول : يا مازن ·· ظهر خير ، وبطن شر ·· بعث نبى من مضر بدين الله الأكبر ، فـدع نحيتا من حجر ، تسلم من حر سقر ·· » وقد تكرر ذلك أكثر من مرة ·· قلت : ان هذا لعجب ، وأنه لخير يراد بى ، فبينما نحن كذلك ، اذ قدم رجل من أهل الحجاز ، فقلنا له : ما وراءك ؟ فقال : ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه : « أجيبوا داعى الله » ، فقلت : هذا نبأ ما سمعت ، فعدت الى الصنم فكسرته ، وركبت راحلتى فقدمت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلمت (٢) ·

وأيا ما كانت صحة الرواية الأولى ، وبغض النظر عما قد يشوبها من شك بشأن صدور صوت عن الصنم يقول مثل هذا القول ·· الا أن الثابت يقينا ـ من مختلف المراجع ـ أن مازنا لم يكد يصل اليه أمر الدعوة حتى بادر بالتوجه الى أرض الحجاز ، وسعى مثابرا مدفوعا الى حيث مهبط الوحى يلتمس النور من عند رسول الله عليه الصلاة والسلام ·

ويرى بعض من تناولوا هذا الموضوع أن مازنا وهو زعيم قومه لم يكن ليخرج من عمان الى أرض الحجاز حتى يأتى المدينة المنورة الا بركب يطمئن به ، وعلى ذلك

---

(١) أى يخدم صنما له ·

(٢) تحفة الأعيان ـ ص ٥٣ ـ ٥٤

فلا بد وأن يكون قد أسلم مع مازن أهل ركبهم جملة يعدون من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وان كان التاريخ لم يحفظ لنا أسماءهم (١)

ويروى أن مازنا قال : يا رسول الله ·· ادع الله تعالى لأهل عمان ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم اهدهم وأثبهم » قال مازن : « زدنى يا رسول الله » فقال : « اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم » قال مازن : يا رسول الله ·· البحر ينضح بجانبنا ، فادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا ـ قال : اللهم : وسع عليهم فى ميرتهم ، وأكثر خيرهم من بحرهم » ـ قال مازن : زدنى ـ قال : « اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم ، قل يا مازن : آمين ، فان آمين يستجاب عنده الدعاء » قال : قلت آمين ·

ثم عاد مازن فقال : يا رسول الله : انى مولع بالطرب وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء ، وقد نفذ أكثر مالى فى هذا ، وليس لى ولد ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويهب لى ولدا تقر به عينى ، ويأتينا بالحيا والخصب « فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « اللهم أبد له بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالعهر عفة الفرج ، وبالخمر ريا لا اثم فيه ، وأتهم بالحيا ، وهب له ولدا تقربه عيناه » ·

قال مازن : فاذهب الله تعالى عنى ماكنت أجد من الطرب والنشاط لتلك الأسباب ، وحججت حججا ، ورزقت ولدا سميته حيان بن مازن ، وأخصبت عمان فى تلك السنة وما بعدها ، وأقبل عليهم الخف والظلف ، وكثر صيد البحر ، وظهرت الأرباح فى التجارات ، وآمن عدد من أهل عمان (٢)

وقد رجع مازن الى أهله ·· قال : فلما رجعت الى قومى أى بعد اسلامى ، أنبونى ، وأمروا شاعرهم فهجانى ، فقلت : ان هجوتهم فانما أهجو نفسى ·· وتنحيت عنهم وابتنيت مسجدا أتعبد فيه ·· ثم ان القوم ـ أى قوم مازن ـ ندموا على ما فعلوا ، وطلبوا منى الرجوع اليهم ، فأسلموا كلهم (٣) قال بعض المؤرخين ولما رجع مازن الى سمائل أسلم أهل عمان كافة الا أهل صحار أسلموا لما وفد اليهم عمرو

---

(١) الشيخ سالم بن حمود السالمي : حلقات المذهب الاباضى : ص ١٣
(٢) تحفة الأعيان : ص ٥٤ ـ ٥٥
(٣) حلقات المذهب الاباضى : ص ١٧

بن العاص بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سنذكره فيما بعد (١)

قال مازن : فلما كان فى العام القابل الذى وفدت فيه على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يالمبارك ابن المباركين ، الطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوما من أهل عمان ، ومن عليهم بدينك ٠٠ فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مازن : دينى دين الاسلام ، سيزيد الله أهل عمان خصبا وصيدا ثم قال عليه الصلاة والسلام : طوبى لمن آمن بى ورآنى ، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ولم يرمن رآنى ، وان الله سيزيد أهل عمان اسلاما (٢)

وهكذا نرى أن اسلام مازن بن غضوبة جاء نتيجة ايمان صادق واقتناع مخلص ، وان هذا الاسلام ـ بما استتبع من دخول قوم مازن فى الدين الجديد يدل دلالة قاطعة على ما يتصف به شعب عمان من ثقافة وتحضر ، فانهم ما ان دعوا لدين الحق حتى استوعبوه ، وآمنوا به ، ودخلوا فيه ٠٠ بل هم لم يقفوا فى وجهه ـ كما فعلت قريش ـ وقد أسلموا ، وحسن اسلامهم ، وكان لهم من الدين الجديد خير هاد ومرشد لحياة أفضل ، ومثل عليا ٠ فالاسلام عند العمانيين قول وعمل فالقول : النطق بكلمة الشهادة والعمل الاتيان بجميع الفرائض واجتناب جميع المحرمات والوقوف عند جميع الشبهات (٣)

## دعوة الرسول الى عمان :

وان كانت دعوة الاسلام قد وصلت الى أهل سمايل وما يجاورها على يد مازن ابن غضوبه ـ على هذا النحو ـ الا أنها لم تصل الى مقر الملك ولم تبلغ من بأيديهم السلطة فى عمان فى ذلك الوقت ٠٠ فكرسى الملك كما أوضحنا ـ فى صحار ـ وبين صحار وسمايل مسافة نائية ، والطريق غير آمن ، والناس كانوا ما يزالون فى جاهلية ٠٠ ولذلك كتب النبى عليه الصلاة والسلام كتابا ، أرسل به رسولا الى ملكى عمان يدعوهما الى الاسلام ٠٠ وفى تعليل ذلك من يرى بأن « النبى

---

(١) الشعاع الشائع باللمعان تاليف : حميد بن محمد بن رزيق ص ٦
(٢) حلقات المذهب الاباضى : ص ١٩
(٣) الأباضية فى موكب التاريخ ص ٧٧ الحلقة الأولى للمؤرخ الكبير الشيخ علي يحيى معمر ببعض تصرف ٠

عليه الصلاة والسلام سأل مازنا عن زعماء عمان اذ ذاك ، فأخبره عنهما ، أن بينه وبينهما مسافة نائية لا يعلم مازن فى « سمايل » عنها شيئا ، وربما كان لا يعلم عن ناحية سمايل وما اليها لأن جل الاهتمام يكون الى العواصم غالبا ٠٠ فلذلك كتب النبى عليه السلام كتابه اليهما ٠

وهذا الرأى يأخذفى اعتباره ولا شك أن ظروف الحال فى تلك الآونة مواتية ، فضلا عما روته كتب السيرة من نهج الرسول عليه الصلاة والسلام فى نشر الدين الجديد ٠٠٠ فقد بعث بكتبه الى مختلف الملوك فى الدول المجاورة ٠٠ وكان ممن بعث اليهم ملكى عمان ـ وهما عبد وجيفر ابنا الجلندى ٠٠ وكان رسوله اليهما هو الصحابى الجليل : عمرو بن العاص ٠

وفى تفاصيل هذه الرسالة يروى الواقدى باسناد (١) أن النبى عليه الصلاة والسلام كتب الى جيفر وعبد ابنى الجلندى الأزدى بعمان ، بعث عمرو بن العاص بن وائل السهمى بكتابه اليهما ، وكان كتابه صحيفة أقل من الشبر فيها ٠

« بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندى : السلام على من اتبع الهدى ـ أما بعد : فانى أدعوكما بدعاية الاسلام ـ أسلما تسلما ـ فانى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما ، وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما ، وخيلى تطأ ساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما ٠٠ » وفى رواية أخرى ( بعثنى لأنذر الناس بما ينتظر الكافرون من عذاب فان قبلتما الاسلام كما أؤمل فان العاقبة ستكون خيرا وان رفضتما وجحدتما فان الله سيدمر ملككما وستدك خيوله أرضكما ٠ وسينصر الله دينه على مملكتكما (٢)

قال : فقدم عمرو بن العاص بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى عبد وجيفر ابنى الجلندى بعمان ، فكان أول موضع دخله من صحار ( دستجرد ) وهى مدينة بنتها العجم فى صحار فى مهادنتهم لبنى الجلندى ، فنزل بها وقت الظهر ، وبعث

---

(١) تحفة الاعيان ص ٥٧ وما بعدها ٠
(٢) نهضة عمـان الحديثة ص ١٦٦

الى بنى الجلندى وهم بادية عمان ، فكان أول من لقيه عبد ابن الجلندى ، وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقا ، فأوصل عمروا الى أخيه جيفر بن الجلندى بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فدفعه اليه مختوما فقرأه مثل قراءته ، ثم التفت الى عمرو فقال « ان هذا الذى تدعو اليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير ، وأنا أعيد فكرى فيه وأعلمك » قال : فاستحضر جماعة الأزد ، وبعثوا الى كعب بن برشه العودى فسألوه عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : الرجل نبى ، وقد عرفت صفته ، وسيظهر على العرب والعجم .

قال : فأجاب جيفر الى الاسلام ، وأسلم هو وأخوه فى ساعة واحدة ، ثم بعث الى وجوه عشائره فبايعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وأدخلهم فى دينه ، وألزمهم تسليم الصدقة ، وأمر عمرو بن العاص بقبضها ، فقبضها على الجهة التى أمره بها النبى صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم بعث الى دبى ، وما يليها الى آخر عمان ، فما ورد رسول جيفر على أحد الا وأسلم وأجاب دعوته الا الفرس الذين كانوا فى ذلك العهد بعمان ..

وقد مكث عمرو بن العاص فى عمان عاملا عليها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهلها له طائعون ، ولقوله سامعون ، الى أن بلغته وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعزم على الرجوع الى المدينة .. فصحبه اليها عبد بن الجلندى ورهط من قومه .. فلما دخلوا على أبى بكر رضى الله عنه قام أحد رهط عمان فقال : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويا معاشر قريش : هذه أمانة كانت فى أيدينا وفى ذمتنا وديعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد برئنا منها اليك ، فقال أبوبكر : جزاكم الله خيرا وأثنى عليهم المسلمون خيرا ، وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح ، فقالوا : كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وثناؤه عليكم .. وكان مما قاله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« معاشر أهل عمان : انكم أسلمتم طوعا ، لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتموه اذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعمتموه اذ أمركم على كثرة عددكم

وعدتكم ٠ فأى فضل أبر من فضلكم ، وأى فعل أشرف من فعلكم كفاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفا الى يوم المعاد ٠ ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرما ، ورحل عنكم اذ رحل مسلما ٠ وقد من الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابنى الجلندى وأعزكم الله به ، وأعزه بكم ٠ وكنتم على خير حال حتى أتتكم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهرتم ما يضعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمال ، فيثبت الله ألسنتكم ، ويهدى قلوبكم ، وللناس جولة ، فكونوا عند حسن ظنى فيكم ، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ، ولا أن ترجعوا عن دينكم جزاكم الله خيرا (١) ٠

وقد ذكر فى بعض السير أن أبا بكر رضى الله عنه أقر جيفرا وأخاه عبدا على ملكهما ، وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها اليه ٠٠ الى أن ماتا ، ثم خلف من بعدهما عباد بن عبد بن الجلندى فى زمن عثمان بن عفان وعلي بن أبى طالب (٢) ٠

والمتتبع لكتب التاريخ يجد ما قام به العمانيون من دور هام فى نشر الاسلام وخصوصا عندما أصبحت ( البصرة ) فى جنوب العراق مركزا هاما للفتوحات الاسلامية (٣) ٠

**عمان بعد الاسلام :**

وهكذا دخل الاسلام الى عمان ٠ ودخلت عمان فى الاسلام ، ولم يكن السبيل الى ذلك حربا أو سلما ٠ ولم تفتح تلك البلاد بالقوة أو برباط الخيل ٠٠ وانما كان سبيلها الى الاسلام عن طريق القلب والعقل والبصيرة ، وكان فتحها بنور الهدى والمعرفة ٠٠ رأى أهلها ــ وذووا الرأى فيها ــ النور أبلج ، والصبح قد أسفر ، والشمس قد أشرقت ، ففتحوا أعينهم ليروا النور ، واستقبلوا الصبح فى فرح وايمان ، وتلقوا الشمس بخير ما يستقبل به عاقل سر الحياة ٠٠ لم يركبوا رؤوسهم ــ كما فعل سواهم ــ ولم تأخذهم العزة بالاثم كما أخذت أهل زمانهم ، ولم يتنكروا للحق كما تنكر الآخرون ، فقد شرح الله للايمان قلوبهم وصدورهم ،

(١) تحفة الأعيان : ص ٦٢ ــ ٦٣
(٢) المصدر السابق : ص ٦٧
(٣) ص ٢١ عمان ونهضتها الحديثة ٠

وأنار بالحق بصائرهم ٠٠ فكانوا بذلك المثل الأعلى الذى يظل على مر التــاريخ خالدا لأمة حكمت عقلها قبل أن تساير هواها ، وتابعت يقينها وغضت الطرف عما سواه من أسباب الزيف ، واندفعت الى الاسلام ـ وبالاسلام ـ تعلو وتسمو وتتطهر من أوثان الجاهلية ، وهى لا تبغى غيروجه الحق وحده ٠٠

أمة بأسرها تؤمن بالدين الجديد مهتدية فى ذلك بالعقل وباليقين ٠٠ ثم تمضى ترفع لواءه ، وتنشر مبادئه هنا وهناك ، وتدفع عنه كل عدوان ٠٠

وان ذلك ليدعو الباحث الى أن يتساءل :

ـ لماذا جاء ايمان اهل عمان على هذا النحو اليسير ٠٠ ؟ وعلام يدل ذلك ؟

ـ وسؤال آخر ٠٠ ماذا كان أمر أهل عمان بعد أن أسلموا ، وحسن اسلامهم ؟ ذلك ما نحاول أن نعرض له فيما يلى :

١ ـ فأما عن دلالة اسلام أهل عمان دون حرب ٠٠ فانها لا تخفى على كل من لديه بصيرة ٠٠ ونجد من الضرورى ، وحتى نعطى الصورة كاملة ، أن نورد بعض ما يثبت من أخبار عن أهل عمان :

ـ ذكر أبو يعقوب فى لواحق المسند من روايات أبى سفيان (١) عن شيخه الربيع ابن حبيب ٠٠ قال : ان نسوة من نساء أهل عمان استأذن على عائشة ـ رضى الله عنها ـ فأذنت لهن ، فدخلن عليها ، وسلمن عليها ٠٠ ثم قالت : من أنتن ؟ قلن : من أهل عمان ـ فقالت لهن : لقد سمعت حبيبى عليه السلام يقول : « ليكثرن وراد حوضى من أهل عمان » ٠

ـ كما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ٠ فطوبى للغرباء من أمتى ـ قالوا : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : « الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، ويتمسكون بحبل الاسلام حين يقطع » ـ قال محمد بن أحمد : الغرباء أهل عمان ، من سره أن ينظر الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى الصلحاء من أهل عمان (٢) « والخلاصة

---

(١) يعنى محبوب بن الرحيل ٠

(٢) تحفة الأعيان : ص ١١

ان أهل عمان كانوا من الأوائل الذين استجابوا لدعوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فهى لم تفتح حربا كما فتحت بلاد كثيرة غيرها وانما دخلها الاسـلام بيسـره وسماحته ·

ـ وقال عمرو بن بحر وهو الجاحظ : لربما سمعت من لاعلم له يقول : ومن أين لأهل عمان البيان ؟ قال : وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء البلغاء ما يعدون لأهل عمان ؟ منهم مصقلة بن الرقية ، أخطب الناس قائما وجالسا ومقررا ومنافسا ومجيبا ومبتدئا ثم ابنه من بعده كرب مصقلة ، ولهما خطبتا العرب : العجوز فى الجاهلية ، والعذراء فى الاسلام (١)

ـ وقال الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : رأيت اعرابيا بمـكة فاستفصحته ، فقلت : من الرجل ؟ قال : من الأزد · قلت : من أيهم ؟ قال : من بنى الحدان ابن شمس · فقلت : من أى بلاد ؟ قال : عمان · قلت صف لى بلادك · فقال : سيف أفيح وفضاء صحصح ، وجبل صلدح ، ورمل أصيح · فقلت : فأخبرنى عن مالك ؟ قال : النخل · قلت : وأين أنت من الابل ؟ فقال : كلا ان النخل أفضل ، أما علمت ! ان النخل حملها غذاء ، وسعفها ضياء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وجذعها غماء ، وفروها اناء ! فقلت : وأنى لك هذه الفصـاحة ؟ قال : انا بقطر لا نسمع فيه ناجخة التيار (٢) ·

ـ وخرج الحجاج بن يوسف الى القاوسان ، فاذا هو بأعرابى فى زرع له · فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل عمان · قال : فمن أى القبائل أنت ؟ قال : من الأزد · قال : فكيف علمك بالزرع ؟ قال : انى لأعلم منه علما · قال : فأى شىء خيره ؟ قال : ما غلظت قصبته ، واعتم نبته ، وعظمت جثته · قال : فأى العنـب خير ؟ قال : ما غلظ عوده ، وعظم عنقوده · قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لحاه ، ودق نواه ، ورق شحاه (٣)

---

(١) تحفة الأعيان ص ١٥

(٢) تحفة الأعيان : ص (١٥) ·

(٣) المصدر السابق : ص (١٦) ·

– وقد مربك حديث مازن بن غضوبة ، واسلامه ، وحواره الخالد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ·

– ومن جمع هذه الأخبار والروايات يتبين أن أهل عمان انما كانوا بحكم طبيعتهم ، وطبيعة بلادهم :

– أهل علم وحضاره ·

– يعرفون الكثير من أمر الزراعة ·

– يتميزون بالرزانة والتعقل ·

– يميلون بطبيعتهم للايمان ، ويؤمنون بالمثل العليا ·

ومن هنا ·· فانهم نظروا الى الدعوة الى الدين الجديد نظرة عاقلة تتفق مع طبيعتهم المتعمقة ، وما ان تبين لهم صدقها حتى أسلموا وجوههم لله الذى فطر السماوات والأرض سبحانه ·

( ٢ ) ذلك عن اسلامهم دون حرب ·· فماذا كان منهم بعد اسلامهم ؟

ان قوما بهذه الصفات ، لا ينتظر منهم الا أن يحسن اسلامهم ، ويتعمق تدينهم ، ويصدق ايمانهم ··

وقد أكرمهم الله بدعاء النبى لهم – ودعاؤه مستجاب ·· فظهرت اجابة دعاء رسول الله ، ودعاء خليفته لهم ، وصدق الله توسمهما فيهم ، فهم – كما يحكى عنهم صاحب تحفة الاعيان – أكثر الناس هدى ، وصوابا ، منهم الأئمة العادلون ، والعلماء الراشدون ، لم يتسلط عليهم عدو من غيرهم ، ولم تخرج بلادهم من أيديهم ، وان غلبوا على دولتهم فى بعض الأحيان ، لما أراد الله من تمحيص المؤمنين ، وتمحيق الكافرين ·· فما زالت دعوتهم بالحق ظاهرة ، وسيرتهم بالعدل ساهرة ، ودولتهم بالفضل زاهرة – منهم العلماء النجباء ، والعقلاء الفضلاء ، والبلغاء الخطباء (١) ·

ونشير فيما يلى الى بعض صور جهاد العمانيين فى نشر الدعوة ، والدفاع عن الدين مما سجلته كتب التاريخ :

---

(١) المصدر السابق ص (١٤) ·

ـ لم تتخلف عمان فى فجر اسلامها عن المشاركة فى الفتوحات الاسلامية العظيمة برا وبحرا ·· فقد كلف أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ الملك عبد بن الجلندى حين قابله بالمدينة أن يقوم بحرب الغساسنة ( آل جفنة ) على حدود الشام ، وقد أمره على سرية كان فيها حسان بن ثابت الأنصارى · ولما عادوا قام حسان بن ثابت فقال : قد شهر مقام عبد فى الجاهلية والاسلام فلم أر رجلا أحزم ولا أحسن رأيا وتدبيرا من عبد · هووالله ممن وهب نفسه لله فى يوم غارت صباحه ، وأظلم صباحه · فسر ذلك أبابكر ، وقال : هو يا أبا الوليد كما ذكرت ، والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله · فبلغ ذلك عبدا فبعث اليه بمال عظيم ، وأرسل اليه أن مالى يعجز عن مكافأتك فاعذر فيما قصر ، واقبل ما تيسر ·· ثم ان أبابكر كتب كتابا الى أهل عمان يشكرهم ويثنى عليهم ·

ـ أما دور عمان فى فتح العراق وفارس خاصة من ناحية البحر ، فانه كان عملا عظيما · فقد طلب الخليفة عمر بن الخطاب من والى عمان عثمان بن أبى العاص الثقفى أن يقطع البحر لمحاربة الفرس ، فخرج عثمان ومعه ثلاثة آلاف من الأزد ، فعبربهم من جلفار ( رأس الخيمة حاليا ) الى جزيرة اسمها ( كاوان ) كان فيها قائد العجم فسالم عثمان ولم يقاتله ·

لكن يزدجرد كسرى فارس ـ علم أن قائده قد هادن عدوه عثمان ، فكتب الى عظيم كرمان أن يتوجه الى جزيرة بنى كاوان ، فحل بين العرب الذين بها وبين اخوانهم ـ فسار عظيم كرمان واسمه شهرك فى جيش كبير من الفرس المدربين ، وقد سار الى عثمان قائد العرب فتقابلا عند جزيرة القسم فتقاتلا الجيشان قتالا عنيفا دارت فيه الدائرة على الفرس ، وهزموا شر هزيمة ·· ولقد كان لهذا الانتصار الحاسم الذى أحرزه العمانيون أثره فى القضاء على رغبة فارس فى تطويق العرب من الجنوب ، وكذلك قضى هذا الانتصار على فرصة الفرس الأخيرة فى استعادة ملكهم الذى سيطر عليه العرب (١) ·

---

(١) المصدر السابق ص (٦٨ ـ ٦٩) ·

وهكذا استمر جهاد أهل عمان واستمرت مشاركتهم فى الفتوحات الكبرى فى البر والبحر ·· فى حروب الشام وفارس ، ولم يتخلفوا عن أداء أى واجب ، وبذل الدم والمال فى سبيل الله ، مما دعا خليفتى رسول الله أبابكر ثم عمر بن الخطاب الى الاشادة بفضل العمانيين فى الجهاد ، والثناء عليهم ، والدعاء بالخير لهم ·

## المبحث الثالث

## عمان ومكانتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية

**تمهيد :**

كان لعمان منذ القدم صلات طيبة – ومتميزة بمختلف الدول التى ظهرت فيها الحضارات · نشأت تلك الصلات مع السومريين وبلاد ما بين النهرين ، وبلاد السند ·· وكذلك بالحضارة المصرية (١) · بل انه ليمكن القول أنه منذ أن ظهرت الحضارات الانسانية على وجه الأرض ، كانت عمان – بحكم موقعها – مكان التقاء – بل وتمازج – تلك الحضارات · فعلى أرض تلك البلاد تلاقت ثقافات بلاد ما بين النهرين ، وايران ، واليمن وفينيقيا لتشكل تراثا عمانيا انسانيا عريقا ·

حتى اذا ما أصبحت عمان دار اسلام ، وأصبح العمانيون من أهل الدين الجديد – وهم من هم فى الثقافة والحضارة ولهم تلك الصلات الطيبة بمختلف الثقافات – فكان من الطبيعى أن تكون لهم مكانتهم المتميزة بين المسلمين ، وأن يكون لهم دورهم القائد والرائد فى كل ما أحدثه ظهور الاسلام من نهضات فى مختلف النواحى الفكرية والفقهية والسياسية ·· وكذلك النواحى الاقتصادية والاجتماعية ·

لقد قام العمانيون بدور هام فى انتشار الاسلام والحضارة الاسلامية ، وقد اشرنا من قبل الى دورهم فى حرب فارس والحاق الهزيمة بتلك الامبراطورية العتيدة وقد بلغ العمانيون الذروة فى ذلك عندما سيطر قائدهم المهلب بن أبى صفرة على البصرة حتى انها عرفت باسم « بصرة المهلب » زيادة على ذلك أن قادة عمان لم

---

(١) عمان ونهضتها الحديثة – ص (١) ·

يقلوا عن غيرهم من حكام الدولة الاسلامية غيرة على الاسلام ورغبة فى الجهاد (١) ·

ويهمنا فى هذا الفصل التمهيدى أن نعطى لمحة عن بعض معالم النهضة الفكرية التى بلغتها عمان فى أول عهدها بالاسلام فى نواحيها المختلفة سواء فى الفقه والعلم أو الأدب أو فى غيرها من نواحى التميز الاجتماعى والسياسى ·

١ ـ النهضة العلمية والأدبية :

أقبل العمانيون بعد اسلامهم على علوم القرآن يدرسونها ويتعمقون فيها ، ونبغوا فى آداب اللغة العربية حتى انك لتجد للعمانيين مؤلفات عديدة فى مختلف الفروع ـ وبخاصة علوم الفقه ـ منظومة بالشعر ، مما استتبع ظهور مؤلفات أخرى لشرح تلك النصوص الشعرية التى تتناول أحكام المسائل الشرعية فى مختلف أبواب الفقه من توحيد وعبادات ومعاملات ··

وهكذا امتدت نهضتهم الفكرية لتشمل الآداب ·· والعلوم جميعا وذلك كله مما يتصل بالدين الاسلامى الحنيف ·· فكان منهم الشعراء النابغون ممن يحسنون القول ويبدعون التعبير الشعرى وكان منهم العلماء والفقهاء والخطباء والقضاة ··

ـ كان منهم كعب بن سور الذى قدم البصرة بعد تمصيرها فولاه عمر بن الخطاب القضاء عليها ·

ـ وقد بلغوا شأوا كبيرا فى علوم التاريخ والانساب وأصول الفقه ومختلف أبوابه والحديث والتوحيد والفرائض والتفسير ومختلف علوم اللغة العربية والطب ولهم فى كل هذه الفروع مؤلفات عديدة ما يزال الكثير منها فى صورة مخطوطات تعتبر ذخيرة نادرة (٢) ·

---

(١) عمان حصن الأمان للعروبة والاسلام محاضرة للدكتور سعيد عاشور : ص ٢٧٧ من ندوة الدراسات العمانية ـ المجلد الأول ·

(٢) يضم الجهاز الادارى لسلطنة عمان وزارة قائمة بذاتها للثقافة والتراث القومى ·· وتقوم هذه الوزارة بجهود رائعة فى الوقت الحاضر فى تجميع وتصنيف هذه المخطوطات ، ووضع خطة لتحقيقها ، ونشرها مما كان له أثره الكبير فى تعريف الجيل الحاضر بما كان لعمان من فضل فى خدمة الاسلام ·

ـ وليس لنا فى مثل هذه العجالة أن نلم بكل من أنجبت عمان من علمـــاء وفقهاء ومفكرين ، وما كان لهم من جهود فقهية وفكرية مثمرة ·· ولعل فى الاشارة الى بعض أعلام عمان يغنى عن التفصيل :

( ١ ) كان من أشهـــــــر الأئمة فى عمان ـ فى فجر الاسلام ـ الامام الجلندى بن مسعود وقد عقدت له الامامة نتيجة اجماع أهل عمان على ولايته والمجاهدة معه ··· وقد سار فى عمان فأظهر الحق وعمل به وأخذ الدولة من يد أهل الجور وبرأ من الجبابرة وأشياعهم ودان بقتال أهل البغى ولم يستحل مع ذلك غنيمة ولا سـبى ذرية ولا استعرضا بالقتل من غير دعوة وكان قبل توليه الامامة أحد قادة جيش الامام طالب الحق فبعد أن قتل الامام جاء الى عمان وبويع بالامامة ومكث فيهـا سنتين وشهرا (١)

وكانت سيرة الجلندى مثلا يضرب لقومه ومن جاء بعده من الأجيال فلقد عرف رحمه الله بالعدل والاحســان والصدق والفقه والبصيرة والمعرفة والورع والزهد والتعفف والعبادة والسمت الحسن الجميل ··

وكان صاحب اخلاص وعلم وحلم وتودد ووقار وسكينة وعقل وبر ومرحمة وصدق ووفاء ونزاهة وعبادة وصلة ونصيحة ظاهرة مقبولة فانعكست تلك الاخلاق الفاضلة على أبناء عصره فى جميع آدابهم وتمسكهم فصاروا يكرهون العيوب ويهجرون أخلاق أهل الفجور والمعاصى ·

والجلندى هذا ازدى وما أحسن ما قيل فيه :

كفــى فخـــرا عمانـــا بالجلندى　　　اذا اصطخبت بمفخـره اصطخابــا (٢)

وقد عرف تاريخ عمان الكثيرين من مشاهير الصحابة وكبار التابعين ممن كان لهم بالفقه بصيرة وللحديث رواية وفى علوم الدين أثــر ··

ونشير الى حرقوص بن زهير السعدى ـ وهو الذى فتح الأهواز فى أيام عمر

---

(١) العقود الفضية للشيخ سالم حمد الحارثي ص ٢٥٣ ـ تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٢

(٢) الشعاع الشائع باللمعان تاليف : حميد بن محمد بن رزيق ص ٢١

وكانت له هناك آراء سديدة وآثار حميدة (١) · فقتل فيمن قتل بالنهروان وقد قال فيه بعض الشعراء مشيرا الى فضله ·

واسأل الله بيع النفس محتسبا     حتى آلاقى فى الفردوس حرقوصا (٢)

ومنهم عبد الله بن وهب الراسبى الأزدى العمانى وكان له من واقعة التحكيم موقف ورأى فقد تبين الاعتدال والعدل عن كلا الطريقين ·· وقد ولاه قومه عليهم لما رأوه من امكانهم الاعتماد عليه فى أمورهم فبايعوه وكان ذا رأى وحزم ودين وورع ، وقع به الائتلاف وارتفع فى أيامه الاختلاف فلم يزل يقول بالحق ويحكم بالعدل ويلطف بالرعية ويقسم بالسوية (٣) ·

ومنهم سراج الدين الامام جابر بن زيد والذى هو موضـــوع رسالتنا أزدى النسب ، وقد وصف بأنه بحر العلوم العجاج وسراج التقوى الوهاج أصل المذهب وأسه ومنار الدين ومن انتصبت به أعلامه : وهو أول من ألف فى الاسلام فيما يظهر من الحال لأن تواريخ المؤلفين كلهم بعده (٤) وسوف يرد الحديث عنه بالتفصيل ان شاء الله ، ومنهم هشام بن محمد الكلبى الذى قام بوضع الأسس الصحيحة عند العرب فى أوائل العصر العباسى عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها كثير التصانيف له نيف ومائة وخمسون كتابا منها جمهرة الأنساب (٥) ومن مشاهير أهل عمـــان أبو حمزة الشارى : المختار بن عوف مجاهد شهير باع نفسه رغبة فيما عند الله من جزاء ، نشأ فى بلدة مجز من ولاية صحار وهو من الذين خرجوا فى وقت مبكـر سعيا فى طلب العلم ورغبة فى التزود من ينابيع المعرفة له مواقف فذة ضد أهـل الباطـــــل (٦) ·

ومن مشاهير أهل عمان فى الصدر الأول الخليل بن أحمد الفراهيدى من أهل « ودام » من الباطنة صاحب كتاب العين « المشهور » ويعتبر هذا الكتاب من أمهات الكتب فى اللغة ·

ومن المعروف ان الخليل ابن احمد ينسب اليه النحو وعلم العروض ·

---

(١) طبقات المشايخ بالمغرب ج (٢) ص ٢٠٢

(٢) الاعلام للزركلي ص ١٧٣ دار العلم للملايين بيروت ج ـ ٨

(٣) طبقات المشايخ بالمغرب ج (٢) ص ٢٠٢

(٤) اللمعة المرضية ص ١٢

(٥) الاعلام للزركلي ص ٨٨

(٦) راجع العقود الفضية ص ١٨٩

ولا يفوتنا ذكر الامام بشير ابن المنذر النزوانى المعروف بالشـيخ الكبير ، فقد كان رحمه الله علما من اعلام الاسلام ومرجعا فى المعقول والمنقول ، هاجر من عمان الى البصرة طلبا فى المعرفة ورشفا من ينابيع العلم الموجودة هناك آنذاك فتتلمذ على الامام الحجة الربيع بن حبيب رحمه الله ثم عاد الى وطنه حاملا مشعل الدعوة عرف عند المؤرخين انه من حملة العلم الأربعة الى عمان (١) . ومن الصور المشرقة لشخصية أخرى من الرعيل الأول الذين سجلت لهم الدنيا صحائف من نور هو العلامة الجليل : أبو العباس صحار ابن العباس العبدى ، من علماء عمان الأجلاء نسبه من عبد القيس عرفبالعلم وقوة المنطقيل انه صحابى أدرك النبىصلىالله عليهوسلم ولهصحبة معه (٢) وروى عنه ثلاثة احاديث . وقيل انه من التابعين وهو الصحيح عند كثير من المؤرخين ، هو أول من الف فى الأدب العربى وفى أمثال العرب الى جانب غزارته فى الفقه والحديث واصول الدين عرف بالفضل وشهر بالعدل له مناقب لا تجهل ومواقف فى الحق لا تستقل (٤) وهو أحد شيوخ أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة وعنه أخذ الكثير من مختلف العلوم (٥) ولقد كانت وفاته بالبصرة (٦) .

ومن مشاهير علماء عمان وأدباءهم أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى الحسن بن دريد الازدى من أهل ( قدفع ) من شمال عمان كان أديبا عبقريا توفى عام ٣٢٠ هـ وصفه كثير من المؤرخين انه ابدع من ألف فى الادب صاحب المقصورة المشهورة .

هاجر من عمان وبقيت له صلات وثيقة بها وقد انشأ الكثير من القصائد فى مواضيع عمانية مختلفة مما تدل على قوة مهارته فى الشعر ونبوغه فى البيان .

وبين من ذكرنا وبعدهم طبقات أخرى من العلماء والأدباء والمفكرين ، ويعتبر القلهاتى من كبار الكتاب المتأخرين ويعتقد الباحثون أنه أنشأ مؤلفاته أثناء ازدهار

---

(١) شرح الجامع الصحيح للعلامة السالمى الجزء الأول ص (٤) وراجع أيضا الحركة الاباضية فى المشرق العربى للكاتب مهدى طالب هاشم ص (٨٥) .

(٢) الاجابة فى تمييز الصحابة الجزء الثانى ص ١٧٦ للعسقلانى .

(٣) شرح الجامع الصحيح جـ ١ ص (٤) .

(٤) حلقات المذهب الاباضى للشيخ سالم بن حمود السيابى ص ٢٢ .

(٥) الاجابة فى تمييز الصحابة للعسقلانى جـ ٢ ص ١٧٦

قلهات تحت الحكم الهرمزى وذلك فى القرن الثامن الهجرى (١) ٠

اما المؤرخون المتأخرون فهم كثيرون ومن بينهم المؤرخ سرحان بن سعيد مؤلف كتاب ( كشف الغمة ) وكذلك مؤلف كتاب ( شعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان ) وهو حميد بن محمد بن رزيق ٠ ويعتبر ابن رزيق وسرحان من أعمق من كتب عن تاريخ عمان القديم وعن تاريخ الأئمة والأسرة اليعربية بالذات ٠

ونشير الى مؤرخ حديث وعلامة فقيه هو الشيخ عبد الله بن حميد السالمى الذى ولد فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى وله مؤلفات دينية عديدة ماتزال محتفظة بقيمتها العلمية ٠ لها رواج كثير بين العلماء والطلبة حيث أنهم يتدارسونها ويرجعون اليها فى كل مكان وبخاصة فى عمان ، نتيجة أسلوبها الجزل وتناسقها الممتاز وبلاغتها الواضحة ٠٠ ولعل من أهم مؤلفات عالمنا الجليل ( معارج الآمال ) وهو كتاب ضخم على شرح كتابه مدارج الكمال ولكن هذا الشرح لم يكمله مؤلفه حيث وافاه أجله المحتوم فتمكن من تأليف ثمانية أجزاء وذلك الى باب الاعتكاف ، والقارىء فى هذا الكتاب بأجزائه الثمانية يدرك مدى اتساع معرفة عالمنا الجليل وطول باعه فى الاصول والفروع وسعة اطلاعه فى جمعه لآراء المتقدمين والمتأخرين ٠ ومن أهم مؤلفاته أيضا ( جوهر النظام فى الفقه الاسلامى ) وهو كتاب جليل القدر حوى كثيرا من المسائل الفقهية نظما ٠ وقد زادت مؤلفاته على الثلاثين ٠ ولايفوتنا ذكر كتابه ( تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان ) الذى نقلنا عنه الكثير واعتمدنا عليه فى كثير من الآراء ضمن كتابنا هذا وذلك لشموله على كثير من قضايا التاريخ ٠

ومع ذلك فلم نشر بعد الى فقه أهل عمان والذى يعرف بالفقه الأباضى فان الحديث عنه سيأتى فى ثنايا الحديث عن الامام جابر بن زيد موضوع هذه الرساله وفقهه وآثاره ٠

**ب ـ النهضة الاجتماعية والسياسية :**

وقد نهضت عمان فى ظل الاسلام ـ وبالاسلام ـ نهضة اجتماعية كبيرة ٠٠ شملت مختلف النواحى الثقافية والسلوكية والأخلاقية ـ وبخاصة علوم الدين وما يتصل بها من فقه وحديث وتفسير ٠٠ بل لقد كان من مظاهر النشاط العلمى أن الامام بلعرب ابن الامام سلطان بن سيف ـ فى أول عهده ـ بنى قلعة ( جبرين ) (١) ، وأنشأ فيها ـ ما يمكن أن يسمى كلية علمية ـ كان يدفع لمدرسيها رواتب ثابتة ، ولطلابها منحا مالية لتغطية تكاليفهم ، وقد خرجت هذه الكلية عددا من علمـــاء

---

(١) نهضة عمان الحديثة : ص ١٤٩ بتصرف ٠

(٢) جبرين بلدة صغيرة قريبة من بهلاوالعامة تسـمى جبرين ـ والصـواب انهـا يبرين باليـاء والباء والراء والياء والنون ٠

الشريعة ، والفقهاء ، المشهورين (١).

وقد انتشرت الثقافة الدينية بين العمانيين ، لأن مناهج تعليمهم كانت فى كل العصور تعنى أكبر عناية بدراسة الدين ومعرفة أصوله ٠٠ وظل التفقه فى الدين يلقى مزيد الاهتمام على الدوام ٠

والعمانيون كانوا ــ كما أسلفنا ــ أهل تجارة وصناعة ٠٠ وقد ازدهرت تجارتهم ونمت صناعتهم بعد دخول عمان فى الاسلام وتوثق صلاتها بمختلف الدول الاسلامية ٠٠ وتنوعت فى عمان الفنون المحلية من النقش على الآنية ، وصناعة الخناجر وغيرها ، وصياغة الفضة فى جميع أنواع نقوشها وأدواتها ، وصناعة الأوانى النحاسية والصناعات الخشبية،وذلكفضلا عن أعمال النسيج والصناعة٠٠الخ٠

ومن ذلك كله يتبين أن عمان قد ازدهرت وارتقت واحتلت مكانتها السامية بين الدول التى دخلت فى الاسلام ٠ وقد تميزت أنها فى أغلب عصورها كان أمرها لأبنائها ، ومنذ أن أقر الخليفة الأول أبو بكر الصديق ابنى الجلندى على ملك عمان ٠٠ وأمر عمان ينتقل الى من يختاره العمانيون أنفسهم ٠٠ وأخذت عمان فى ذلك بنظام الامامة وكان الأئمة العمانيون فى أغلب الأحوال ممن يراعون الله فى أمورهم ، ويحرصون فى سياستهم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ٠٠ واننا لنجد المؤرخ ابن رزيق يلخص منجزات أحد هؤلاء الأئمة وهو الامام سلطان بن سيف ، فيقول (٢) « انتعشت عمان فى عهده ، وازدهرت وارتاح أهلها من متاعبهم ، وأصبحت البضائع رخيصة والطرق آمنة ، وأرباح التجارة كبيرة ، والغلال وفيره ، وكان الامام نفسه متواضعا لله تعالى ، عطوفا على رعيته ، متساهلا ازاء مخالفيهم ما كان هذا التساهل حلالا ، ولا ينأى بنفسه عنهم ، أو يعتزلهم ، وكان يتجول فى الشوارع دون حرس ، ويجلس الى أبناء شعبه ، ويتجاذب معهم أطراف الحديث دون تكلف ، فيسلم على الكبير والصغير والحر والعبد ٠

ــ واذا كانت عمان قد شهدت فى بعض عصورها خلافات وحروبا ، كما ولى أمرها فى بعض الفترات أشخاص من غير أبنائها ، فان ذلك لم يكن سوى أمر عارض ولم يدم طويلا ، كما أنه لم يخلف أى أثر يذكر فى الحياة العمانية ، ولم يترك أية رواسب سيئة لدى العمانيين ٠٠ فظلوا وهم الحريصون على استقلالهم ، والمعتزون ببلدهم ، والمحافظون على تقاليدهم العريقة الأصيلة ، وهم فى ذلك كله المتمسكون بدينهم الحنيف العاملون بكتاب الله الكريم وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، الرافعون لراية الاسلام والمدافعون عنه على طول العصور ٠

---

(١) عمان ونهضتها الحديثة ص ٣٧

(٢) الشعاع الشائع باللمعان ص ف ٢٥٦ بتصرف ٠

# البـــاب الأول

## جابر بن زيد : نشأته وحياته

**تمهيـــد ومنهج :**

نفرد هذا الباب للتعريف بالامام جابر ٠٠ مولده ، ونشأته ، وسيرة حياتــه وعمن تلقى العلم ، وكيف كان تأهيله العلمى مما أوصله الى تلك المكانة الرفيعة التى احتلها بين رجال الفكر الاسلامى والحديث وأصحاب المذاهب الاسلامية : كفقيه يرجع اليه في أمور الدين ، وامام يتبعه الكثيرون ، يأتمرون بأمره ، ويأتمون به ٠

واذا كان المذهب الذى جلى جابر أسسه ، قد عرف بعد ذلك بالمذهب الاباضى نسبة الى عبد الله بن اباض ، فان لهذه النسبة سببها التاريخى مما سنكشف عنه في الباب الثاني ، ولكن ذلك لا ينفي أن جابر بن زيد هو المجلى للمذهب وامامه ، وصاحبه وفقيهه ، مما سنوضحه بالتفصيل فى ثنايا هذه الرسالة ٠

وعلى ذلك فان دراستنا لنشأة الامام جابر وحياته العملية والعلمية ســـوف تنقسم الى فصول ثلاثة :

- الفصل الاول : نشأة جابر بن زيد ٠
- الفصل الثاني : شيوخه وتعليمه ٠
- الفصل الثالث : حياته العملية وآثاره العلمية ٠

وان دراسة هذه النواحي تمهد لنا السبيل لدراسة دور جابر بن زيد كامـــام للمذهب الاباضي ، وما يقوم عليه هذا المذهب من مبادىء ٠٠ مما نخصص له البابين الثانى والثالث من هذه الرسالة ان شاء الله ٠

# الفصل الأول

## نشأة الامام جابر بن زيد رحمه الله

**نسبه ومولده :**

هو أبو الشعثاء : (١) جابر بن زيد الأزدى الجوفى البصرى من قبيلة اليحمد الأزدية فى عمان صحب ابن عباس وكان من بحور العلم (٢) وقد عرف بالجوفى ويرجع ذلك الى مقر نشأته وذلك فى بلدة « فرق » من ولاية نزوى لأن هذه البلدة تقع فى منطقة تعرف باسم الجوف من عمان وقد فهم بعض المؤرخين أن نسبة الامام جابر الى الجوف جوف « الخميلة » وهو مكان بالبصرة (٣) ولعل هذا الاسم فى البصرة عرف بعد أن استقر الأزد فى ذلك المكان فسموه باسم المنطقة التى جاؤا منها (٤) وكان مولد جابر بن زيد فى مدينة ( فرق ) من المنطقة الداخلية المعروفة فى وقتنا الحاضر وهى احدى المناطق الزراعية التى توجد التربة فيها خصبة والزراعة نامية ومحاصيلها وافرة وجوها معتدل فى أغلب أوقات السنة : وعلى رأسها يعلوهـا « الجبل الأخضر » الذى أشرنا اليه من قبل بما يتميز به من اعتدال المناخ ووفرة الثمار وكثرة الخيرات .

فى تلك المنطقة الخضراء الخصبة ذات الخيرات الوفيرة والجو المعتدل كان مولد جابر بن زيد وبدء حياته :

وتذكر كتب السير أن مولد الامام جابر كان فيما بين عامى ١٨ ـ ٢٢ هجرية (٥) على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام .. فلم تجمع المصادر التاريخية على تحديد سنة مولده وانما ذكرت تواريخ عدة تتراوح ما بين التاريخين المذكورين ولكنها مجمعة على نسبه ومكان مولده ونشأته فهو عمانى المولد والنشأة أزدى النسب وكان مولده

---

(١) الشعثاء هى ابنته وكان يكنى بها لذا ورد اسمه بهذه الكنية فى مختلف السير منها : العقود الفضية : الحارثي ص ٩٤ وتهذيب التهذيب ص ٣٨ من كتاب الجزء الثانى الطبعة الاولى وقبرها ما يزال معروفا فى بلدة « فرق » بولاية نزوى بعمان .

(٢) الاعـلام ج ٢ ص ١٠٤

(٣) الهامش على تهذيب التهذيب ص ٣٨ ج ٢ الطبعة الأولى .

(٤) نشأة الحركة الاباضية ط ٨٦/١

(٥) البرادى الجواهر ص ٥٥/الحارثي العقود الفضية ص ٩٣

فى « فرق » التى يدين أهلها بالاسلام الحنيف ولهم فيه سابقة ولهم بين دعاتــه وحماته مكانة ·

**النشاة الأولــى :**

ولا تورد المراجع شيئا يذكر عن النشأة الأولى لجابر بن زيد ·· كيف قضى فترة طفولته فصباه ·· ؟ وأين وكيف تلقى علومه الأولى ؟ ومتى ولماذا غادر بلده ( فرقا ) وعشيرته الأزد ، وأرضه عمان ؟

ومع ذلك فقد يجوز لنا أخذا بالشواهد ، ورد المسببات الى أسبابها بحكم الواقع والظروف أن نقرر ما يأتى :

ان جابر بن زيد نشأ نشأة ليس فيها الترف المفرط ولا الحاجة الملحة ·· فهو من قبيلة ذات قوة وأيد ، وكان مولده فى اقليم اشتهر بالخصب ووفرة الخيرات ·· ومع ذلك فان هذا الخصب لا يعدو أن يوفر الحياة العادية والعيش الكـاف دون بهرجة أو اسراف ·

ـ ان حياة جابر وأهله كانت تقتضى منهم العمل ، وبذل الجهد ، دون أن يركنوا الى ترف أو خمول ، فالأرض لا تثمر الا لمن يرعاها ، والحياة لا تتوفر الا لمن يعمل ··

وترتيبا على ما تقدم فان جابرا لابد أن يكون قد عرف فى صباه حياة العمل وشارك قومه فى زراعة الأرض وفى سائر ما يمتهنون من أعمال تتصل بذلك ، وكانت تلك الفترة من حياته فترة اعداد وتكوين ولعل هذه الفترة هى التى اكسبته ضرورة الاعتماد على النفس ، وجعلته يدرك أن العمل المثمر هو الذى يقوم على حسن التدبير ، وكمال الاعداد ، ودوام الرعاية ·

ـ ومن الطبيعى أنه تلقى فى هذه الفترة من حياته مبادىء القراءة والكتابة حتى أتقنها ، كما لا بد وأن يكون قد ألم بالكثير من المعارف الدينية ، وبعض الأمور الفقهية نتيجة لحفظه جانبا من القرآن الكريم ··

ومن المعروف عن جابر بن زيد ـ كما سيتضح ذلك من سيرة حياته فيما بعد ـ أنه كان فطنا شديد الذكاء وقاد البصيرة واسع الأفق ·· وهذا يدعونا الى القول

بأنه لابد وأن يكون قد حصل فى هذه الفترة من حياته جانبا كبيرا من العلوم الدينية ٠٠ والا فما الذى يدعوه الى أن يغادر بلده الى البصرة ـ وسواها ـ ولم يكن فى بلده يشكو فاقة أو يقاسى شظف عيشه ؟ لم يكن دافعه الى ذلك سوى التشوق للمعرفة ، والرغبة الصادقة فى التبحر فى العلم والتزود بكل المعارف التى تصلح بها أمور دينه ودنياه ٠ وكان أول نزوحه الى البصرة ، حيث اتخذها له دار مقام ـ وشاركه فيها من بعد بعض أهله ـ ومن البصرة مضى الى الحجاز ـ لنفس الغاية ـ وظل لفترة طويلة يتردد ما بين البصرة والحجاز ٠

ولا تذكر المراجع التاريخية سنة نزوحه الى البصرة ـ من عمان ـ ومع ذلك ، فمن المرجح أن ذلك كان فى صدر شبابه ٠٠ بعد أن بلغ أشده ، واكتملت رجاحة عقله ، وازداد نهمه الى مزيد من المعارف بعد أن حصل منها ـ فى موطنه ـ القدر الذى يجعله يطمع فى المزيد ويدفعه الى البحث عن منابع أخرى تشبع رغبته وتروى ظمأه ٠ قال العلامة الشماخى جابر بحر العلم وسراج الدين أصل المذهب وأسه الذى قامت عليه آطامه ، خرج جابر فى شبابه من وطنه « فرق » من أعمال نزوى ٠٠ فسكن البصرة طالبا للعلم ٠ (١) ٠

## فى البصرة والحجاز :

وفى البصرة كان مقام جابر بن زيد ، وكان تلقيه الكثير من المعارف وخاصة ما يتعلق منها بعلوم القرآن والحديث وما يتصل بهما ، ولا بد أن يكون قدأتم حفظ القرآن كله قبل أن يتهيأ للرحلة الى الحجاز ولم يكتف الامام جابر بالدراسة فى ( البصرة ) بل اتخذها مقرا له ينشر فيها العلم ويوالى التدريس والتأليف ويهتم بشؤون المسلمين وكانت قضية الخلافة من القضايا التى مرت عليه ودرسها دراسة مستفيضة عميقة وانتهى منها الى رأى ثابت مبنى على روح العدالة فى القرآن ومستمد من القرآن الكريم ومستند على سيرة السلف من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام (٢)

---

(١) العقود الفضية ص ٦٣
(٢) الاباضية فى موكب التاريخ ـ الحلقة الأولى ص ٦٣

أما فى الحجاز كان مقام جابر لفترات عديدة ، وكان حرصه يدفعه الى اطالة المكث بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ، وتلقى العلم عنهم واذا كان حب العلم هو دافعه الى النزوح من موطنه الأصلى فى عمان الى البصرة ، فان هذا الحب نفسه هو الذى كان يدعوه لعدم الاستقرار فى البصرة طويلا ٠٠ وكيف له أن يستقر بها بعد أن لقى كبار الصحابة فى المدينة المنورة ، وصحبهم ، وصاحبهم ، وتتلمذ عليهم ، وأخذ عنهم العلم ، ودارسهم الحديث ورواه عنهم ٠٠ ومن هنا فقد تعددت رحلاته الى الحجاز ٠٠ حتى ليروى أنه كان يرتحل سنويا الى مكة ـ وربما كان ذلك فى موسم الحج ـ وهناك كان يلتقى بابن عباس وغيره من كبار الصحابة ممن كانوا له شيوخا ومعلمين (١)

وهكذا يتبين لنا أنه نذر حياته منذ مطلع شبابه للتعلم والدرس والتحصيل وتلقى العلم من منابعه الأصلية ومن كبار الصحابة أنفسهم وأنه لم يأل فى ذلك جهدا ، وظل على هذا الحرص حتى شهد له كبار الصحابة أنفسهم بالمكانة العلمية الرفيعة ، وبالاصالة فى الفتيا فى الدين ، ورواية الأحاديث الصحيحة عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

## الفصل الثاني
## ثقافته ـ تعليمه ـ شيوخه

### بحر العلوم :

تصف كتب الطبقات جابر بن زيد بأنه « بحر العلوم العجاج ، وسراج التقوى ، ناهيك به من سراج ، أصل المذهب واسه الذى قام عليه نظامه ، ومنار الدين ومن انتصبت به أعلامه ٠٠ صاحب ابن عباس رضى الله عنهما ، وكان أمهر من صحبه ، وقرأ عليه ، كان مقدما معه يشار فى الفتوى اليه ٠٠ وقد ورد أن ابن عباس رضى الله عنه قال : اسألوا جابر بن زيد ، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم

(١) الشماخي : كتاب السير ص ٩٦

علمه ٠٠ ، (١) وكان لجابر بن زيد المكانة العليا مع ابن عباس رضى الله عنهما (٢) ٠

فكيف وصل جابر الى هذه المكانة ٠٠ وكيف تمكن من أن يعد نفسه اعدادا علميا حتى بلغ تلك المنزلة ؟

**محب للعلـم :**

كان جابر ـ كما بينا ـ محبا للعلم منذ صغره ، متشوقا للمعرفة ٠٠ وقد رحل فى مطلع شبابه الى البصرة ليتزود بعلوم القرآن والحديث وما يتصل بها ، كما ذهب الى الحجاز ـ وأقام بين الصحابة ـ مرات عديدة ولفترات طويلة ، وقد أتاح له ذلك أن تتلمذ على أيدى الكثيرين من صحابة رسول الله والتابعين ، وأخذ عنهم الكثير من العلوم : من تفسير وحديث وفقه ٠٠ كما أن مقامه فى الحجاز زاده معرفة باللغة والأدب ٠

ويروى عن جابر بن زيد أنه كان يقول : « أدركت سبعين بدريا فحويت ما عندهم الا البحر ـ ويعنى عبد الله بن عباس ـ واذا كان هذا الامام قد استطاع بما أوتى من جهد وذكاء وصبر أن يجمع علم سبعين بدريا ، فانه ليس غريبا أن يكون جمع من علم بقية الصحابة رضوان الله عليهم ، مالا يبلغه الحصر ، لكثرة عددهم وسهولة الأخذ عنهـم (٣) ٠

**شـيوخ جابـر :**

ومن أهم العلماء ـ الصحابة ـ الذين أخذ عنهم جابر : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ٠٠ وجابر بن عبد الله وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم (٤) ولا نجـد ضرورة لتوضيح مكانة هؤلاء الصحابة الأجلاء فى الدين ، والفقه ، والعلم بالقرآن والتفسير والحديث ، حتى ليؤخذ باجتهادهم ٠٠ فقد أثر عن الصحابة الكثير من

---

(١) الدرجينى : طبقات المشايخ بالمغرب ـ الجزء الثانى ـ ص ٢٠٥

(٢) العقود الفضية ـ ص ٩٥

(٣) من المعروف أن ابن عباس لم يكن من أهل بدر فالاستثناء منقطع ـ راجع العقود الفضية ص ٩٤

(٤) العقود الفضية ـ للشيخ الحارثي ص ٩٤ ـ الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة الأولى ص ١٤٤ ـ ازالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ص ١٨

الآراء الفقهية ، أضيفت على عهد التابعين ـ وتابعى التابعين ـ الى المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكان مجموعها يسمى السنة ـ وما كان ينسب لرسول الله يسمى الحديث ـ وكان لأقوال الصحابة اعتبار فى تاريخ التشريع الاسلامى من بعد ، فان عمر بن عبد العزيز كان يعتبرها حجة ، وأراد أن يجمعها فتكون للناس قانونا متبعا ، يرسله الى الأقاليم الاسلامية ، ليحمل الناس على اتباعه .. وعلى ذلك فقد اعتبرت أقوال الصحابة حجة يجب اتباعها ، والاجتهاد فى نطاقها (١) .

**مع عائشة أم المؤمنين :**

وهكذا كانت صحبة جابر بن زيد لهؤلاء الصحابة ، وأخذه العلم والفقه عنهم ، هى الأساس الذى استمد منه العلم بالدين ، والبصر بالحديث ..

وكذلك كان جابر بن زيد يلتقى بأم المؤمنين : عائشة ـ رضى الله عنها ، ويأخذ عنها العلم ، ويسألها عن سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويناقشها فى كثير من المسائل مما يتعلق بحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصة والعامة .

فقد ورد عن أبى سفيان محبوب ابن الرحيل : قال : دخل جابر بن زيد على عائشة رضى الله عنها ، قال : فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها عنها من قبل ـ حتى لقد سألها عن جماع النبى صلى الله عليه وسلم كيف كان يفعل ، وان جبينها يتصبب عرقا ، وتقول : سل يابنى : ثم قالت له ممن أنت ؟ قال : من أهل المشرق ، من بلد يقال لها عمان ، ويعلق صاحب تحفة الأعيان بقوله : المراد أنه سألها عن مقدمات الجماع التى يجوز السؤال عنها حرصا منه رضى الله عنه على نقل السنة وجمعها ، كى يكون المسلم مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أعماله دقيقها وجليلها (٢) .

قال فى شرح النيل : وقد سأل جابر بن زيد رحمه الله عائشة رضى الله عنها ، عن مسائل لم يسألها عنها أحد، حتى سألها عن جماع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أبو اسحاق معلقا على هذه الرواية بقوله : اعلم أن هذه الرواية قد ردها الشارح رضى الله عنه فى غير هذا الكتاب ولا يبعد أن يكون ذلك فى تفسير ( التيسير )

---

(١) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ج (٢) ص ٢٨
(٢) تحفة الأعيان ج (١) ص ١٠

واحتمل لصحتها أن الامام أبا الشعثاء كان يسألها عن مقدمات الجماع لأن الجماع نفسه لا يجوز السؤالعنه ولا الاخبار به ، فكيف يسأل عنه الامام أم المؤمنين ورجح بطلانها · قلت : لا يصح أن يكون هذا السؤال من الامام جابر بن زيد مع جلالة علمه ومكانته فى الدين ، نعم هو على أشد ما يكون من الحرص على جمع السنة النبوية ، قولا ، وفعلا وتقريرا حفظا للشريعة وأصول التشريع لأن أعماله (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله تشريع لأمته · لكنه لايصح أن يسأل عائشة رضى الله عنها وجبينها يتصبب عرقا حياء على كيفية جماعه ( صلى الله عليه وسلم ) ولا شك أن ذكر البدر الشماخى رحمه الله لها للاحتمال المذكور ·

والرواية عن أبى سفيان محبوب ابن الرحيل رحمه الله التى ذكرناها من أئمة الطبقة الثالثة من التابعين · وهو ثقة محدث مشهور ، ذكرها شمس الدين أبو يعقوب فى ترتيب السند الصحيح ، واذا تأملت وأنت على ذكر من ورع أصحابنا وتثبتهم رأيت أن الرواية ذكرها هؤلاء الثقات الكبار على التأويل الذى جرى عليه القطب ولا يصح خلافه ، فاحذر القيل والخطأ فى حق الأئمة الثقات الذين لا يحوموا أدنى شائبة الريبـة ·

ولنا فى هذه المسألة كلام بسيط فى ذكر أبى الشعثاء وذكر القطب لها هكذا اجمالا ، اما اتكالا على ظهور الاحتمال واما سهوا وجل من لا يسهو · ولقد تمسك بها بعض المخذولين وظنها سهما صائبا وجهه نحو الامام أبى الشعثاء امام أهل الاستقامة وما درى أنه مسه طائف من الشيطان ·· فاستزله عن منهاج الرحمن ، ولو اصطحب معه تقرير السلف وحرصهم على الدين وأصول التشريع لكفى نفسه الآثمة مؤنة القدح ، فى امام أجمعت الأمة على توثيقه (١) ·

**مع ابن عبـاس :**

وكان على رأس الصحابة الذين أخذ عنهم جابر بن زيد كما سبق أن ذكرنا عبد الله ابن عباس المعروف بحبر الأمة وترجمان القرآن وهو من أجلة الصحابة الذين شرفوا بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلوا عنه سيرته العطرة وسنته الشريفة ·

---

(١) شرح كتاب النيل الجزء التاسع ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤

وكان جابر كثير الملازمة لابن عباس والتتلمذ عليه · وكان الود والتقدير متبادلين بين الاستاذ والتلميذ ·· حتى لنجد ابن عباس يقول : لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما فى كتاب الله » ·

وفى رواية أخرى أن ابن عباس كان يطلب من سائليه أن يسألوا جابرا · ويقول : اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه » ·

وقد وصفه عبد الله بن عمر بن الخطاب بأنه من فقهاء البصرة البارزين ·

وهكذا نرى أن جابرا رحمه الله قد اكتسب علما واسعا ، وأصبح ذا قدم ثابتة فى الدين ـ والفقه ـ واحتسب مكانة كبرى فى العراق جعلته أهلا للفتوى فى البصرة ـ الى جانب الحسن البصرى الموجود آنذاك ·

**أهل للفتوى :**

ومما يدل على علو مكانته فى الفتوى والاجتهاد ما يروى عنه من أن عمرو بن دينار وهو أحد العلماء اللامعين فى البصرة آنذاك ، وأحد التابعين من رواة الحديث كان يذكر جابر بن زيد ويقول : ما رأيت أحدا أعلم بالفتوى من جابر بن زيد · كما أن اياس بن معاوية قاضى البصرة فى عهد عمر بن عبد العزيز كان يقول : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان · وكذلك كان الحسن البصرى يثنى على جابر بن زيد ويصفه ( بالفقيه العالم (١) ·

**تلامذة جابر :**

وكما كان جابر تلميذا لابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ، فقد صار ـ بعد أن تمكن من العلم ـ أحد كبار التابعين ، ممن يتلقى عنهم المسلمون أمور دينهم ، ويلتمسون لديهم الهداية ·· كما كان شيخا لكثيرين من الاعلام ، تلقوا عنه العلم ، ورووا عنه الأحاديث الصحاح منهم : قتادة شيخ البخارى وأيوب ، وابن دينار ، وضمام بن السايب ، وحيان الأعرج ، وأبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة (٢) وعنه روى الروبيع ابن حبيب مسنده المشهور فى الحديث (٣) عن جابر بن زيد ·

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج (١) ص ٦٨

(٢) على يحى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ : (١) ص ١٤٥

(٣) الدرجينى : الطبقات ج ٢ ص ٢٧٣

وهكذا كان جابر بن زيد عالما ، وفقيها ، تلقى العلم من منابعه الاولى : عن الصحابة الأجلا ٠٠ وقد وعى عنهم ، وروى الحديث وتفقه فى الدين حتى حق له أن يحتل مكانة الفتيا ، وأن تروى عنه الأحاديث ٠٠ ثم كانت له بعد ذلك مواقفه فيما جدفى حياة المسلمين من أحداث ، وما نجم من فتن ٠٠ ولم يصدر الشيخ فى كل مواقفه الا عما كان يؤمن به ، ويعمل من أجله : كتاب الله وحبله المتين ، وسنة رسوله الأمين ـ عليه أفضل الصلاة والسلام .

وعن الحصى بن جبال أنه قال : لما مات جابر بن زيد ، بلغ موته أنس بن مالك ، فقال : مات أعلم من على ظهر الأرض ـ أو قال : « مات خير أهل الأرض ) (١)

## الفصل الثالث

## حياته العملية ، وآثاره العلمية

### تمهيد ومنهاج :

بلغ جابر من العلم والمكانة ما أهله لأن يعتبر أحد التابعين الفقهاء الذين تؤخذ عنهم الفتيا ، كما يتلقى عنهم العلم بأمور الدين :

وقد سار جابر فى حياته العملية سيرة الرجل الورع الزاهد الذى لا يبغى غير مرضاة الله ٠٠

وقد رويت عنه وقائع ، وأحداث ، وكانت له آراء فى الدين تتفق كلها مع ما ذكرنا من أمر زهده وورعه وتقواه .

كما كان له دور فيما وقع بعد ذلك من أحداث فى حياة جماعة المسلمين وكان ذلك الدور ترجمانا لصادق ايمانه ، كان بمثابة « التطبيق العملى » لما وصل اليه من آراء وما دعا اليه من فقه .

وكان لجابر بن زيد ـ فضلا عن ذلك كله آثاره العلمية التى تتمثل فيما دون من كتب ، وما أنشأ من رسائل ، وان كان معظم ذلك التراث العلمى الرائع لم يكتب

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٥

له ان تحفظ أصوله ، الا ان الاشارة إليه ، والحديث عنه كانا مما أثبتته مراجع الثقاة من العلماء والمؤرخين ٠٠ كما أن رواية من روى عنه ـ وأهمهم الربيع بن حبيب فى مسنده أكدت لنا الى أى مدى كان ذلك التراث رائعا ٠٠

وسوف تنقسم دراستنا فى هذا الفصل الى مباحث ثلاثة :

١ ـ جابر بن زيد : أحد كبار التابعين ٠

٢ ـ جابر بن زيد : وحياته العمليـة ٠

٣ ـ جابر بن زيد : وآثـاره العلميـة ٠

أما عن دوره ـ فيما وقع على عهده ـ من أحاديث ، وما كان له من جهود كان من ثمرتها ظهور المذهب الذى عرف بالمذهب الاباضى ٠٠ هذا الدور الكبير نكتفى الآن بهذه الاشارة اليه ، مرجئين الحديث عنه بالتفصيل المناسب الى الباب الثانى من هذه الدراسة باذن الله ٠

## المبحـث الأول

## جابر بن زيد : أحـد كبار التابعين

**علـم جابـر :**

من الأخبار الثابتة ، التى رواها البخارى : فى التاريخ الكبير ، كما رواها غيره من الثقاة أن عبد الله بن عباس ـ الصحابى الجليل ـ كان يقول : « لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما فى كتاب الله ٠ وفى رواية أخرى أنه كان يحيل سائليه الى تلميذه جابر ، ويقول : « اسألوا جابرا بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه » (١) ٠

كما روى عن ابن عباس أيضا أنه عندما كان يسأله اناس من أهل البصرة ، كان يبادرهم بقوله ، كيف تسألوننى وفيكم جابر بن زيد (٢) ٠ وقال محمد بن محبوب العالم العمانى المشهور من علماء القرن الثالث للهجرة : جابـر أعلم من الحسن

---

(١) البخاري : التاريخ الكبير ج (١) ص ٢٠٤ ـ الذهبى : تذكرة الحفاظ ج (١) ٠

(٢) الدرجينى : ورقة ٧٨ ـ ٨٧

البصرى · ولكن كان جابر لقوم والحسن للعامة : يعنى أنه يعظهم وأما الفتوى فكانت لجابر خاصة (١)

ومما يروى أيضا أن عبد الله بن عمر ـ الصحابى الجليل ـ وصف جابر بن زيد بأنه من فقهاء أهل البصرة البارزين (٢)

**أحد مفتيين بالبصرة :**

فعلام تدل هذه الروايات ؟

انها تدل ـ ولا شك ـ على تلك المكانة السامية التى احتلها جابر بن زيد بين كبار التابعين · قال ابن القيم فى كتابه ( أعلام الموقعين ) بعدما ذكر المفتين من الصحابة ذكر التابعين وابتدأ بأهل المدينة وفقهائها وثنى بمكة المكرمة وفقهائها وثلث بالبصرة الغراء وذكر من فقهائها المفتين الموقعين عن رب العالمين أبا الشعثاء جابر بن زيد ومعروف أنه ثقة باجماع المحدثين والفقهاء (٣)

وما اكتسب جابر تلك المكانة الا بما حرص عليه من التزود بالعلم والتفقه فى الدين والتثبت من رواية الحديث ، ومداومة حفظ كتاب الله الكريم وتدارسه ··

وقد ظل بعد ذلك طلبة السائلين ، ومقصد الراغبين ، يستفتونه فيفتيهم ·· وقد أهلته معرفته العميقة لأن يصبح أبرز مفت فى البصرة بعد الحسن البصرى ، حتى ليروى أنه عندما كان الأخير يخرج الى الجهاد فى الثغور ، يغيب عن البصرة كان يكل مهمة الفتوى الى جابر بن زيد الذى كان صديقا له · ولعل ( الفتوى التى يقصدها هنا وعظ العامة ) ·

عاش فى البصرة ـ كما عاش أكثر زملائه من كبار التابعين ـ ينشر العلم فى المساجد والمجامع ، ويبث الخلق الحميد بين الناس ، ويدعوا الى التمسك المتين بالدين القويم والمحافظة على أصوله وفروعه · ويفتى فى المشاكل التى تعرض للناس

---

(١) العقود الفضية : ص ٩٦

(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ : ج (١) ص ٧٢

(٣) العقود الفضية : ص ٩٣

حتى لقد قال : اياس بن معاوية ( لقد رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد (١)٠

ومما يدل على طول باعه فى ميدان الفتوى والاجتهاد أن عمرو بن دينار وهو أحد العلماء اللامعين فى البصرة آن ذاك وأحد التابعين من رواة الحديث كان يذكر جابر بن زيد ويقول : « ما رأيت أحدا أعلم بالفتوى من جابر بن زيد » (٢) ٠

## تابعى جليـل :

وعلى ذلك يمكن لنا أن نقرر باطمئنان أن جابر بن زيد كان تابعيا جليلا فضـلا عن أنه واحد ممن كانت لهم مكانته فى الافتاء ، وكان لآرائهم فى الدين اعتبارها ٠ لذا كان الذين يسمو فيما بعد ( بالاباضية ) يصدرون عن رأيه فى جميع أمورهم ، كما كان يصدر عنه كثير من غيرهم من المسلمين (٣) ٠

فهو من التابعين باحسان ٠٠ أولئك الذين كان لهم دور كبير فى تأصيل الفقه الاسلامى ٠٠ ويتلخص (٤) هذا الدور فى عملين :

أولهما : جمع المروى والثابت من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكذلك جمع المروى من أقوال الصحابة واجتهاداتهم ٠٠ وكان من يسر ذلك أن كل تابعى كان تلميذا لصحابى أو أكثر ينقل علمه الى من بعده ٠ وقد علمنا أن جابر بن زيد كان ممن تتلمذ على عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر والسيدة عائشة أم المؤمنين ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ وكان من الطبيعى أن يروى عن كل هؤلاء ما يحفظون من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ٠٠ بل كان حرص جابر على ذلك لا مثيل له ٠٠ كان يسأل ويلح فى السؤال ، وكان يتطرق الى مختلف النواحى فى رغبة صادقة ومخلصة للاحاطة الشاملة ٠ وقد مر بك حديثه مع السيدة عائشة عن سؤاله لها عن أخص خصائص الرسول حرصا منه رضى الله عنه على نقل السنة وجمعها ، كى يكون المسلم مقتديا برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى كل أعماله ــ دقيقها وجليلها ــ ٠

---

(١) الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة الأولى ص ١٤٣

(٢) د٠ عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ــ ص ٨٨

(٣) الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة (١) ص ١٤٥

(٤) محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ــ ج (٢) ص ٢٩ وما بعدها ٠

وثانى العلمين : تجسيده لما قام به التابعون من اجتهادات فيما لم يعرف عن الصحابة رأى فيه ، وليس فيه نص من قرآن أو سنة ، فكان لهم اجتهاد وراء ما ينقلون من أحاديث وفتاوى ، دون أن يخرج عن منهاج الصحابة ٠

على أن الأخذ ـ أو القول ـ بالرأى ٠٠ والذى عرف نقليا بعد الاجتهاد ، ووضعت له أقيسة وأصول ومناهج ـ هـذا القول بالرأى اختلف منهجـه فى عصر التابعين ٠ « لأن التابعين فى اجتهادهم ، منهم من كان يفتى برأيه غير متوقف اذا لم يجد نصا ولا فتوى صحابى ، ومنهم من لا ينطلق فى الاجتهاد ان لم يجد ما يعتمد عليه من السنة أو القرآن الكريم ٠٠٠٠ وبذلك وجد نوعان من الفقه : فقه الرأى وفقـه الأثر ، واشتهر فريق من الفقهاء ، بأنهم فقهاء رأى وآخرون اشتهروا بأنهم فقهاء أثـر » (١) ٠

ـ فمن أى الفريقين كان جابر بن زيد ٠٠ ؟

ـ وهل لنا أن نتابع فى ذلك بعض من كتبوا فى هذا المجال اذ وضعوا قاعدة عامة فحواها أن أهل الحديث أكثرهم بالحجاز ، وأكثر أهل الرأى كانوا بالعراق ؟

انهم يستندون فى ذلك الى ما كان يرمى به فقهاء المدينة سواهم ـ وبخاصة من فى العراق ـ ببعدهم عن السنة ، وأنهم يفتون فى الدين بآرائهم ٠

وحاش لله أن يكون الأمر كذلك ، فليس هناك بين الفريقين من يشك فى الأخذ بالسنة ، بل كلاهما يأخذ بها ويقبلها ويلتزم بالأخذ بها ان ثبتت ٠٠ أن ذاك أما أساس الاختلاف فهو انما يرجع الى مقدار الأخذ بالرأى وتفريع الأحكام ، فقد كان أهل الأثر لا يأخذون بالرأى الا اضطرارا وفى حالة الضرورة فقط ٠٠ أما أهل الرأى فانهم يكثرون من الافتاء فى المسائل بالرأى ما دام لم يصح لديهم حديث فى الموضوع الذى يجتهد فيه (٢) ٠

ومع ذلك فان المدينة كان بها من التابعين الذين أخذوا بالحديث أو السنة ، وكذلك الذين أخذوا بالرأى ٠٠ بل كان فيها من هؤلاء الذين أخذوا بالرأى عدد كبير ٠٠

---

(١) المرجع سالف الذكر ـ ص ٣١ ـ ٣٢

(٢) المرجع سالف الذكر ـ ص ٣٢ ببعض تصرف ٠

**راو للحديث وصاحب رأى :**

وكان جابر بن زيد من التابعين الذين اقاموا بالعراق ، وتصدوا بحق للفتيا ـ وهم لها أهل ـ ذلك الى جانب روايته للحديث ، من أهل الرأى الذين يصدرون فى أقضيتهم عن علم صحيح بما ورد فى كتاب الله الكريم وبما ثبت من سنة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام وسنة أصحابه الأخيار ، ثم يقيس مستلهما وجه الحق وحـده ·

وسوف نورد ان شاء الله فى المبحث الرابع أمثلة لذلك كله : مما يؤكد مكانته كراو للأحاديث الصحاح ومفت بما أنزله الله من الحق ·· ونكتفى الآن بذكر هاتين الواقعتين :

ـ قال أبو سفيان : كانت جدة أبى يقال لها ام الرحيل ، والرحيل أبى ، وبـه يسمى ، واسم جدى العنبر ، وكانت أم الرحيل قد كبرت حتى لم تطق الصيام · قال : فاتى بها أبناها الرحيل والعنبر الى جابر ، فقالا : يا أبا الشعثاء ، ان أم الرحيل قد كبرت فلا تطيق الصيام ، وكما ترى انها لعلى قيد الحياة بعد ·

قال : فصوما عنها ـ قال : فتنافسا فى ذلك · قال : وكان الرحيل أكبر من العنبر ، فصام عنها الرحيل ، فلما كان فى العام الثانى آتاه ، فأعلماه أيضا بحالها ، فقال : ما كنت أمرتكم به فى العام الأول ؟ قال : أمرتنا أن نصوم عنها · قال : فأطعما عنها · فأطعم عنها العنبر (١) ·

فانظر كيف يرغب فى فعل الخير ، وكيف يحث من يسأله فى المسارعة الى طاعة الله ، والبر بالفقراء ··

ـ تلك واحدة ·· أما الثانية : فقد رأى أحد الحجبة يصلى فوق الكعبة ، فنادى ـ أى أن جابر بن زيد قد نادى ـ : « يا من يصلى فوق الكعبة لا قبلة لك » ·

وكان ابن عباس فى ناحية من المسجد ، فسمعه فقال : ان كان جابر بن زيد فى شىء من البلد ، فهذا قول منه (٢) ·

---

(١) الدرجينى : الطبقات الجزء (٢) ص ٢١٠ ـ العقود الفضية ص ١٠٢

(٢) على يحى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ : ح (١) ص ١٤٩ ـ العقود الفضية ص ٩٥ ·

# المبحث الثـاني

## جابر بن زيد ، وحياته العملية

**حياته بالبصرة :**

نشأ جابر بعمان ، وتلقى العلم فى البصرة والحجاز ، ولكنه عاش معظم حياته فى البصرة ·· وقد سار فى حياته بالبصرة سيرة أهل العلم الكرام ·· وقد تشعب نشاطه الى ناحيتين : الأولى تفقهه فى الدين وعمله بالفتيا ·· والناحية الثانية دوره كامام لمذهب كان لاتباعه موقف مما جرى من أحداث وفتن ، وكانت لهم دعوة رأوا فيها ـ متابعة جابر بن زيد ـ الحل الأمثل الذى يتوافق مع الكتاب ، وصحيح السنة ·

وسوف نعرض لهاتين الناحيتين فيما بعد : ففى المبحث التالى سوف نتحدث عن نشاط جابر بن زيد العلمى ، أما دعوته ـ ومذهبه ـ فهما موضوع البابين الثانى والثالث ·

**ملامح من حياته بالبصرة :**

على أن لجابر بن زيد ـ فيما عدا هاتين الناحيتين ـ سيرة وحياة ومواقف نرى استكمالا للصورة أن نورد بعضا من ملامحها ·

ـ فمن المعروف عن جابر بن زيد أنـه عاش فى البصرة حياة زهـد وتقشف وانصراف عن لهو الدنيا وترفها ـ وكان يقول : « سألت ربى ثلاثا فأعطانيهن : سألته زوجة مؤمنة ، وراحلة صالحة ورزقا كفافا يوما بيوم (١) ·

وكان يخاطب أصحابه ويقول : « ليس منكم أغنى منى ، ليس عندى درهم ، وليس على دين (٢) ·

ويذكر ابن سيرين « أن أبا الشعثاء كان مسلما عند الدينار والدرهم (٣) أى أن همه لم يكن منصرفا الى جمع الدنانير والدراهم بل الى الباقيات الصالحات ، فهن عند الله خير وأبقى ·

---

(١) الدرجينى ـ الطبقات جـ ٢ ـ ص ٢١٣ ـ العقود الفضية ص ١٠٢

(٢) المرجع سالف الذكر ـ ص ٢١٤

(٣) ابن سعد ـ الطبقات ـ ج ٧ ـ ص ١٣١

ـ كما عرف عن جابر بن زيد الزهد والتقوى والورع ، وخشية الله وقد ذكر أبو سفيان قال : أصاب الناس على عهد جابر بن زيد ظلمة وريح ورعد ، ففزع الى المساجد ، قال : فخرج أبو الشعثاء الى بعض المساجد فجلس فيه يذكر الله ، والناس فى تضرع وضجة ، قال فلما انجلت تلك الريح ، وتلك الظلمة أخذ الناس ينصرفون فقال لهم : انما خفتم طى الدنيا والافضاء الى الآخرة ، قالوا : نعم : لقد خفتم أمرا عظيما عليكم أن تخافوه · ثم قال : أين تذهبون الآن ؟ قالوا : الى منازلنا · قال : لقد خفتم أمرا عظيما ففزعتم الى الدعاء · ولو جاء ما خفتم لم يغن عنكم ما كنتم فيه شيئا · فالآن اذ رد الله عليكم دنياكم فاعملوا حين قبول العمل ، وأما ما كنتم فيه ، فلو كان الأمر ما خفتموه لم يغن عنكم دعاؤكم من الله شيئا (١)

وقال أبو سفيان : خرجت آمنة زوج جابر الى مكة ذات سنة ، فأقام جابر تلك السنة ـ قال : فلما رجعت سألها عن كريها (٢) ـ فذكرت منه سوء الصحبة ، ولم تثن عليه بخير · قال فخرج اليه جابر ، فأدخله الدار ، فأمر أن يشترى لابله علفا ، وعولج له طعام ، فلما تغذى خرج به الى السوق ، فاشترى له ثوبين ، فكساهما اياه ، ودفع اليه ما كان مع آمنة من قربة وأداة وغير ذلك من آلات السفر · قال : فقالت له آمنة : أخبرتك بسوء الصحبة ، ففعلت معه ما أرى ! قال : أفنكافيه بمثل فعله ، فنكون مثله ؟ لا · بل نكافيه بالخير خيرا ، وبالاساءة احسانا (٣)

فانظر هداك الله مدى تمسكه بخلق القرآن ، ودفعه بالتى هى أحسن ·

ـ وقال : اطلع أبو الشعثاء يوما ، فاذا برجل من الأكارين يبكى ، ويصيح · فقال : مالك ·· ويحك ؟ فقال : ان فتيان دربكم هذا نزعوا منى قنوى (٤) نخل جئت بهما الى صاحب الأرض ، فأخاف ألا يصدقنى · قال : فبعث جابر الى رجل من أصحابه له نخل ، فأخذ قنوين فدفعهما اليه ·

ـ وقال أبو سفيان : كان جابر بن زيد يحج كل سنة ، فلما كان ذات سنة بعث

---

(١) الدرجينى ـ الطبقات ج ٢ ـ ص ٢٠٦

(٢) الكـرى « بتشديد الياء » : المكارى ·

(٣) راجع الخبرين فى الدرجينى : المصدر سالف الذكر ـ ص ٢١٠ ـ ٢١١ العقود الفضية ص ٩٦ـ٩٧

(٤) القنو : هو العذق بما فيه من الرطب ·

اليه والى البصرة أن لا يبرح العام فان الناس اليه محتاجون ، فقال : لا أفعل ٠فحسبه ، فلما كان غرة ذى الحجة جاءه الناس ، فقالوا : أصلحك الله قد هل هلال ذى الحجـة ، فأرسل اليه ، وأخرجه من السجن ٠ قال : فأتى الى داره ، وله ناقة قد أعدها للخروج ، فأخذ يشد عليها الرحل ، ويقول : ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ٠ ثم قال : يا آمنة ، عندك شىء ؟ قالت : نعم ٠ قال : فاجعليه فى جرابى ٠ قال : فهيأت له زاده ، ثم قال : من سألك فلا تخبريه بمسيرى يومى هذا ٠ قال : فخرج من ليلته ٠ قال : فانتهى الى عرفات والناس بالموقف ، قال : فضربت بجرانها (١) الارض ، وتجلجلت ٠ فقال الناس : ذكها ذكها يا أبا الشعثاء قال : حقيق لناقة رأت هلال ذى الحجة بالبصرة أن تفعل هذا ، ثم سلمها الله ٠ قـال : وكان قد سـافر عليها أربعا وعشرين سفرة فى حجة وعمرة (٢)

ـ وقد كان من خبره حرصه على عدم تولى أى منصب رسمى ٠٠ وقد عرض عليه الحجاج أن يوليه أمر القضاء ، فتهرب من ذلك ، بل وعمـد الى الحيلة حتى لا يضطر الى القبول ٠٠ فقد روى أبو سفيان أن جابر بن زيد وفد ـ فيما كان يفد فيه الى يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج ، وكان به خاصـا ٠ قال فأدخله يزيد على الحجاج فكان فيما كان يسأله أن قال له : أتقرأ ؟ قال : نعم ٠ قال : أتقرض ؟ قال : نعم ٠ فعجب الحجاج ، ثم قال : ما ينبغى لنا أن نؤثر بك أحدا ، بل نجعلك قاضيا بين المسلمين ، قال جابر : انى أضعف من ذلك ، قال : وما بلغ ضعفك ؟ قال : يقع بين المرأة وخادمها شر فلا أحسن أن أصلح بينهما ٠ قال : ان هذا لهو الضعف ٠٠ ولم يوله بالفعل القضاء (٣)

ترى ما سبب امتناع جابر عن تولى القضاء وقد كان من اصلح الناس له ، وأحسنهم على القيام بأمره ، ولم يكن به شىء من الضعف الذى وصف به نفسه ٠ ما أحسب الا أن ذلك يرجع الى ذلك النهج الذى اختطه لنفسه فى دعوته ٠٠ فقد كان

(١) الجران : باطن العنق من البعير وغيره ـ ويقال له مقدم العنق ٠

(٢) الدرجينى : الطبقات جـ ٢ ـ ص ٢٠٨ ـ الاباضية فى موكب التاريخ ١٤٨ ـ الحلقة الاولى ٠

(٣) الدرجينى ـ ورقة ٩١ ـ السير للشماخى ص ( ٧٤ ) الاباضية فى موكب التاريخ ح (١) ص ١٤٦ ـ العقود الفضية ص ١٠٠

نهجه يقوم ـ كما سوف نبين ذلك ـ على التستر ، وعدم موجهة من بيدهم الامر ٠٠ وكان شديد الحرص على سرية معتقده ٠

**اى رجـل هـو ؟**

تلك هى وقائع رويت عن حياة جابر بن زيد فى البصرة ٠٠ راعينا فى اختيارها لكونها تكشف بعض ملامحه وصفاته وسيرته فى مقامه بالبصرة ٠

واننا لنتبين مما تقدم بجلاء أنه كان فى حياته زاهدا متقشفا ، يرضى ـ من حياته ـ بالقليل ، انصرفت نفسه عن عرض الدنيا تماما ، ولم يشغل قلبه بغير أمر الآخرة ٠٠ فهو ـ فى دنياه ـ من أغنى خلق الله ، ليس مدينا لأحد ، ولا طامعا فى فضل أحد ٠٠ وماذا يريد من دنياه أكثر مما سأله ربه فأعطاه الزوجة الصاحة المؤمنة والرضا والعيش الكفاف ٠٠ انه بذلك لهو الغنى القانع الشاكر ٠ وأنه أذكى من أن تنطلى عليه زخرفة بدعة ظاهرة أو خافية ، وأخشى لله من أن يرى منكرا ، ويسكت عنه وأشجع من أن يؤيد عمل الظالمين (١) ٠

وانه لمن أخشى خلق الله لله ، وأكثرهم تقوى وأشدهم ايمانا ٠٠ لا معاذ له سوى الله ، ولا سند له غيره سبحانه وتعالى ، هو وحده صاحب الامر والنفع والضر ، وكان جابر فى ايمانه بذلك الرجل العالم العامل وليس الجاهل المتكاسل ٠

ثم انه ـ فى حياته ـ يسلك سلوك الرجل الذى آمن فصدق ايمانه : يعفو عند المقدرة، ويصفح عمن أساء اليه، ويقابل السيئة بالحسنة٠امتلأ قلبه بالايمان باللهوأفاض على لسانه دعوة مخلصة الى دين الله وعلى جوارحه عملا صالحا بما يرضى الله ٠

قالت هند بنت المهلب : « كان جابر بن زيد أشد انقطاعا الى والى أمى ، وكان لا يعلم شيئا يقربنى الى الله عز وجل الا أمرنى به ولا شيئا يباعدنى عنه الا نهانى عنه وكان ليأمرنى أين اضع الخمار من جبهة المرأة المسلمة ، وتضع يدها على الجبهة لتبين موضع الخمار من جهة المرأة المسلمة ولو التمست مثل هذه الشهادات عن علم جابر وأخلاقه أو دينه أو ذكائه وعبقريته لكثرت هذه الشهادات وأخذت وقتا ومكانا ٠

كان يدعو الى ذوى السلطة بالتزام السنة واتباع سيرة السلف الصالح ،

---

(١) ازالة الوعثاء ـ ص ٢٥ ـ الاباضية فى موكب التاريخ حـ (١) ص ١٤٩ ٠

واقامة العدل بين الناس ، وتنفيذ شرع الله · كما جاء به منهج الله عز وجل ·

وهذه الدعوة هى أكره ما يكرهه الظلمة المستبدون فى كل عصر وفى كل مصر ، ولذلك فقد بذلوا ما لديهم من قوة ، واستعملوا كل وسيلة لكى يحولوا دون هذه الدعوة ويمنعوها من أن تبلغ الناس على حقيقتها وصحتها ووضوحها لكى تبقى الأمـة وادعة مستسلمة ويستمر الشعب صابرا منتظرا ، ويسود الجميع القناعة والصـبر ولكن هيهات أن يسكت حملة الحق عن الدعوة اليه ، وأن تنطمس نور الحقيقة ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول معلما أمته ان أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر يقتل بها صاحبها ) · وكان رحمه الله يعطف على الفقير ويغيث الملهوف ويدعو النـاس ـ فى كل وقت الى الله ويدعوهم الى الرجوع اليه كلما حزبهم الأمر ، والى مداومة العمل الصالح حتى لايبوؤا بالخسران ·

وكان جابر بن زيد ـ فضلا عن ذلك كله ـ قويا فى الحق ، شديدا فيما يتصل بأمر الله ، لا يمالىء ولا يحيد ، وانما هى الدعوة الصادقة ، وهو الحق ما يبغى ويقول مهما حزب الأمر ·

كما نعلم أنه رغم اقامته فى البصرة ، الا أنه كان شديد التعلق بالحجاز ، كثير الارتحال اليها ، فلا يمضى عام الا وشد الرحال اما معتمرا أو حاجا ·· ثم ليلتقى أثناء ذلك بكبار الصحابة والتابعين ·· يأخذ عنهم ويأخذون عنه ، فلا تنقطع بذلك صلته بهؤلاء العلماء الأجلاء الذين تلقوا العلم بدينهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكانوا بذلك الأئمة والهداه ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ·

**وفاتـــه :**

أوردت بعض الروايات أن جابر بن زيد كان قد أبعد ـ فى أخريات أيامه ـ الى عمان لأسباب سوف نعرض لها فيما بعد باذن الله تعالى ·· غير أن الروايات تجمع على أنه عاد ـ بعد فترة من ابعاده ـ الى البصرة ، ومات فيها ·

وتختلف المصادر حول تاريخ وفاته اذ يذكر بعض الرواة أنه توفى فى نفس الاسبوع الذى توفى فيه أنس بن مالك ـ وقد توفى الأخير فى عام ٩٣ هـ (١) ويرى

---

(١) الربيع بن حبيب : المسند ج (١) ص ١٠٢

البعض الآخر أنه توفى عام ١٠٣ هـ أو فى عام ١٠٤ هـ (١) بينما يحدد الشماخى تاريخ وفاته فى عام ٩٦ هـ (٢)

ومن المرجح أن وفاته كانت حوالى عام ٩٣ هـ لأن أغلب الـرواة حددوا ذلك التاريخ فضلا عن أنه « جاء على السنة رواة الحديث الذين يهتمون الى حد كبير بحياة كل محدث وتاريخ وفاته ، وكان جابر أحد هؤلاء المحدثين » (٣)

ـ هذا ٠٠ ومما حدث به أبو سفيان عن وفاة جابر بن زيد ٠٠ قال : لـما حضرت جابر بن زيد الوفاة أتاه ثابت البنانى ، وقال : يا أبا الشعثاء هل تشتهى شيئا ؟ قال : انى لا أشتهى الا أن ألقى الحسن قبل أن أموت ٠ قال : فخرج ثابت البنانى ، فدخل على الحسن البصرى فأعلمه بقول جابر بن زيد ٠ قال : وكان الحسن اذ ذاك مستخفيا ، فقال : كيف لى بذلك ؟ قـال اركب بغلتى عـلى السرج وأنا أردف خلفك ، وأعطيك طيلسانى ، وأرجو أن لا يعرض لنا ٠ قال : ففعل ، ودخل على أبى الشعثاء وهو مضطجع فانكب عليه الحسن وهو يقول : يا أبا الشعثاء قل لا اله الا الله ، فرفع جابر عينيه فقال : أعوذ بالله من غد واورواح الى النار ، فقال له الحسن : يا أبا الشعثاء ، قل لا اله الا الله ٠ قال : فقال أعوذ بالله من غدو أو رواح الى النار ، ثم قال : يا أبا سعيد « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا (٤) ٠ قال : فقال الحسن « هذا والله الفقيه العالم « ثم قال : يا أبا سعيد حدثنى بحديث ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المؤمن اذا حضرته الوفاة ٠٠ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المؤمن اذا حضرته الوفاة وجد على كبده بردا » (٥) ٠

فقال جابر : « الله أكبر ، والله انى لأجد بردا على كبدى « الأزمة الى أن صعدت روحه الى بارئها ٠

ـ وقد حدث أبو سفيان قال : ولما مات جابر بن زيد أتى قتادة وهو اذ ذاك قد

---

(١) ابن سعد : الطبقات ج ٧ ض ١٣٣

(٢) الشماخى : السير : ص ٧٧

(٣) د٠ عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ـ ص ١٠٢

(٤) آية ١٥٨ سورة الانعـام ٠

(٥) الدرجينى ـ ص ٢٠٦ ـ طبقات المشايخ ج (٢) ص ٢٠٧ ـ العقود الفضية ص ١٠٠

عمى ، وقال : ادنونى من قبره · قال : فادنوه حتى وضع يده على قبره ، ثم قال : اليوم مات عالم العرب ·· (١)

تلك كانت حياة جابر بن زيد فى البصرة ، وهى حياة عمل وتقوى وقدوة بالمثل الصالح ·

وقد كان لتلك الحياة ـ كما أشرنا من قبل ـ جانبها العلمى تمثل فيما روى من حديث ، وما أدى من اجتهاد ـ وذلك هو ما نعرض له بشىء من التفصيل فى المبحث التالى ان شاء الله ·

# المبحـث الثـالث
# جابر بن زيد ، وآثـاره العلمية

**تمهيـد :**

لجابر بن زيد ـ كفقيه تابعى وراو للحديث عن الثقاة من الصحابة ـ مكانة عظيمة بين فقهاء الاسلام ومحدثيه ·

وان هذه المكانة قد تأكدت مما نقل عنه من أحاديث وفتاوى ومدونات ·

فجابر بن زيد لم يكتف ـ فى روايته للحديث ـ بالرواية الشفوية بل دون ما وعى من أحاديث فى كتابه المسمى « ديوان جابر » · فهذا الديوان له رنة فى صدر الاسلام وكان موضع تنافس بين دور الكتب الاسلامية واستطاعت مكتبة بغداد أن تتحصل عليه وأن تبخل به عنغيرها من المكتبات ولم تنقل منه الا نسخة واحدة كافح أحدعباقرة (نفوسة)للحصول عليها فىقصة سنسردها مختصرة فيما بعد (٢) ·فان كان هذا الكتاب ـ قد ضاع مع ضياع كنوز خلفها الأوائل ، فان ما نقل عنه من أحاديث ـ قد أذن له أن يحفظ وأن يصل الينا بفضل تلميذه الربيع بن حبيب صاحب « المسند » ذى السلسلة الذهبية فى أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ·

أما فقه جابر وفتاويه ·· فانها رغم أهميتها وأصالتها وشيوع الأخذ بها الا

---

(١) الدرجينى ـ الطبقات الجزء ٢ ص ٢٠٩

(٢) الاباضية فى موكب التاريخ ح (١) ص ١٤٩

أننا نجد أن فقهاء الاباضية لم يوضحوا نسبتها كلها اليه ٠٠ بل يذهبون عادة فى تقرير أحكامهم الى أن « والقول عندنا » أو « وعندنا » أو « ويقول شيوخنا » ، ولا يحرصون كثيرا على نسبة آراء جابر اليه ٠٠ وان كان واقع الحال أن أغلب فقه الأباضية يستند الى رواية جابر اما حديثا فيما روى من أحاديث ثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام واما رأيا يوجد أصله وسنده فيما ينص عليه الكتاب الكريم وأثبتته السنة المطهرة ٠

ومع ذلك ٠٠ فتوجد بقية من رسائل عدة لجابر بن زيد ، كان قد بعث بها الى كثيرين من أعلام عصره ، تتضمن أجوبة عن مسائل فقهية ٠٠ وتكشف هذه الرسائل عن مدى اصالة هذا الفقيه العالم ٠٠

وعلى ذلك فان حديثنا عن الآثار العلمية لجابر بن زيد سوف يتناول ناحيتين :

١ ـ رواية جابر للاحاديث النبوية ٠

٢ ـ فقه جابر وفتاويه ٠

**١ ـ رواية جابر للأحاديث النبوية :**

من ذلك ( ديوانه ) الذى ضمنه الأحاديث التى رواها عن الرسول عليه الصلاة والسلام باسناد صحيح ٠٠ ويقال أنه ضمنه أيضا آراءه وفتاويه فى أمور العقيدة ، ويقال أن ديوانه كان من الضخامة بحيث يعجز عن حمله البعير ، ويقع فى عشر أجزاء كبيرة (١) ٠

ويذكر أيضا أن نسخة من الديوان قد بقيت ، بعد موت جابر ، فى حوزة تلميذه : أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى ثم توارثها أئمة الاباضية فى البصرة ٠ وفى عهده استنسخت المخطوطة فى مكة ٠٠ كما يروى أن أحد علماء الاباضية من جبل نفوسة فى ليبيا ويدعى النفاث فرج بن نصر ـ وهو مؤسس الفرقة النفاثية الاباضية ـ استطاع أن يحصل على نسخة كاملة من ديوان جابر بن زيد وأتى بها الى جبل نفوسة ٠ ولما كان نفاث عدوا للامام الرستمى فى ( تاهرت ) ولعامله فى جبل نفوسة ، فقد أتلف المخطوطة حتى لا يستطيع مناوئوه الحصول عليها أو حتى استنساخها (٢) ٠

---

(١) السالمى : اللمعة المرضية ـ ص ١٨٤ ـ د٠ عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ص ٨٩ وأيضا : على يحى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ ص ١٤٩ ـ الحلقة الاولى ٠

(٢) المصدر المذكور : ص ١٥٠

ويعلق أحد الباحثين المعاصرين (١) على ما تقدم بقوله : « اذا صحت هذه المعلومات حول ديوان جابر فان الباحث يستطيع أن يقرر بأن الأباضية كانت أول المدارس الاسلامية التى عنيت بتدوين الحديث ، ولعل بعض المؤلفات ـ والتى لا تزال مخطوطة ـ والمروية عن جابر بن زيد أو المنسوبة اليه ، انما هى قطع من هذا الكتاب الكبـير » ٠

ولا يسعنا الا الموافقة على هذا الرأى مضيفين الى ذلك ٠ أن هذه الحقيقة يؤكدها أمـران :

ـ الامر الأول : مسند الربيع بن حبيب ، وقد وصـل الينا يضـم الاحاديث النبوية التى رويت عن جابر بن زيد ٠٠ وهو من أقدم كتب الحديث وأصدقها رواية ٠٠ وقد يكون الربيع استند فى الكثير مما أثبته من أحاديث الى ديوان جابر ٠ الى جانب الروايات التى وردت سواء من طريقه أو من طريق غيره فى (مدونة) أبى غانم الخراسانى رحمه الله ٠

ـ الأمر الثانى : ما بقى من رسائل جابر ، فانها تكشف عن فقيه حريص على تسجيل فقهه وتقديم أسانيده ، ومما يدل على حرصه فى ذلك ٠ أنه رأى يوما أحد طلابه يكتب شيئا أثناء الدرس فنهاه ان يكتب شيئا غير آية محكمة ، أو سنة متبعة ، أما رأيه فلا عبرة به لانه قد يجد فى المساء حجة أقوى من التى يستند اليها فى الصباح فيرجع عنه الى ما يثبت بالدليل الأقـوى ويذهب الطالب بما كتب ينشر الباطل فى الناس (٢)

**(ب) مسند الربيع بن حبيب :**

يعتبر هذا المسند من أصح كتب الحديث سندا ، وأعلاها مستندا كما يصفه شارحه الذى يمضى فيقول : فما أحق متنه أن يوصف بالعزيز وما أجدر سنده أن يدعى بسلاسل الابريز لشهرة رجاله بالفقه الواسع ، والعلم النافع ، والورع الكامل ، والفضل الشامل ، والعدل ، والامانة والضبط والصيانة (٣)

---

(١) دكتور عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ص ٨٩

(٢) الاباضية فى موكب التاريخ ص (١) ١٤٥ ـ ١٤٦ ح (١)

(٣) شرح الجامع الصحيح الجزء (١) ـ والفقرة المنقولة فى المتن من الجزء الاول ص ١

فمن هو الربيع بن حبيب ؟ وما دور جابر بن زيد فى مسنده ؟ وما هو مسند الربيع ؟

ـ أما الربيع بن حبيب : فهو ابن عمرو الأزدى الفراهيدى البصرى ، وهو من فراهيد من ( غضفان ) (١) من عمان ، وقد رحل فى صدر شبابه الى البصرة حيث صحب أبا عبيدة ـ وسيأتى ذكره ـ فتعلم عليه ، وأخذ عنه ، كما أخذ عن كثيرين من علماء البصرة ، وقد رجع الى عمان فى أخريات أيامه ٠٠ وقد أدرك الربيع فى البصرة جابر بن زيد ٠

وقد أخذ القليل عن جابر ٠٠ حتى قيل « ما قل ما حمل عنه ، وأكثر ما حمل من العلم عن ضمام عن جابر ٠٠ وكان الربيع يقول : أخذت الفقه من ثلاثة : أبى عبيدة وأبى نوح وضمام (٢) ٠٠ وكان الربيع معروفا بالتقوى والورع ، حتى قيل أن اناسا من أهل البصرة قالوا : انظروا لنا رجلا ورعا قريب الاسناد حتى نكتب عنه ونترك ما سواه ، فنظروا فلم يجدوا غير الربيع ، فطلبوا منه ذلك ، وكان يروى لهم عن ضمام أو عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس (٣)

وهكذا نرى أن الربيع كان يعيش فى أواخر القرن الأول الهجرى ، وطالت حياته حتى منتصف القرن الثانى الهجرى وقد أدرك وصاحب الكثير من كبار التابعين ٠

ـ وكان ممن عرفهم وأدركهم جابر بن زيد ، ولكن صحبته لجابر لم تطل ، فقد كان جابر فى أخريات أيامه ، والربيع فى صدر شبابه ٠٠ ومن ثم فقد طالت صحبته لتلميذ جابر وهو أبو عبيدة مسلمبن أبىكريمة التميمى،نسبة الى تميم ـ قبيلة عظيمة من نزار ـ قال البدر الشماخى عنه ، كان مولى فيهم ، توفى فى ولاية أبى جعفر ٠٠ تعلم العلوم وعلمها، ورتب روايات الحديث وأحكمها ٠ وقيل انه أدرك من أدركه جابر بن زيد، فروايته عن جابر رواية تابعى عن تابعى ٤)

ـ وهكذا نجد أن رواية الربيع انما جاءت عن طريق أبى عبيدة الذى روى عن شيخه جابر بن زيد ٠٠ وان كانت قد وردت أحاديث قد رواها أبو عبيدة عن آخرين غير

---

(١) غضفان بلدة بالباطنة ٠

(٢) شرح الجامع الصحيح للعلامة نور الدين السالمى ص (٤) ٠

(٣) المرجع المذكور ص (٥) ـ

(٤) ازالة الوعثاء ـ ص ٤٠ ـ ٤١

جابر ، فتلك قلة قليلة ، لكن معظم ما ورد فى المسند ، فهو رواية جابر بن زيد عن أحد الصحابة ٠

ــ وعلى ذلك فدور جابر بن زيد هو دور الرواية الثقة الذى حفظ الأحاديث ونقلها فى أمانة الرجل الورع التقى ، والفقيه الحريص البصير ٠

ــ وقد ذكر أئمة الحديث أن رتب الصحيح تتفاوت الأوصاف المقتضية للتصحيح ، وأن المرتبة العليا ما أطلق عليه بعض رجال الحديث أنه أصح الاسانيد الثلاثة ، كسند الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، وسند ابراهيم النخعى عن عقلمة عن ابن مسعود ، وسند مالك عن نافع عن ابن عمر ، وهو قول البخارى ، لأن هذه الأسانيد قصيرة السند ، وقريبة الاتصال بالينبوع المحمدى ، واشتهر رجالها بقوة الحفظ والضبط ، وكمال الصدق والصيانة والأمانة ٠٠ ويسمى هذا الاسناد بسلسلة الذهب (١) ٠

ويشبه هذه السلاسل مسند الربيع بن الحبيب وثلاثياته : أبو عبيدة عن جابر ابن زيد عن ابن عباس ٠ ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال ، وأحفظهم وأصدقهم ، لم يشب أحايثها شائبة انكار ، ولا انقطاع أو اعضال ، لأن الثلاثيات بأجمعها موصولة باتصال اسنادها ، ولم يسقط من أسانيدها الثلاثية أحد (١) ٠

وعلى ذلك فان ثلاثيات الربيع بن حبيب الأزدى ، وأحاديثها مسندة من أصح الاحاديث رواية ، وأعلاها سندا ، ورجال سلسلة الثلاثية الحلقات هم ــ كما ذكرنا ــ أبو عبيدة التميمى ، وجابر بن زيد الازدى والبحر عبد الله بن عباس شيخ جابر وغيره من الصحابة ، وهم بأجمعهم مشهورون بالحفظ والضبط والأمانة والصيانة (٢) ٠

ــ أما مسند الربيع : فقد تداوله تلاميذ ( الربيع ) مخطوطا ، وتعددت نسخه ، ولم يكن ــ فى أول الأمر ــ مرتبا ــ أو مصنفا ــ على نحو موضوعى ، بل كان جامعا للاحاديث بأسانيدها ، وتحرير نصوصها ٠٠ وقد قام أحد الفقهاء وهو : أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتى الوارجلانى من أهل وارجلان بأرض المغرب ــ باعادة

---

(١) عز الدين التنوخى : مقدمته لشرح مسند الربيع ــ ص ( هـ ) ٠
(٢) المصدر المشار اليه أعلاه ص ( و ) ٠

ترتيب مسـند الربيع على نحو موضـوعى ، جمع الأحاديث مرتبـة حسب أبواب الفقه المعروفة على النحو الذى وصل الينا ٠

ـ ويضم المسند ما يزيد على خمسمائة حديث من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام بأسانيدها الموثوق بها ولهذا المسند سبقه ٠٠ فقد أوردت كتب الأحاديث الصحاح معظـم ما تضمنه المسـند من أحاديث بروايات وأسانيد أخرى مما أكد الثقة فى مسند الربيع ، وروايته عن جابر بن زيد ٠

ـ وللمسند شروح عديدة ، من أوضحها شرح العلامة الجليل الشيخ عبد الله ابن حميد السالمى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ وهو من علماء عمان الأجلاء ـ وقد أشرنا من قبل اليه والى كتابه الشهير «شرح الجامع الصحيح» وقد نشر هذا الشرح فى عدة أجزاء مؤخرا بعد أن صححه وعلق عليه عضو المجمع العلمى بدمشق : العالم الجليل عز الدين التنوخى : أثابه الله كفاء ما قدم للدين والعلم واللغة من أياد بيضاء ٠

**٢ ـ فقه جابر بن زيد وفتاويه :**

ـ ربما كان لغلبة الدور « السياسى » الذى حققه جابر بن زيد ، وما قام به من جهد لارساء المبادىء التى قام عليها مذهبه ـ الذى عرف فيما بعد بالمذهب الاباضى ـ أثره فى عدم الحرص الى درجة كبيرة على نسبة الآراء الفقهية التى قال بها جابر اليه ٠ وشيوع نسبتها الى الفقه « الاباضى » بصفة عامة ، مع أن الثابت أن معظم ما تفرد به المذهب الاباضى من أحكام « فقهية » انما قد أخذت ـ فى أغلب الأحوال ـ عن جابر بن زيد ٠٠ وان كان ما ذكر صراحة فى بعض المراجع من آراء لجابر بن زيد ، تدل على مدى تفرد جابر بفقهه ، وتميزه فى آرائه ٠

ونورد فيما يلى أمثلة من فتاوى جابر ٠٠ سواء فى ذلك ما وافق فيها الجمهور أو تفرد فيه بالرأى ٠

( أ ) فمما ورد فى مسند الامام الربيع عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا طلاق الا بعد نكاح ، ولا ظهار الا بعد نكاح ، ولا عتاق الا بعد ملك ، ولا نكاح الا بولى ، وصداق ، وبينة ٠

وقد اختلفت الآراء بالنسبة لقوله عليه الصلاة والسلام « لا طلاق الا بعد نكاح » فيما اذا علق الطلاق بالنكاح ٠

ـ والذى ذهب اليه الشافعى وجماعة من السلف أن الطلاق لا يقع ، لأنه طلاق من لا يملك ٠

ـ وقال مالك : ان عمم بأن قال « كل امرأة أتزوجها فهى طالق » لم يقع ، فان خص محصورات ، أو امرأة معينة وقع ٠

ـ وقال أبو حنيفة : يقع عمم أو خصص ٠

ـ أما جابر بن زيد فقد ذهب الى عدم وقوع الطلاق ، لأن النكاح عقد ، والطلاق حل ، ولا يكون الحل الا بعد العقد (١) وهذا ما يعطيه ظاهر الحديث ٠

(ب) ومما روى فى مسند الامام الربيع عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد قال : كانت عائشة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بنت ست سنين ، وابتنى بها وهى بنت تسع سنين ٠

فمما يستدل من هذا صحة تزويج الصبية ، وأن أمرها ما دامت صبية الى أبيها ليس لها من نفسها اختيار ، غير أن جواز الدخول بالصبية كان موضع آراء :

ـ قال بعض العلماء يجوز الدخول بالصبية اذا زوجها أبوها ٠

ـ والحق آخرون غير الأب من الأولياء بالاب عند عدمه ٠

ـ ومنهم من قال : ان تزويجها موقوف الى بلوغها ، فان أتمته تم ، وان نقضته انتقض ٠

ـ ومنهم من لم ير تزويج الصبية شيئا ، ونسب القول بذلك الى جابر بن زيد ، وبه قال بعض علماء الاباضية ، وقد رأوا فى ذلك فعله صلى الله عليه وسلم فى التزويج بعائشة خاص به ، وأنه ليس لغيره من ذلك مثل الذى له (٢) ٠ على أن للقضية وجه نظر آخر ، فالخصوصية محتاجة الى دليل ، وقد وقع بين الصحابة من غيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم ينكره أحد ، فتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي وهى صبية ٠٠ ومن هنا فان الحكم الذى ذهب اليه جابر لم يكن محل اجماع ، بل فيه نظـر ٠

---

(١) شرح الجامع الصحيح لمسند الامام الربيع : ج (٣) ص ٣ ، ٤

(٢) المصدر سالف الذكر : ج (٣) ص ٤١

- ولجابر فتاوى عديدة فى مسائل الطلاق .. وقد أورد الربيع فى مسنده عن أبى عبيدة قال ان حيان بن عمارة قال : سمعت عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ يقول بالمسجد الحرام : جابر بن زيد أعلم الناس بالطلاق ..

- وقد وردت بعض فتاوى جابر بن زيد ـ فى الطلاق وغيره من أمور الدين فيما عرف برسائل جابر بن زيد .. وهذه الرسائل ما زالت مخطوطة وتوجد بالمكتبة الاسلامية التابعة لوزارة التراث القومى والثقافة بمسقط ـ عاصمة سلطنة عمان ـ نسخة مصورة من هذه الرسائل مأخوذة عن نسخة أخرى محفوظة فى احدى المكتبات فى المملكة المتحدة .. وهى مسجلة تحت الرقم العام ٩١٩٢ ـ والرقم الخاص ٢١٦ ج ، ونأمل أن يبذل فى القريب الجهد لتحقيق ونشر هذه الرسائل لما لها من قيمة علمية كبيرة فى الكشف عن فقه جابر بن زيد .

وقد جاء فى هذه الرسائل فى الرسالة الموجهة من جابر بن زيد الى عبد الملك ابن المهلب :

« فأما ما ذكرت من الطلاق بعد الخلع ، وتزعم أن ذلك نزل ببعض من تشفقون عليه . فان الفقهاء يقولون لا طلاق لمن خلع ، وكذلك ينبغى أنه اذا أعطى المال ، فقبله ، فقد اختلع من أمرها ، فليس له فيها أمر ، وهى أملك بأمرها ، فليس بعد قبول المال له فيها مراجعة الا أن تطيب نفسها ، ولو كان طلاق بعد ذلك لا يمضى للمرأة الا بذلك لكان له أن يرتجع فيها ان شاء ، ولكن انقطع أمره منها بعد قبوله المال ، وانما طلاقه بعد ذلك بمنزلة من طلق ما لا يملك » (١) .

وفى المعاملات نجد له فى الرسائل فتاوى عديدة نذكر منها :

وأما ما ذكرت من الرجل تدفع اليه الأرض يعمرها نخلا بثلث أو نصف ، فذلك ما يكره منه ، ولكن استأجر رجلا بأجر معلوم فليقم على أرضك ونخلك .

وأما ما ذكرت من أنك تدفع على رجل برا وبقرا يعمل فى أرضك ، ويزرع فيها ، وله الثلث أو الربع ، فذلك أيضا ما يكره الا رجلا تعلم له أجره (٢) .

وأما ما ذكرت من رجل أخذ نخلا فى أرض بنخل فى أرض أخرى ، أو أرضا

(١) ص ٣٨ من الرسائل المشار اليها فى المتن .
(٢) ص (٢٢) رسالة الى يزيد بن يسار .

بأرض أو بدار ، أو طعاما بطعام ، أو خادما بخادم ، فان ذلك لا بأس به مالم يطلب فيه الفضل ، ولم يرب أهله أمرهم فى ذلك ، فان الناس كانوا يفعلون ذلك ، يأخذون أرضا بالكوفة ، ويأخذون مكانها أرضا بالمدينة ، وأهل الطائف ومكة وما حولها من القرى يطلبون بذلك مرافقهم ، ووطنهم أحب ما ملكوا فيه من الأموال (١)

وأما الذى ذكرت من رجل اشترى من رجل أرضا لا يرى الا أنها له ، ثم عمرها فجاء رب الأرض فقال : أرضى لم أبعها ولم أهبها · فأخبرك أن ( هاشما ) قضى فى مثل ذلك أن تقوم الأرض فما زادت على ثمنها الأول أخذ من بائعها الاول الذى باعها وقضى للذى اشتراها على رب الارض ما أنفق فيها وأجر عماله ما عمل فيها ولا أراه الا نعم ما قضى

كتبت الى فى شأن المحارثة ، أن الأرض والماء والاداة والبقر والبذر ، كل ذلك عندك ، فيأتيك ناس يطيبون اليك نفسا بعلمهم ، ولا يشترطون عليك شرطا ، ولا تشترط عليهم الا الذى يرجونه عندك من الثقة والمعروف وحسن الخلق ، فيحرثون لك ، ويحافظون على سقى الحرث وحصاده وجمعه ، فاذا فرغوا من الحرث أعطيتهم ما شئت ، اقللت أو أكثرت ، فرضوا بذلك ، وطابوا به نفسا ، فلا أرى عليك بأسا فافعل (٢)

وقال الامام الربيع بن حبيب · عن ابنته مطرف قالت : أتيت جابرا فى ما يبلى به الناس فلم أعلم أنى كلمت فقيها · ولا عالما ولا أميرا قط أعلم ، ولا أعقل منه ، وسألته امرأة أخرى · عن حر يخطب جاريتها · فقال « لا تزوجيه · ثم راجعته · بأن قال الخاطب : ان لم تزوجينى ، زنيت بها · فقال : الآن زوجيه · فهذا هو العنت (٣) ·

وكتب أهل عمان للامام جابر ايام اقامته بالبصرة · يسألونه · هل يأتى الجمعة من لا يسمع النداء ؟ فكتب اليهم جابر · لو لم يأت الا من سمع النداء · لأقل الله أهلها وفى رواية لقل الساعون اليها · تؤتى من رأس فرسخين وثلاثة (٤) ·

وفى رواية : ومن قدر أن يأوى الى منزله قبل الليل · فعليه الجمعة ·

---

(١) ص (٥) رسالة الى عثمان بن يسار ·

(٢) ص (١٢) رسالة الى أحد اصحابه ·

(٣) العقود الفضية ص ٩٧

(٤) شرح طلعة الشمس ـ الحجج المقنعة فى أحكام صلاة الجمعة ـ للشيخ عبد الله ابن حمد السالمى ص٧

وخرج يوما يريد الجمعة ، فتلقاه الناس منصرفين · فشق عليه ذلك وقال : اللهم لك على أن لا أعود ، وكان يصلى الجمعة · خلف زياد وولده عبيد الله ، وخلف الحجاج ، وكان من تلامذته ، حبيب أبو الامام الربيع المحدث ، صاحب المسند ، وعتب عليه حضور الصلاة خلف الحجاج ، فقال جابر : انها صلاة جامعة ، وسنة متبعة (١) قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (٢) وقد روى : جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس توبوا الى ربكم قبل أن تموتوا ، وبادروا بالاعمال الصالحات قبل أن تشتغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له تسعدوا ، وأكثروا الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا واعلموا ان الله فرض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى يومى هذا فى منبرى هذا فى عامى هذا الى يوم القيامة فمن تركها فى حياتى وبعد وفاتى ، وله امام عادل أو جائر استخفافا بها ، فلا جمع الله شمله ولا بارك الله له فى أمره ، الا ولا صلاة له ، ألا ولا حج له ، الا ولا صوم له ، الا ولا بركة له حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه (٣)

وقيل ان جابرا صلى بالايماء يوم الجمعة والحجاج يخطب الى أن فات الوقت وقال جابر بن زيد اليوم نفع كل ذى علم علمه قيل فات وقت الظهر ودخل وقت العصر فخشى جابر فواته أيضا وقد فهم الحجاج أن جابرا صلى بالايماء فقال الحجاج قد عرفنا من صلى ومن لم يصل (٤)

ان لمثل هذه الفتاوى قيمة كبرى ، لما فيها من علم وهدى ، ولقربها من عصر النبوة ، ولأخذ مؤلفها من الصحابة رضوان الله عليهم ، وكم له من قيمة أخرى أثرية ، وهى أنه أول كتاب ضخم ألف فى الاسلام ·

ويشهد لتلك الفتاوى أيضا روايته فى المسند عنهم رحمهم الله ورضى عنهم ، فالامام جابر عرف ، أنه ممن أوتى الحكمة وفصل الخطاب : ولقد خرج بهذه الحكمة

---

(١) المرجع السابق ص ٩٧
(٢) سورك الجمعة آية رقم (٩) ·
(٣) رواه ابن ماجه والطبرانى ـ راجع الايضاح ج (١) للشيخ الشماخى ص ٦٠٣
(٤) العقود الفضية ص ٩٧

الى العالم ، فى وقت هو بحاجة اليها ، وكيف لم ينشرها ؟ ولم يدع اليها ؟ وقد تلقاها من منبعها الأصيل ومصدرها الصحيح ، وكم كنت أتمنى أن تظهر كل فتاوى الامام ( ولكن شاء الحق سبحانه وتعالى ، لما أحرقت التتار مكاتب العــراق ، واحترقت خزائنها احترق الديوان فيها ، اذ لا طباعة توجد آنذاك ، تنشر الكتب ، وتبقى خالدة ، رهن الدهر ، واذا ضاع الكتاب من هناك ، ضاع من هنا ) (١) ٠

ـ وتلك الفتاوى التى نقلنا طرفا منها تفيد جملة حقائق :

ـ تفيد أنه كان مرجع المستفتين ، ومقصد السائلين ٠

ـ كما تفيد أنه كان فى فتاواه يلتزم الحكم بما هو ثابت من نصوص فى الكتاب والسنة ، لا يحيد عنهما ٠

ـ وتفيد أيضا أنه كان يلجأ الى القياس فيما لا حكم له فى كتاب أو سنة ٠

ـ كما تفيد أنه حيث كان يجد شبهة فى أمر كان يبادر الى وصفه بالكراهية ليرغب السائل عنه ٠

ـ كما تفيد أخيرا أنه كان فقيها عالما ، له بصر بالاحكام والأدلة ، والأقيسة ٠٠

---

ازالة الوعثاء ص ٢٦ بتصرف ٠

# البـاب الثـاني

## جابر بن زيد : كزعيم للمذهب الأباضي

**تمهيـــد :**

عندما انتقل الرسول ـ عليه الصلاة والسـلام ـ الى الرفيق الأعلى ، وجـد المسلمون أنفسهم ازاء مشكلة جديدة : لمن يكون أمرهم ؟ وما هى أسس اختياره ؟ ومن يكون اليهم أمر ذلك الاختيار ؟

ومع ذلك ، فلم يطل أمر هذا الجدال طويلا ، وما لبث المسلمون أن اتفقوا على أن يلى أبو بكر الصديق ـ ثانى اثنين اذ هما فى الغار ـ أمر المسلمين ٠٠ كما أن الأحداث التى واجهها المسلمون على عهده ، وعهد ثانى الراشدين : عمر بن الخطاب شغلتهم عن الخلاف ، ووحدت جماعتهم ، وانطلقت جيوشهم تدك العروش ، وتفتح الأمصار ، وتنشر الاسلام ٠

وقد ولى عثمان بن عفان أمر المسلمين ، فسـار فى أول عهده سـيرة رضيتها جماعتهم ، ولم ينقم عليه بسببها أحد منهم ٠٠ غير أنه قد جدت بعد ذلك فى حياة المسلمين أمور فرقت جماعتهم ، فأنكر فريق على عثمان بعض شأنه ، وغالى البعض الآخر فى ذلك الانكار حتى لقد أحلوا دمه ـ ثم قتلوه ـ فأثار قتله أكبر فتنة فى تاريخ الأمة الاسـلامية ٠

وكانت تلك الفتنة هى أول ما واجه على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه عندما ولى أمر المسلمين ، ثم ان أمر الفتنة قد تزايد مع تداخل الأحداث ، وبذلك تصدعت وحدة الدولة ، وأصـبح على بن أبى طالب ومن بايعوه فى جانب ٠ ومعـاوية بن أبى سفيان ومن والوه ولم يدخلوا فى بيعة على بن أبى طالب فى جانب آخر ٠٠ وتقاتل الفريقان ، فزادت بذلك حدة الخلاف والشقاق ، وتوالت الاحداث فى تواتر مثير ٠٠ ولجأ المتقاتلون الى التحكيم ٠٠ ومع ذلك فلم يؤد التحكيم الا الى حـدة

الصراع ، وازدياد الفتنة ، بل لقد استتبع خروج جانب كبير من أصحاب على بن أبى طالب عنـه ٠

وكان هذا الخروج هدفه عودة الخلافة فى أمر المسلمين ، فقد قوى شأن هؤلاء ـ وكثر اتباعهم ـ فكان أن نشب قتال بينهم وبين جيش علي ، مع ذلك فان هذا القتال لم يحسم الأمر ، بل لقد وسع من هوة الخلاف ٠

ورغم أن أمر الخلافة قد انتهى ـ بعد مقتل علي بن أبى طالب ـ الى معاوية ابن أبى سفيان الا أن ذلك لم يقعد بأولئك القوم بل ـ على العكس من ذلك ـ فقد أدى الى اشتداد حركتهم ،واز دياد اتباعهم ٠٠ كما ظهر بينهم أصحاب آراء مختلفة ٠٠ كان لكل منهم منهجه فى فهم الأحداث ، وتفسير الوقائع ، واستخلاص الأحكام ٠٠ كما كان له أيضا أسلوبه فى الدعوة ، ومنهجه فى جمع الاتباع ، وسبيله فى حشد المؤيدين ومن بين هؤلاء تلك الجماعة ( المحكمة ) التى أعلنت قولها ( لا حكم الا لله ) ٠

وكان من بين أصحاب هذه الدعوات جابر بن زيد ٠٠ وقد عرف هو وأصحابه ـ فى أول الأمر ـ بأهل الحق والاستقامة أو بجماعة الدعوة ثم اشتهروا بعد ذلك بالاباضـية ٠

## منهـاج :

وعلى ذلك فان فهم نشأة الاباضية تقتضى منا أن نستعرض بايجاز لتلك المقدمات التاريخية التى أدى تداخلها ـ وتفاعلها ـ الى ظهور الفرق الاسلامية بعامة ـ والفرقة الاباضية بصفة خاصة ـ حتى يتسنى لنا بذلك أن نعرض لدور جابر بن زيد فى هذا الشأن ولما قام به من جهود ، وما قال به من آراء حتى تجمع حوله الأتباع مما أثمر فى اشتداد عود هذه الحركة ، وأصبح لها دعاة ـ وأتباع ـ حرصوا عليها ، ولم يفرطوا فيها ـ وما يزالون ـ ايمانا منهم بأنها هى دعوة الحـق تقوم على الفهم الصحيح لكتاب الله المنزل على عبده المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وللسنة المطهرة٠

ومن هنا فان دراستنا فى هذا الباب سوف تنقسم الى فصول ثلاث : ـ

الفصل الأول : مقـدمات تاريخية ٠

الفصل الثاني : دور جابر بن زيد كزعيم للمذهب الاباضى ٠

الفصل الثالث : أتبـاع جابر بن زيد ٠

# الفصـل الأول
## مقـدمات تاريخيـة

**وجـه الحـق غايتنـا :**

ان من يتعرض لرواية أحداث التاريخ بصفة عامة ، وأحداث هذه الفترة بصفة خاصة ، يجد نفسه دائما بازاء حشد مضطرب متناقض من الأخبار التى تروى عـن كل حدث · لأن كثيرا من الأخبار تتلون بنظرة راويها · حيث يصورها ـ بأن يضيف اليها أو يحذف منها ، وقد يبتدعها ابتداعا ـ على نحو يهدف من ورائه الى تأييد رأيه ، وتأكيد مذهبه ·

وقد حدث شيء كثير من ذلك فى رواية أحداث هذه الفترة ، حتى لقد بلغ الأمر انتحال أحاديث منسوبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام تتفق فى مضمونها مع وجهة نظر بعض الرواة ·

وفى هذا الصدد نورد بعضا مما ذكره الامام الشيخ محمد عبده عما حدث فى خلافة على بن ابى طالب ·· قال « توالت الأحداث بعد ذلك ، ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع ما عقدوا ، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السـلطان الى الأمويين · غير أن بناء الجماعة قد انصدع · وان ضعفت عرى الوحدة بينهم ، وتفرقت بهم المذاهب فى الخلافة ، وأخذت الأحـزاب فى تأييد آرائهم وكانت نشـأة الاختراع فى التأويل والرواية ، وغلا كل فريق فافترق الناس (١) · وهكذا وضعت الأحاديث المكذوبة ، بعضها فى الطعن على علي بن أبي طالب ، وبعضها الآخر فى تأييد بنى أمية ، وبعضها الثالث فى ذم الخوارج ، كما عمد بعض الزنادقة الذين لبسوا لباس الاسلام غشا ونفاقا الى وضع الآلاف من هذه الأحاديث ·· قالوا ان أحدهم وقد انكشف أمره ـ وهو ابن أبي العرجاء ـ لما أخذ ليضرب عنقه قال : لقد وضعت فيك أربعة آلاف حديث (٢) ·

وبالطبع لم يقتصر الأمر على ايراد الأحاديث المكذوبة ، بل اقترن بها رواية أحداث مكذوبة ، بما ينصر هذا الرأى أو ذاك ·

---

(١) الامام الشيخ محمد عبده : رسالة التوحيد ص ٧ ـ ٨

(٢) محمود أبو رية : أضواء على السنة النبوية ـ ص ١١٦ ـ ١٢١

هذه واحدة ٠٠ وأخرى نشير اليها وهى أنه حتى مع صدق النية كثيرا ما يحدث أن يغلب الهوى ، فيميل المرء ـ دفاعا عن مذهبه ـ الى عدم مراعاة الدقة بشأن بعض الوقائع فلا يختار منها الا ما ينتصر به لنفسه ، وما ينفى عن فريقه ما قد يكون هناك من خطأ أو زيغ ٠٠

وازاء ذلك كله فان علينا أن نكون على حرص بالغ فى روايتنا للوقائع والأحداث ٠٠ والا نراعى غير وجه الحق وحده فيما نورد من أخبار ٠٠ ولن يدفعنا تأييد لمذهب ، أو تبعية لبعض من نؤرخ لهم الى الانحراف عنه بحال من الأحوال لأن الحق أعلى ، ولن يصح غير الصحيح ، والله هو المستعان على أن يجنبنا الزلل ويقينا عثرة الطريق ٠

**مراحل ثلاث :**

واذا كنا سوف نعرض لبعض أحداث تلك الفترة ، فليس غرضنا هو روايتها بكل تفاصيلها ، لأن ذلك مما يخرج بنا عن هدفنا ٠٠ وكل ما نهدف اليه هو عرض ما يمكن أن نسميه بالمقدمات التاريخية التى سبقت ظهور الأباضية ، والتى يمكن القول بأنها هى التى أدت اليها ، وكانت من عوامل وأسباب نشأتها ، ومن هنا فاننا سوف نقتصر على ماله صلة بغرضنا ، وما يعيننا على الوصول الى غايتنا ٠٠

ولا يفوتنا أن نشير الى أن تتابع الأحداث وتداخلها فى هذه الفترة التى نشير اليها يجعل من الصعوبة بمكان تقسيمها الى مراحل ، ووضع فواصل زمنية أو تواريخ محددة ـ يمكن القول أنها تعتبر نهاية لمرحلة ، وبداية لمرحلة أخرى ٠٠ حتى لقد ذهب البعض الى القول بأن ظهور الخوارج ترجع بداياته الى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث ظهر خارجون عليه ، لم يرتض بعضهم حكمه وواجهه بعضهم الآخر بالمعارضة (١) ٠

ومع ذلك فان أغراض الدراسة تحتم علينا ضرورة تقسيم هذه الفترة الى

---

(١) الدكتور عمار طالبى : آراء الخوارج الكلامية : الجزء الأول : ص ٣٤ حيث يقرر ما يأتى :ـ
اننا نرى أن النزعة الخارجية ، وان أصل الخوارج نبت فى عهد النبى نفسه ٠٠ وانه اذا كان معنى الخروج هو الانكار على الامام العدل ، والاعتراض عليه ، فان هذا المعنى حدث لصاحب الرسالة الاسلامية ، والقائد الأعلى للمسلمين ٠

مراحل ٠٠ وهذا ما حاولناه ، وانتهينا الى تقسيمها الى مراحل ثلاث ٠

ـ المرحلة الأولى هى خلافة الشيخين : أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ وقد تميزت خلافتهما بوحدة الأمة الاسلامية ، وانصراف المسلمين خلالها الى الجهاد فى سبيل نشر الدعوة ، وفتح الأمصار ٠

ـ وتقتصر المرحلة الثانية على خلافة عثمان بن عفان

وقد تميزت هذه المرحلة بأمرين على جانب كبير من الأهمية والخطورة ٠ تميزت من ناحية بحدوث تغير من جانب ولى الأمر ، وسياسة فى حكم المسلمين ، وكان هذا التغير مغايرا للمنهج الذى سار عليه الشيخان ٠ وقد أدى ذلك ، من ناحية أخرى الى ظهور تيارات قوية بين المسلمين تعارض هذه السياسة ، وتنحو فى مقاومتها مناحى شتى ٠٠ مما أدى الى ظهور الفتنة على نحو خطير حتى لقد انتهى أمر الخليفة الى قتله على أيدى نفر من أولئك المعارضين ٠

ـ أما المرحلة الثالثة فهى خلافة علي بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه وما صحبها من أحداث جسام ، وصراع مرير ، وقد انتهى ذلك كله الى نتيجتين كانت لهما آثار ضخمة على مدى التاريخ الاسلامى :

**أولهما** : مقتل علي بن أبي طالب بما أدى اليه من استقرار أمر الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان ، وقيام الدولة الأموية ـ **وثانيتهما** : انقسام معسكر علي بن أبي طالب ـ وأتباعه ـ الى فريقين كبيرين ، عرف أولهما بالمحكمة ، وعرف الثانى بالشيعة ٠٠ وهو انقسام مازال قائما حتى وقتنا الحاضر ٠

**مباحث ثلاثة :**

وعلى ذلك فان دراستنا فى هذا الفصل سوف تتوزع على مباحث ثلاثة نتناول فى كل منها احدى المراحل التى أشرنا اليها ، وهى :

المبحث الأول : خلافة الشيخين ٠

المبحث الثاني : عثمان بن عفان وبوادر الفتنة ٠

المبحث الثالث : علي بن أبي طالب والمحكمة ٠

## المبحث الأول

## خلافة الشيخين

**أسئلة ثلاثة :**

ان من يستعرض الأحداث التى أعقبت انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى يدرك الى أى مدى كان الأمر جديدا وطارئا على حياة المسلمين ، وأنه كان بمثابة امتحان كبير لصدق ايمانهم ، بل كان ابتلاء من الله ليظهر الحق ، ويكشف عن السرائر ، وقد اجتازت جماعة المسلمين هذا الأمر ، على خير ، وما هى الا عشية وضحاها حتى كان اجماعهم قد انعقد على اختيار أبى بكر الصديق ليخلف رسول الله عليه الصلاة والسلام فى ولاية أمر المسلمين ٠

غير أن ما بين اعلام نبأ انتقال الرسول محمد الأمين الى الرفيق الأعلى ، وما بين أخذ البيعة لأبى بكر الصديق ٠٠ جرى نقاش وجدال ، وثارت آراء ، وتبدت نزعات، وبحثت أمور وأمور ٠٠ واذا كان ذلك قد انتهى الى اختيار أبى بكر – الا أن ذلك لم يتم الا بعد أن كان المسلمون قد ارتضوا الأسس والمبادىء التى يرون ضرورة الالتزام بها فى اختيارهم من يلى أمرهم ٠

وان ذلك ليدعونا الى أن نتساءل :

– كيف تم اختيار أبى بكر الصديق ليلى أمر المسلمين ؟

– وكيف كان اختيار عمر بن الخطاب من بعده ؟

– وما هى الأسس التى قام عليها ذلك الاختيار ؟

ولعلنا أن نوفق فى اجابتنا عن هذه الأسئلة ، بما يكشف وجه الحق ، ويجلو ما اكتنفه من غموض ٠

**١ – كيف تم اختيار أبى بكر الصديق :**

تكاد الروايات تجمع على وقائع هذا الاختيار ، وكيفية تمامه ، وليس ثمة بين رواية وأخرى من خلاف الا بعض العبارات والالفاظ دون خلاف فى الجوهر ٠٠ ويمكن لنا أن نرتب الأحداث على النحو المبين فيما يلى مستقينها من مصادر مختلفة ٠

– لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اجتمعت الأنصار الى سعد

ابن عبادة ٠٠ فقال لهم يا معشر الأنصار ان لكم سابقة فى الدين ، وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب ٠٠ وقد أراد الله تعالى لكم الفضيلة ٠٠ ورزقكم الايمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز لدينه ، والجهاد لأعدائه ٠٠ حتى أثخن الله تعالى لنبيه بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ، وتوفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين ، فشدوا أيديكم بهذا الأمر ، فانكم أحق الناس وأولاهم به ٠٠ فأجابوه جميعا : أن قد وفقت فى الرأى ، وأصبت فى القول ، ولن نعدو ما رأيت توليتك هذا الأمر ، فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضى ٠

ـ وقد أتى الخبر الى أبى بكر ، ففزع أشد الفزع ، وقام معه عمر بن الخطاب ، فخرجا مسرعين الى سقيفة بنى ساعدة ، وقد لحق بهما بعض كبار المهاجرين ، ودخلوا السقيفة ، وفيها رجال من الأشراف ، منهم سعد بن عبادة ٠٠ وانتصب الناس لأبى بكر حيث قال : ان الله جل ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، فدعا الى الاسلام ، فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى ما دعا اليه ، فكنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاما ، والناس لنا فيه تبع ، ونحن عشرة رسول الله ، ونحن مع ذلك مع أوسط العرب أنسابا ٠٠ وأنتم أيضا والله الذين آووا ونصروا ، وأنتم وزراؤنا فى الدين ، ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ فليس بعد المهاجرين الأولين أحد عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، لا نفتات (١) دونكم بمشورة ، ولا تنقضى دونكم الأمور ٠

ـ وهنا قام الحباب بن المنذر ـ الأنصارى ـ فقال : يا معشر الأنصار : املكوا عليكم أيديكم ، فانما الناس فى فيئكم ( وظلالكم ) (٢) ، ولن يجير مجير على خلافكم ، ولن يصدر الناس الا عن رأيكم ، أنتم أهل العز والثروة ، وأولوا العدد والنجدة ، وانما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا ٠٠ أنتم أهل الايواء والنصرة ، واليكم كانت الهجرة ، ولكم فى السابقين الأولين مثل مالهم ، وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم ، والله ما عبدوا علانية الا فى بلادكم ، ولا جمعت الصلاة الا فى مساجدكم ، ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيافكم ، فانتم أعظم الناس نصيبا فى هذا الأمر ، وان أبى القوم فمنا أمير ، ومنهم أمير ٠

---

(١) لانفتات عليه : طغى على حقه . واستأثر به .

(٢) أى ظلكــم .

وطال النقاش ٠٠ الى ن قام أبو عبيدة بن الجراح ، فقال : يا معشر الانصار أنتم أول من نصر وآوى ، فلا تكونوا أول من بدل وغير فما كان من الأنصارى بشير ابن سعد الا أن قال : يا معشر الأنصار ٠٠ أما والله لئن كنا أولى الفضيلة فى جهاد المشركين والسابقة فى الدين ، ما أردنا ان شاء الله غير رضا ربنا ، وطاعة نبينا ٠٠ وما ينبغى أن نستطيل بذلك على الناس ٠٠ ثم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش ، وقومه أحق بميراثه ، وتولى سلطاته ٠٠ وايم الله ، لا يرانى أنازعهم هذا الأمر أبدا ، فاتقوا الله ، ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم ٠

ـ ثم أن أبا بكر قام على الأنصار ، فدعاهم الى الجماعة ، ونهاهم عن الفرقة ، وقال : انى ناصح لكم فى أحد هذين الرجلين : أبى عبيدة بن الجراح أو عمر ، فبايعوا من شئتم منهما ٠٠ فقال عمر : معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا ، أنت أحقنا بهذا الأمر ، وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين ، وخليفته على الصلاة (١) ٠ ـ والصلاة أفضل أركان دين الاسلام ، فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ، ويتولى هذا الأمر عليك ، ابسط يدك أبايعك (٢) فلما ذهب عمر ـ وأبو عبيدة ـ يبايعانه سبقهما اليه بشير الانصارى فبايعه ٠٠ وقال بعض الأنصار لبعض قوموا فبايعوا أبا بكر ، فقاموا فبايعوه ٠٠ وأقبل من بعدهم سائر المهاجرين يبايعون ٠

ـ وقد تخلف ، بل تردد البعض وعلى رأسهم علي بن أبى طالب ـ عن البيعة ، ومع ذلك ، فانه ما لبث وقد رأى أمر المسلمين منعقدا على البيعة لأبى بكر حتى مضى فبايعه فى المسجد الجامع على مشهد من جماعة المسلمين الا سعد بن عبادة فانه لم يبايع حتى مات ٠

ـ وهكذا تمت البيعة لأبى بكر برضا المسلمين واختيارهم ٠٠ بيعة جامعة ، باختيار حر ، بعد نقاش وجدال انتهيا الى يقين الأغلبية بأنه خير من يلى هذا الأمر لما ذكرنا من أسباب ٠٠ ففى عهد أبى بكر رضى الله عنه تأسست الدولة الاسلامية حيث

(١) ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر ـ عندما مرض مرض الوفاة ـ بأن يصلى أبو بكر بالناس ٠٠ فلم يزل أبو بكر يصلى بالناس حتى كان اليوم الذى مات فيه عليه الصلاة والسلام ـ ابن قتيبة/الامامة وسياسة ص ١١ ـ ١٢ سيرة ابن هشام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٠٠ ـ ٥٠٠

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٤٠٧

وطد العقيدة وسير البعوث فشرع السنة الصالحة فى تأمين الدولة من أعدائها فكان له السبق على خلفاء الاسلام فى مثل هذا العمل الخير حتى لقى الله وهو عليه راض (٣) .

**٢ ـ اختيار عمر بن الخطاب :**

يروى ابن قتيبة (٤) أن أبا بكر عمل ـ فى الخلافة سنتين وشهورا ، ثم مرض مرضه الذى مات فيه .. فدعا عثمان بن عفان فقال : اكتب عهدى ، فكتب عثمان ، وأملى عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبى قحافة آخر عهده فى الدنيا نازحا عنها ، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها : انى استخلفت عليكم عمر ابن الخطاب ، فان تروه عدل فيكم ، فذلك ظنى به ، ورجائى فيه ، وان بدل وغير فالخير أردت ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، ثم ختم الكتاب ودفعه ، فدخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنه استخلف عمرا فقالوا : نراك استخلفت علينا عمرا ، وقد عرفته ، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا ، فكيف اذا وليت عنا ، وأنت لاق الله عز وجل فسائلك ، فما أنت قائل ؟ فقال أبو بكر : لئن سألنى الله لأقولن : استخلفت عليهم خيرهم فى نفسى . قال : ثم أمر أن تجتمع له الناس فاجتمعوا ، فقال : أيها الناس قد حضرنى من قضاء الله ما ترون ، وانه لابد لكم من رجل يلى أمركم ، ويصلى بكم ، ويقاتل عدوكم ، فيأمركم ، فان شئتم اجتهدت لكم رأيى ، ووالله الذى لا اله الا هو لا ألوكم فى نفسى خيرا .. قال : فبكى ، وبكى الناس ، وقالوا : ياخليفة رسول الله . أنت خيرنا وأعلمنا ، فاختر لنا ، قال : سأجتهد لكم رأيى ، واختر لكم خيركم ان شاء الله ، قال : فخرجوا من عنده ، ثم أرسل الى عمر فقال : يا عمر ، أحبك محب ، وابغضك مبغض ، وقديما يحب الشر ، ويبغض الخير . فقال عمر : لا حاجة لى بها ، فقال أبو بكر : لكن بها اليك حاجة ، والله ما حبوتك بها ، ولكن حبوتها بك . ثم قال : خذ هذا الكتاب واخرج به الى

---

(١) عبقرية عمر ـ لعباس محمود العقاد ص ١٢٧ بتصرف .
(٢) ابن قتيبة : الامامه والسياسة ـ ص ٢٤ ـ ٢٥

الناس ، وأخبرهم أنه عهدى ، وسلهم عن سمعهم وطاعتهم ٠٠ فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم ، فقالوا : سمعا وطاعة ٠

ثم ان عمر بن الخطاب مضى الى المسجد الجامع ـ وقد انتقل أبو بكر الى الرفيق الأعلى ـ وتلقى البيعة من كبار الصحابة ، مهاجريهم وأنصارهم ، كما تلقاها ممن قدم من أهل الشام ٠٠ بايعوه جميعا على السمع والطاعة ـ كما بايعو أبابكر قبله ـ ما أقام فيهم كتاب الله وسنة رسوله ٠ فسار سيرة نبوية عطرة فكان مثل الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه مؤسسا للدولة الاسلامية بمعنى آخر ٠٠ وهو أولا : لانجد مكانا أليق به من مكان المؤسسين العظام ـ ولأننا : من جهة أخرى بين التأسيس وولاية الخلافة فى اقامة دولة كالدولة الاسلامية اذ الشأن فيها للعقيدة التى تقوم عليها وليس للتوسع فى الغزوات وعمر كان على نحو من الانحاء مؤسسا لدولة الاسلام قبل ولايته الخلافة بسنتين ، بل كان مؤسسا لها منذ أسلم فجهر بدعوة الاسلام وآذانه وعزها بهيبته وعنفوانه (١) ٠

**٣ ـ أسس الاختيار : ( نظرة تحليلية )**

ان استعراض هذه الوقائع يكشف لنا بجلاء أن اختيار الخليفتين الراشدين ابى بكر وعمر قام على أسس كانت موضع اجماع من المسلمين ٠٠ وهذه الأسس هى ما نوجزه فيما يلى :

ـ لم يختلف أحد فى وجوب اقامة حاكم أعلى للدولة ، يلى أمورها ، ويقوم على سياستها ، بل وجدوا أن ذلك من أوجب شئونهم ، وأن الاسرع باختياره وتنصيبه أمرا يقتضيه الدين ، ويحتمه ـ فضلا عن ذلك ـ دواعى الحياة (١) ٠

ـ ان الاختيار يتم على خطوتين : الأولى : ترشيح الشخص ٠٠ يقوم بذلك الترشيح نفر أو أكثر ممن عرفوا بالفضل ورجاحة الرأى ، وممن لهم بالاسلام سابقة : فأبو بكر رشحه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، وعمر رشحه أبو بكر الصديق ٠٠ والثانية عرض هذا الترشيح على المسلمين ٠٠ يعرض فى أول الأمر

---

(١) عبقرية عمر ـ للعقاد ص ١٢٧

(٢) كما كان المتفق عليه أن الخليفة لا يكون الا واحدا ، فلا يجوز تنصيب اثنين فى نفس الوقت ٠ ولذلك فقد رفضت آراء بعض الانصار ممن قالوا منا أمير ومنكم أمير ٠

على أهل الحل والعقد منهم ، فان أقروه ، ووافقوا عليه ، جرى اعلانه على جماعة المسلمين ، فان وافق رضاهم أقبلوا على الخليفة يبايعونه ، على السمع والطاعة ـ ان الخليفة بعد أن تتم البيعة له ـ بل حتى قبل أن تتم ـ كان عليه أن يعلن سياسته ٠٠ ولم تكن هذه السياسة حتى ذلك الوقت غير العمل بكتاب الله وسنة الرسول الكريم ، وانه كان يعاهدهم على ذلك ، ويطالبهم بالسمع والطاعة ما استمر على الكتاب والسنة ٠٠ بل ويطلب منهم أن رأوا منه اعوجاجا أن يقوموه

ـ كما أنه كان من المتفق عليه أيضا أن الخليفة لابد وأن يكون من قريش ، وقد قدمنا ما ساق أبو بكر وعمر بن الخطاب من أسباب توجب توافر هذا الشرط فقريش هى قبيلة النبى ٠ وهى القبيلة المطاعة بين العرب ، والتى لها مكانتها ومهابتها وزادت شرفا بظهور النبوة فيها ببيعة محمد عليه الصلاة والسلام ٠ كما استدل كذلك بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام : « الأئمة من قريش » ٠

ـ على أن هذا الشرط الأخير قد أثار فيما بعد الكثير من الجدل والعديد من الآراء ، كما سوف نبينه باذن الله فيما يلى من عرض لسير الأحداث ٠

## المبحث الثاني

## عثمان بن عفان وبوادر الفتنة

لم يثر حدث ـ فى حياة الآمة الاسلامية ـ منذ انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام ـ الى الرفيق الأعلى ، كما أثارت خلافة عثمان بن عفان ٠٠ لقد شهدت فترة هذه الخلافة بوادر ـ ومقدمات ـ كل ما تفاعل ، وتضخم بعد ذلك من أمور ، وأحداث ، وخلافات ٠٠ وان التسلسل الطبيعى ليقتضى منا أن نعرض لنقاط ثلاث :

١ ـ اختيار الخليفة عثمان بن عفان ٠

٢ ـ سياسة عثمان ٠

٣ ـ بوادر الفتنة ، ومقتل الخليفة ٠

**١ ـ اختيار الخليفة عثمان بن عفان :**

**ـ وقائع الاختيار :**

يروى ابن قتيبة وقائع هذا الاختيار على النحو المتفق عليه فى المصادر الاخرى ،

وتتلخص هذه الوقائع مستقاة من المصدر المذكور فيما يلى :

ـ وعمر يعانى من جراحه ، وقد يئس من حوله من برئه ، دخل المهاجرون عليه فقالوا : يا أمير المؤمنين ، استخلف علينا · قال والله ، لا أحملكم حيا وميتا ، ثم قال : ان استخلفت فقد استخلف من هو خير منى ، يعنى أبا بكر وان أدع ، فقد دعا من هو خير منى يعنى النبى عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ، فقال : ما شاء الله راغبا ، وددت أن أنجو منها لالى ، ولا على ··· ثم ان عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ بعثت اليه تقول لعبد الله بن عمر : يابنى : أبلغ عمر سلامى ، وقل له : لا تدع أمة محمد بلا راع ، استخلف عليهم ، ولا تدعهم بعدك هملا ، فانى أخشى عليهم الفتنة » ، فأتى عبد الله فأعلمه ، فقال : ومن تأمرنى أن أستخلف ؟ لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقيا لاستخلفته ووليته ، ثم راح يستعرض أسماء من انتقلوا الى الرفيق الأعلى من خيرة الصحابة الذين كان يرى أنهم أهل لهذه المهمة كمعاذ بن جبل · وخالد بن الوليد ·· ثم قال : ولكنى سأستخلف النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض ، فأرسل اليهم فجمعهم وهم : على بن أبى طالب وعثمان ابن عفان وطلحة بن الزبير ، والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن ابن عوف ـ رضوان الله عليهم ـ وكان طلحة غائبا ·

ـ وقد حدد عمر أسلوب الاختيار ، وفترة التشاور ، فقال : يامعشر المهاجرين الأولين ، انى نظرت فى أمر الناس ، فلم أجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدى شقاق ونفاق فهو فيكم · تشاوروا ثلاثة أيام · فان جاءكم طلحة الى ذلك والا فأعزم عليكم بالله ألا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم ·· ولعل بكم صهيب هذه الثلاثة الأيام التى تتشاورون فيها ، فانه رجل من الموالى لا ينازعكم أمركم ، واحضروا معكم من شيوخ الأنصار ، وليس لهم من أمركم شىء ، واحضروا معكم الحسن بن علي وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة ·· وليس لهما من أمركم شىء ، ويحضر ابنى عبد الله مستشارا ، وليس له من الأمر شىء ··

ثم قال : ان استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه ، وان استقام أربعة ، واختلف اثنان فاضربوا أعناقهما ، وان استقر ثلاثة ، واختلف ثلاثة فاحتكموا

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ـ ص ٢٨ ـ ٣١

الى ابنى عبد الله ، فلأى الثلاثة قضى ، فالخليفة منهم وفيهم ، فان أبى الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا أعناقهم ..

ثم قال : أوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم ، واحذره مثل مضجعى هذا . وأخوفه يوما تبيض فيه وجوه ، وتسود وجوه ، يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافيـة ..

ثم التفت الى علي بن أبى طالب ، فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وشرفك وقرابتك من رسول الله ، وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفوك ، فان وليت هذا الأمر ، فاتق الله يا علي فيه ، ولا تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس . ثم التفت الى عثمان فقال : يا عثمان ، لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفوك ، فان وليت هذا الأمر فلا تحمل أحدا من بنى أمية على رقاب الناس .

ـ ثم انه بعد موت عمر ، اجتمع القوم فخلوا فى بيت أحدهم ، وأحضروا عبد الله ابن عباس ، والحسن بن علي ، وعبد الله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام ، فلم يبرموا فتيلا ، فلما كان اليوم الثالث ، قال لهم عبد الرحمن ابن عوف أتدرون أى يوم هذا ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم ألا تتفرقوا فيه حتى تستخلفوا أحدكم ، قالوا : أجل . قال : فانى عارض عليكم أمرا ، قالوا : وما تعرض ؟ قال : أن تولونى أمركم ، وأهب لكم نصيبى فيها ، واختار لكم من أنفسكم ، قالوا : قد أعطيناك الذى سألت ، فلما سلم القوم ، قال لهم عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم ، فجعل الزبير أمره الى على ، وجعل طلحة أمره الى عثمان ، وجعل سعد أمره الى عبد الرحمن بن عوف .

ـ هنالك قال عبد الرحمن : كونوا مكانكم حتى آتيكم ، وخرج يتلقى الناس فى أنقاب المدينة متلثما لا يعرفه أحد ، فما ترك أحدا من المهاجرين والأنصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم الا سألهم واستشارهم ، أما أهل الرأى فأتاهم مستشيرا ، وتلقى غيرهم سائلا ، يقول : من ترى الخليفة بعد عمر ؟ فلم يلق أحدا يستشيره ولا يسأله الا ويقول عثمان .. فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان .. مضى وقال لعثمان : عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك ، وشرط عمر ألا تجعل أحدا من بنى أمية على رقاب الناس ، فقـال

عثمان نعم ٠٠ ثم قال لعلي بن أبى طالب : أبايعك على شرط عمر الا تجعل احدا من بنى هاشم على رقاب الناس ، فقال علي عند ذلك : مالك ولهذا اذا قطعتها فى عنقى ؟ فان علي الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها ، كان فى بنى هاشم أو غيرهم ٠ قال عبد الرحمن لا ، حتى تعطينى هذا الشرط ٠٠ قال علي : والله لا أعطيكه أبدا ٠٠ فتركه ٠٠

– ثم ان عبد الرحمن بن عوف خرج الى المسجد ، فجمع الناس ، ثم قال : انى نظرت فى أمر الناس ، فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل يا علي سبيلا الى نفسك فانه السيف لا غير ٠٠ ثم أخذ بيد عثمان فبايع ، وبايع الناس جميعا ٠

**نظـرة تحليليـة :**

من استعراض وقائع اختيار عثمان بن عفان وتوليه أمر المسلمين يتضح بجلاء انها كانت تسير فى نفس الاتجاه الذى استقر منذ اختيار الشيخين :

– فقد كان هناك ترشيح من عمر للجماعة الذين يتم من بينهم الاختيار ٠٠ وأن حصر الأمر فى هؤلاء الستة كان لسابقة فضلهم فى الاسلام ، ايمانا به ، وجهادا فى سبيله ، وتمسكا بمبادئه ، فضلا عما تميزوا به من مكانة ومقدرة وان اختيار أحد من هؤلاء كمرشح وحيد كان موكولا الى هؤلاء أنفسهم ، ومعهم نفر من خيرة الصحابة، وكبار المهاجرين والأنصار ٠٠ وهم من يعتبرون أهل الحل والعقد ٠٠ ثم ان من وكل أليه المذكورون الأمر لم يقف عند هؤلاء بل مضى الى جمهور المسلمين وعامتهم يستطلع الخبر ، ويستكشف اتجاه « الرأى العام » ٠٠ وانه بعد ان وجد كفة عثمان هى الراجحة ٠٠ بينما أن لعلي مكانة وأسبقية عرض الأمر على الاثنين بشروطه التى ارتضاها – وحددها – الخليفة الراحل ٠٠ وكان العرض على ملأ من الجمهور ٠٠ فلما قبل عثمان تلك الشروط – دون علي – أعلن « الترشيح النهائى » له ٠٠ وعلى ذلك فان عنصر التفضيل كان هو رضا المرشح بالشروط التى ارتضاها الخليفة الراحل ووافق عليها المسلمون من بعده ٠٠

– ان هذا الترشيح انما تم وفق أسس محددة وسياسة واضحة للحكم وقد لاقى قبولا من عثمان عرضه على المسلمين ٠٠ للمبايعة ٠٠ فبايعوا ٠٠ بايعو جميعا ، ولم يحدث تخلف أو نكوث عن البيعة ٠ وبذلك انعقدت الخلافة لعثمان ابن عفان ٠

ـ وباعلان القبول على ذلك النحو ـ ومبايعته ـ تحدد نهج الحكم : العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، وسنة الشيخين من بعده ، وشرط عمر ألا يجعل أحدا من بنى أمية على رقاب الناس ٠

ـ انه قد روعى أيضا فى الاختيار ـ كما روعى فيما سبقه من ترشيح ـ انحصار أمر الخلافة فى قريش ٠٠ فقد كان الخليفة الذى تمت له البيعة ، وكذلك الستة الذين كان أمر الاختيار يدور فى جماعتهم ـ كلهم من قريش ٠٠

**٢ ـ سـياسة عثمـان :**

**( أ ) سـياسة عثمان فى أول عهده :**

كان اختيار عثمان بن عفان لتولى أمر الخلافة نتيجة اجماع ، كما أسلفنا وقد رضيت به جماعة المسلمين لما يعرفونه له من فضل ، ولـما له من سابقة الى الاسلام ، وجهاد بالنفس والمال فى سبيل الدعوة ، فضلا عن مصاهرته للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد تزوج ابنته ، فلما توفيت تزوج من الأخرى ٠٠ وقد قال له الرسول عند وفاة ابنته الثانية : « لو كان عندى أخرى لزوجتك اياها » ٠

ولم يكن عثمان فضلا عن ذلك بالشخصية التى يمكن تخطيها ، فقد ولى من أمور المسلمين فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام نواحى كثيرة فأحسن القيام بها ، وكان من أهل الشورى على عهد الشيخين ، ولم يبرم من أمر المسلمين شىء الا برأيه ٠٠٠ فهو الصحابى الجليل ، وصاحب الرأى والحكمة ، فضلا عن تقدمه فى السن ـ وهو أمر له تقديره عندما يتصل باختيار من يتولى رئاسة الدولة ٠

وعلى ذلك ، فقد ولى عثمان أمر المسلمين ، وهم عنه راضون ، وقد سار فى حكمهم ، وتدبير أمورهم بما يرضه الله ورسوله ، وبما يتفق مع نهج الشيخين ، ـ مما جعل أمر خلافته ـ محل رضا وقبول من عامة المسلمين ، حتى لقد أمكن للدولة على عهده أن تمضى فى فتوحاتها ، وأن تسير الجيوش لرفع راية الاسلام فى أمصار جديدة لم يسبق اليها الاسلام ٠ بل لقد أمكن على عهده أن يركب المسلمون البحر ، ويصلوا الى بعض جزر البر المتوسط ـ كقبرص ورودس ، حتى يؤمنوا حدود دولة الاسلام ٠

غير أن الأمور ـ مع ذلك ـ جد فيها ما غيرها ٠٠ وفى الحقيقة أن هذا التغير

يرجع الى عوامل ـ وأسباب ـ عديدة ، تجمعت وتفاعلت ، فأثمرت تلك الفتنة · وما كان لها أن تثمر الا الفرقة والشقاق ·

**(ب) نقد العامة وكبار الصحابة لسياسة عثمان :**

ـ ولعلنا قبل أن نعرض لهذه العوامل نجد من الضرورى أن نشير الى بعض ما صار الناس ـ عامتهم وكبارهم يلهجون به من نقد لسياسة الخليفة فى الحكم ·· فقد أورد ابن قتيبة (١) أنه قد اجتمع ناس من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ، فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله ، وسنة صاحبيه ، وما كان من هبته خمس أفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ، ومنهم ذوو القربى ، واليتامى والمساكين ، وما كان من تطاوله فى البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة ·· وبنيان مروان بن الحكم ـ القصور ، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله ، وما كان من افشائه العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أمية وهم أحداث وغلمة لاصحبة لهم من الرسول ، ولا تجربة لهم بالأمور ، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذصلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكرانا أربع ركعات ·· وتعطيله اقامة الحد عليه ، وتأخيره ذلك عنه ، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شىء ولا يستشيرهم ، واستغنى برأيه عنهم ، وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينة ، وما كان من ادراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم لا يغزون ولا يذبون (٢) وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط ، وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس ، وانما كان ضرب الخليفتين فيه بالدرة والخيزران ·

ـ ولم يكن كل ما وجه اليه هو نقد العامة وحدهم ، بل ان كبار الصحابة قد واجهوه بما هو أقسى وأشد ·

ومما يروى فى هذا الشأن ·· أن عثمان قال لابن عباس : يا ابن عمى ويا ابن خالتى ، فانه لم يبلغنى عنك فى أمرى شىء أحبه ولا أكرهه علي ولا لى وقد علمت أنك رأيت ما رأى الناس ، فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهروا ، وقد أحببت

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ـ ص ٣٥

(٢) أى لا يدافعون عن الاسلام

أن تعلمنى رأيك فيما بينى وبينك فاعتذر . قال ابن عباس : فقلت يا أمير المؤمنين ، انك قد ابتليتنى بعد العافية ، وأدخلتنى فى الضيق بعد السعة ، ووالله ان رأيي لك أن يجل سنك ، ويعرف قدرك وسابقتك ، ووالله لوددت أنك لم تفعل ما فعلت مما ترك الخليفتان قبلك ، فان كان شيئا تركاه لما رأيا أنه ليس لهما علمت أنه ليس لك كما لم يكن لهما ، وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة أن ينال منهما مثل الذى ينل منك تركته لما تركاه له ، ولم يكونا أحق باكرام أنفسهما منك باكرام نفسك (١)

ـ وفى المسجد .. قام اليه رجل من المهاجرين فقال لـه : ياعثمان ، أرأيت ما حميت من الحمى ( الله اذن لكم أم على الله تفترون ) فقال عثمان : انه قد حمى الحمى قبلى عمر لا بل الصدقة ، وانما زادت فزدت ، فقام عمرو بن العاص ، فقال : يا عثمان ، انك ركبت بالناس نهابير (٢) من الأمر ، فتب الى الله يتوبوا ، فرفع عثمان يديه وقال : توبوا الى الله من كل ذنب ، اللهم انى أول تائب اليك .. ثم قام رجل من الانصار ، فقال : يا عثمان ، ما بال هؤلاء النفر من أهل المدينة يأخذون العطايا ، ولا يغزون فى سبيل الله ، وانما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه ، الا من كان من هؤلاء الشيوخ من أصحاب محمد عليه السلام .. فقال عثمان : فاستغفر الله وأتوب اليـه (٣)

ـ تلك بعض ملامح الصورة التى انتهى اليه أمر عثمان .. فما هى العوامل والاسباب التى أدت الى هذه الفتنة ؟

**(ج) عوامل الفتنـة :**

نكتفى أن نشير فيما يلى الى أهم هذه العوامل ، على نحو موجز ، نكتفى فيه بايرادها ، والتلميح اليها دون أن نعرض لها بالتفصيل :

ـ أول هذه العوامل سماحه لكبار الصحابة بالخروج الى الامصار ، والانتقال الى مختلف البلدان التى فتحها الله على المسلمين .. وقد سبق للشيخين أن حالا بينهم وبين ذلك ، حتى انهم يكونوا ليغادرون المدينة على أيام عمر بن الخطاب الا باذن والى أجل « مخافة منهم على الناس ، ومخافة عليهم من الناس ، ويستأذنه أحدهم

---

(١) ابن قتيبة امامة والسياسة ص ٣٢ ـ ٣٤ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣

(٣) المصدر المذكور ص ٣٤ ـ ٣٦ بتصرف .

فى غزو الروم والفرس محتجا بسابق بلائه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ·· فيقول له : ان لك فى غزوك مع رسول الله ما يكفيك ويبلغك ، وبحسبك ، وهو خير لك من الغزو اليوم ، وان خيرا لك الا ترى الدنيا ولا تراك » ·· أما سياسة عثمان فقد اختلفت ·· كانت ترمى الى اطلاقهم فى الآفاق ، ارضاء لهم ، وتوسلا بمقامهم بين الدهماء فى كل قطر الى تسديد النصيحة ، وحسن القيادة ، واتقاء الفوضى (١) ··

فلما انطلق هؤلاء الى الأمصار ، كان منهم نقد للخليفة ، ونقد للحكام ، حتى ليروى عن أبى ذر أنه كان يقول بالشام : « والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ·· والله ما هى فى كتاب الله ولا سنة نبيه ·· والله انى لأرى حقا يطفأ ، وباطلا يحى ، وصادقا مكذبا ، وأثرة بغير تقى ، ومالا مستأثرا به (٢)

– ومن هذه الاسباب ايثاره ذوى قرباه بالولايات والمناصب ، وتوليهم أمور المسلمين وهم ليسوا لها أهل ·· كما أنه خالف فى ذلك بعض السنن التى اتبعها النبى عليه السلام اذ أدنى أناسا من أقاربه كان الرسول قد أقصاهم عن المدينة فاستدعاهم اليه بعد استخلافه ، وأغدق عليهم المنح والأموال ، وأطلق العنان لأبناء أسرته فى الولاية والعمالة (٣) – وكان منهم ابن عمه مروان بن الحكم الذى اتخذه وزيرا يأخذ بنصحه ومشورته ، رغم سوئه وقلة تدبيره ، وغلظته على المسلمين ، واساءته اليهم ·· حتى أن عمار بن ياسر – الصحابى الجليل – حمل الى عثمان يوما الكتاب الذى اجتمع ناس من أصحاب النبى وأثبتوا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه ·· فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم وأهله من بنى أمية ، فدفع اليه الكتاب فقرأه ·· فقال له : أنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : نعم ·· قال : ومن كان معك ؟ قال : كان معى نفر تفرقوا فرقا منك ·· قال من هم ؟ قال : لا أخبرك بهم ·· قال : فلم اجترأت على من بينهم ؟ فقال مروان : يا أمير المؤمنين ان هذا العبد الأسود ( يعنى عمارا ) قد جرأ عليك الناس ، وانك ان قتلته نكلت به من وراءه ، قال عثمان : اضربوه ·· فضربوه ، وضربه عثمان معهم ، حتى فتقوا بطنه ،

---

(١) العقاد : عبقرية عثمان بن عفان ص ٦٦٢

(٢) محمد أبو زهرة – تاريخ المذاهب الاسلامية – ج (١) – ص ٢٧

(٣) العقاد : عبقرية عثمان بن عفان ص ٧٢٣

فغشى عليه ، فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبى عليه الصلاة والسلام ، فأدخل منزلها (١) ·

وقد ادى ذلك كله الى تأليب الناس ، وثورتهم عليه ·· فاذا أضفنا الى ذلك ما أشرنا اليه من مخالفته سنة الرسول وصاحبيه فى الكثير من الأمور ·· فى ذات الوقت الذى اتسعت فيه الدولة ، وتطلع العامة فيها الى العدالة المطلقة ، والنصفة من أميرهم ، كان من الطبيعى اذ يجدون محاباة للبعض دون البعض ، ولا يلقون من ولاتهم رعاية مصالحهم والمساواة بينهم ·· ان تنمو الفتنة بينهم ، بل ان تجد أرضا خصبة لتتعمق وتزداد ، ويشتد أوارها ·

**٣ ـ بوادر الفتنة ومقتل الخليفـة :**

تلك كانت عوامل الفتنة ومسبباتها ـ كما يبسطها البعض ، ويتناولها بعض الرواة·· ومع ذلك فان ثمة أخرى للموضوع ، تقوم على أساس أن الأمر لا يرجع ـ فى الحقيقة ـ الى خطأ فى سياسة عثمان ، ولا الى تقصير من جانبه ، انما هى طبائع الأشياء ، ومقتضيات التطور ، وسنة الحياة ، فقد اتسع نطاق المجتمع الجديد ، وترامت أطرافه ، ودخلت فيه أمم وأجناس شتى ·· ثم لقد كثرت الثروات فى جانب ·· وازداد الفقر فى جانب ·· وشاع بين الجانبين ما يشيع دائما فى أمثال هذه الأحوال من الملاحات والبغضاء والتزايد بالتهم واللجاجة ، واضافة الأوهام الى الحقائق فى خلق ذرائع الخلاف والشحناء ·· (٢) ويدل على خطر مسألة الثروة فى هذه الفتنة أن الناس تألبوا على الخليفة مرة ، فأرسل فى طلب علي ليصرفهم عنه ، فلما قدم اليه استأذنه فى اعطائهم بعض الرفد من بيت المال ، فأذن له ، فانصرفوا عن زعماء الفتنة وهدأوا الى حين ·· وهكذا نجد أن المال كان وراء هذه الفتنة ، وأن مثيريها لم تكن نياتهم ـ جميعا ـ خالصة لله تعالى ··

وأيا ما كانت الأسباب ، فقد تضافرت جميعها ·· وتوافد المتذمرون من مختلف الامصار الى المدينة ·· وحاصروا عثمان فى بيته ، وشغبوا عليه ومنعوا عنه الماء وقد صعد عثمان الى أعلى « البيت » وأخذ يخاطب محاصريهم فى محاولة لاقناعهم ،

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ص ٣٦

(٢) العقاد : عثمان بن عفان ص ٧٢٣

وصرفهم عما هم فيه ٠٠ فكان مما قاله : ان الله رضى لكم السمع والطاعة ، وحذركم المعصية والفرقة ، فاقبلوا نصيحة الله ، واحذروا عقابه ، فانكم ان فعلتم الذى أنتم فاعلون ، لاتقوم الصلاة جميعا ، ويسلط عليكم عدوكم وانى أخبركم أن قوما أظهروا للناس أنهم انما يدعوننى الى كتاب الله تعالى والحق قد رضوا بالذى أعطيتهم ، ولا أعلم أننى تركت من الذى عاهدتم عليه شيئا ، وكانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود ، وترك المظالم ، وردها الى أهلها ، فرضيت بذلك ٠٠ وكل الذى طلبوا فعلت ، فلم يرضوا ، وحالوا بينى وبين المسجد ٠٠ فابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة ، وهم يخيروننى بين احدى ثلاث : اما أن يقيدونى بكل رجل أصبت خطأ أو عمدا ، واما أن أعتزل عن الامر ، فيؤمروا أحدا ، واما أن يرسلوا الى من أطاعهم من الجنود وأهل الأمصار ، فأرسلوا اليكم فأتيتم لتبتزونى من الذى جعل الله لى عليكم من السمع والطاعة ، فسمعتم منهم وأطعتموهم — والطاعة لى عليكم دونهم — فقلت لهم : أما اقادة من نفسى فقد كان قبلى خلفاء ٠ ومن يتول السلطة يخطىء ويصيب ، فلم يستقدمن أحد منهم ، وقد علمت أنهم يريدون بذلك نفسى ، واما أن أتبرأ من الأمر فان يصلبونى أحب الى من أن أتبرأ من جنة الله تعالى وخلافة بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى :يا عثمان، ان الله تعالى سيقمصك بعدى،فان أرادك المنافقون علىخلعه فلا تخلعهحتى تلقانى ٠٠ وانى عاقبت أقواما ، وما ابتغى بتلك الا الخير ، وانى أتوب الى الله من عمل عملته وأستغفره » ٠٠

وقد قال بعضهم : انه كان يقول مقالا ٠٠ ولئن سمعتم منه ليصرفنكم ٠٠ فابوا ، ورموه بالسهام ، واستقبلوه بما لا يستقبل به مثله (١) ٠

فانظر — هداك الله — تجد أن المسألة لم تكن فى المقام الأول مسألة مجادلة بالحسنى ، وانما هى حادثة من حوادث الشغب ، وقد ذكت من نيرانها حوادث عديدة شاءت الاقدار الا تجتمع كلها فى وقت واحد ٠٠ وقد تسور بعض هؤلاء على عثمان بيته ٠٠ وقتلوه ٠٠ فما دفعهم ٠٠ وانما أسلم أمره الى الله ٠٠

قتل عثمان بأيدى أولئك الدهماء الذين قدموا اليه من مختلف الامصار وقتلوه مدفوعين فى ذلك بعوامل لعلها كانت غير متحدة أو لعل لكل ثائر منهم أهدافا غير أهداف الآخرين ٠

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة — ص ٤٣

وكانت مقتلة عثمان هى ثمرة الفجة لتلك الفتنة العمياء التى اشتعلت نارها ، ولم تجد من يطفئها ، بل وجدت من يغذيها بوقود الأحقاد الدنيوية ويرتد بالمسلمين الى ظلام الجاهلية ·

## المبحث الثالث

## علي بن أبي طالب والمحكمة (١)

**من هو علي بن أبي طالب ؟**

علي بن أبي طالب غني عن التعريف ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نشأ فى بيته ، وكفله الرسول منذ صغره ، ورباه ، وكان من الرسول بمثابة الابن من أبيه يتلقى عنه العلم ، ويتخذ منه القدوة والأسوة ·· فكيف وقد شهد مبعث الرسالة ، وبزوغ الدعوة ، وانبلاج النور ·· فلم يعرف غير الاسلام دينا ، نشأ عليه ، وآمن به منذ صغره ، فكان ـ كما وصف المسلم الخالص على سجيته المثلى ، لأن الدين الجديد لم يعرف قط أصدق اسلاما منه ، ولا أعمق نفاذا فيه ·· كان المسلم حق المسلم فى عبادته ، وفى علمه وعمله ، وفى قلبه وعقله ، حتى ليصح أن يقال أنه طبع على الاسلام فلم تزده المعرفة الا ما يزيده التعليم على الطباع ·

وقد عاش مع الرسول عليه الصلاة والسلام طوال فترة الدعوة ·· وشهد معه كل ما شهد من جهاد ، ومن مغاز ·· وكان هو البطل المغوار فى العديد من المعارك ·· ثم انه زوج فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام وقد أنجب منها الحسن والحسين·سبطى الرسول ـ وهما من هما لدى الرسول عليه السلام من المكانة والقرابة·

لم يتدنس علي بأدناس الوثنية وأوساخ الوثنيين وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الغزوات الا غزوة تبوك (٢) ·

وقد وصف علي بالشجاعة ـ فقد كان شجاعا لا ينهض له أحد فى ميدان المناجزة

---

(١) اقول ( المحكمة ) لا الخوارج كما يقول بعض المؤرخين ( ان الخوارج ) ليست كل ( المحكمة ) وسياتى ذلك فيما بعد مفصلا ان شاء الله ·

(٢) العقود الفضية ـ ص ٣٣

مع تسام عن البغى · وترفع عن الدنيا ·· كما وصف بالمروة والنخوة ، مع اعتزازه بسيفه ، وبمكانته ·· ووصف بالبلاغة والفصاحة وحسن المنطق ·· وذلك كله بايمان صادق ، واسلام صحيح ، مع فقه بالدين ، وبصر بأحكامه ·· فقد « أحسن الاسلام علما وفقها كما أحسنه عبادة وعملا · فكانت فتاواه مرجعا للخلفاء والصحابة فى عهود أبى بكر وعمر وعثمان ، وندرت مسألة من مسائل الشريعة لم يكن له رأى فيها يؤخذ به أو تنهض له الحجة بين أفضل الآراء (١)

ذلكم هو علي بن أبى طالب الذى ولي أمر الخلافة على أثر مقتل عثمان ابن عفان ·· وكانت ولايته لها على أثر بيعة عامة أخذت له من كبار الصحابة ، وعامة المسلمين فى حاضرة الدولة ـ المدينة المنورة ـ وقد أقرت الأمصار هذه البيعة فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية فيما عدا الشام ، فقد تأخر عليه واليها معاوية ابن أبى سفيان بدعوة المطالبة بدم عثمان أولا ، على أن يرد الأمر بعد ذلك الى المسلمين ليختاروا أميرهم ·· ورغم ضعف هذه الدعوة وعدم نهوض حجتها الا أنها أدت الى وقوع معارك ، وحدوث خلافات ، وشيوع فتن واضطرابات ، وانقسام المسلمين الى فرق ·· ولم يعد الأمر أمر جماعة علي ، وأنصار معاوية ·· فقد برزت فى الميدان فرق أخر عرف بعضها بالمحكمة وبعضها بالخوارج وبعضها الآخر بالمرجئة وبعضها الثالث بالمعتزلة ··· الخ ·

**منهاج الدراسة :**

واذا لم يكن المجال أمامنا متسعا لتناول هذه الجوانب المختلفة للموضوع بما تقتضيه من تفاصيل وتحليل فاننا سوف نكتفى منها بما يجلى الطريق أمامنا ، وينير السبيل لنا ، ويقود خطانا الى أسباب ظهور ( الاباضية ) وكيف برزوا الى الميدان ··

وعلى ذلك ، فاننا نعرض هنا لما يمكن أن نسميه بالمقدمات التاريخية لظهور الاباضية ·· ومما لا شك فيه أن ظهورها كان نتيجة لما سبقتها من أحداث أو كان حلقة فى سلسلة ما شهدته تلك الفترة من حياة الأمة الاسلامية من تطور وتغير ـ بل تحول ـ خطير ··

---

(١) العقاد عبقرية الامام علي ص ٧٠٧

**واذا كنا سنخصص الفصل التالى لنشأة ( المذهب ) الأباضى فاننا نختم فى هذا البحث المقدمات التاريخية لظهوره ·· وقد تمثلت فيما صحب اختيار علي بن أبي طالب للخلافة من أحـداث ·**

**وسف نقسـم البحث فى هذا الموضوع الى نقاط ست هى : ـ**

**١ ـ كيف تمت البيعة للامام علي بن أبي طالب ؟**

**٢ ـ الخلاف بين علي ومعـاوية ·**

**٣ ـ واقعـة الجمـل ·**

**٤ ـ صـفين والتحكيـم ·**

**٥ ـ قبـول التحكيـم ·**

**٦ ـ ظهـور المحكمـة ·**

**١ ـ كيف تمت البيعة لعلي بن أبي طالب :**

**( أ ) سـرد الوقائـع :**

ذكروا أنه لما كان فى الصباح ـ بعد مقتل عثمان بن عفان ـ اجتمع الناس فى المسجد ، وكثر الندم والتأسف على عثمان وسقط فى أيديهم ، وأكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان ، فقال الناس لهما : أيها الرجلان ، قد وقعتما فى أمر عثمان ، فخليا عن أنفسكما ، فقام طلحة ·· فقال : أيها الناس : انا والله ما نقول اليوم الا ما قلناه أمس ، ان عثمان خلط الذنب بالتوبة ، حتى كرهنا ولايته ، وكرهنا أن نقتله ، وسرنا أن نكفاه وقد كثر فيه اللجاج ، وأمره الى الله · ثم قام الزبير ·· فقال : أيها الناس ·· ان الله قد رضى لكم الشورى ، فذهب بها الهوى ، **وقد تشاورنا فرضينا عليـا** ، فبايعوه ·· وأما قتل عثمان ، فانا نقول فيه ان أمره الى الله ، وقد أحدث أحداثا ، والله يعلمها ·

فقام الناس ، فأتوا عليا فى داره ، فقالوا : نبايعك ، فمد يدك ، لابد من أمير ، فأنت أحق بها · فقال : ليس ذلك اليكم ، انما هو لأهل الشورى ، وأهل بدر ، فمن رضى به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة ، فنجتمع وننظر هذا الأمر ·· فأبى أن يبايعهم ، فانصرفوا عنه ··

وكلم بعضهم بعضا فقالوا : يمضى قتل عثمان فى الآفاق والبلاد فيسمعون بقتله ، ولا يسمعون أنه بويع لأحد بعده ، فيثور كل رجلمنهم فى ناحية فارجعوا الى علي ، فلا تتركوه حتى يبايع ، فتسير مع قتل عثمان بيعة علي ، فيطمئن الناس ويسكنون .

فرجعوا الى علي ، وترددوا الى الاشتر النخعى وألح هو بدوره فى طلب المبايعة .. ولم يزل به يكلمه ، ويخوفه الفتنة ، ويذكر أنه ليس أحد يشبهه ، فمد يده ، فبايعه الأشتر ومن معه ، ثم أتو طلحة ، فقالوا : اخرج فبايع قال : من ؟ قالوا عليا .. قال تجتمع جماعة الشورى وتنظر .. فقالوا : اخرج فبايع ، فامتنع عليهم ، فجاؤوا به يلببونه ، فبايعه بلسانه ، ومنع يده .. ثم أقبل علي الى المسجد ، وكان أول من صعد المنبر طلحة ، فبايعه بيده .. وعن الاحنف بن قيس ناظرت طلحة والزبير وعائشة من أبايع ان قتل عثمان قالوا بايع عليا ولما قدموا اليه ناشدتهم قولهم هذا فقالوا نعم ولكنه غير وبدل (١) .. ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جميعا ، ثم نزل فدعا الناس .. ثم أرسل بالبيعة بعد ذلك الى الآفاق . والى جميع الأمصار ، فجاءته البيعة من كل مكان الا الشام (٢) .

**(ب) تحليل :**

ومما تقدم نرى أن الأمر فى اختيار علي لم يخرج كثيرا عن النهج الذى اتبع فى اختيار من سبقه .. فقد كان هناك ترشيح له من بعض الصحابة . وقد روعى فى الاختيار ماله من سابقة فى الاسلام ومكانة بين الصحابة ، وما اتصف به من مقدرة ، وما عرف عنه من أنه أهل لهذه الولاية .. وقد عرض الترشيح على جماعة المسلمين ـ عامتهم وخاصتهم ـ فوافقوا عليه ، وأقروه ، ونهضوا لمبايعته .. بايعه كل من حضر من أهل الحل والعقد بل وغيرهم من عامة المسلمين .. على أن الاختيار أيضا روعى فيه ذلك الشرط الذى تقتضيه السياسة حتى تلك الفترة أن يكون الامام من قريش .. كما روعى أيضا عرض البيعة على جميع الأمصار لاقرارها .

---

(١) العقود الفضية ص ٣٥

(٢) ابن قتيبة ص ٤٦ ـ ٤٧ ، ـ الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج (٤) ص ٤٢٧ ـ ٤٣٥

## ٢ ـ الخلاف بين علي ومعاوية :

على أن الأمر لم يستقر لعلي ـ بعد ذلك ـ فقد كانت ثمة بوادر قد بدرت وتطورات قد حدثت ، وقد أخذت المسألة صورة محددة تمثلت أول الأمر فى خلاف بين علي ومعاوية ·· وما لبث الخلاف أن تطور ليصبح حربا بالسيف ، وسارت الأمور على نحو غير مسبوق لتصل الى غايتها التى أثمرتها تلك التطورات ··

### ( أ ) بـوادر الخـلاف :

ـ لم يسلم الأمر لعلي بن أبي طالب ·· فقد كان أول ما فعله أن طلب مروان ابن الحكم ، كما طلب نفرا من بني أمية وابن أبي معيط فهربوا ، وخرجت عائشة باكية تقول : قتل عثمان رحمه الله ·· فقال لها عمار : بالأمس تحرضين عليه الناس ، واليوم تبكيه ·· ثم خرج طلحة ، فلقى عائشة ، فقالت له : ما صنع الناس ؟ قال : قتلوا عثمان ·· قالت : ثم ما صنعوا ؟ قال : بايعو عليا ، ثم أتونى فأكرهونى ولببونى حتى بايعت ، قالت : وما لعلى يستولى على رقابنا لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان ، فرجعت (١) ·

ـ وقد أرسل علي بالبيعة الى الآفاق ، والى جميع الأمصار ، فجاءته البيعة ـ كما ذكرنا ـ من كل مكان الا الشام ، فانه لم يأته منها بيعة فكتب علي الى معاوية : « أما بعد فقد وليتك ما قبلك من الأمر والمال فبايع من قبلك ، ثم أقدم الى فى ألف رجل من أهل الشام » ·

ويروى أنه لما أتى معاوية كتاب علي دعا بطومار فكتب فيه :

من معاوية الى علي ، أما بعد فانه :

ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب ·

ـ كما ذكروا (٢) أن الزبير وطلحة أتيا عليا بعد فراغ البيعة ، فقالا هل تدرى على ما بايعناك يا أمير المؤمنين ؟ قال علي : نعم ، على السمع والطاعة ، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان · فقالا : لا · ولكنا بايعناك على أنا شريكاك

---

(١) ابن قتيبة ص ٤٨ ـ ٤٩

(٢) المصدر المذكور ص ٥١ ـ البلاذرى ـ أنساب الأشراف ج (٢) ص ١٧ ـ ١٧٦

فى الامر · قال علي : لا ، ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد ·· ولم يقنعا بهذا الجواب اذ كان الزبير يطمع فى ولاية العراق ، وكذلك كان طلحة طامعا فى ولاية اليمن ، فلما استبان لهما أن عليا غير موليهما شيئا ، أظهرا الشكاة ، فتكلم الزبير فى ملأ من قريش ، فقال : هذا جزاؤنا من علي ، قمنا له فى أمر عثمان ، حتى أثبتنا عليه الذنب ، وسببنا له القتل ، وهو جالس فى بيته ، وكفى الأمر ، فلما نال ما أراد ، جعل دوننا غيرنا ·· وقال طلحة : ما اللوم الا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى ، كرهه أحدنا وبايعناه ، وأعطيناه ما فى أيدينا ، ومنعنا ما فى يده فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا (١)

أما ( الأشعث بن قيس فقد ولاه عثمان على « اذربيجان ) وذكر أنه لما بلغه كتاب الامام علي دعا أهل ثقته من أصحابه الى منزله فقال لهم ان كتاب علي قد جائني وقد أوحشنى وهو آخذ بمال أذربيجان وانا لاحق بمعاوية فقال القوم الموت خير من ذلك تدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لأهل الشام فلحق بعلي على دخل وضغينة وحقد وكأنه مكره (٢) ·

وهكذا ترى أن الخلاف قد بدرت بوادره ــ بل وزادت ــ على أثر اختيار علي ابن أبي طالب لخلافة المسلمين ·· وقد حسب القوم أن فى اختياره على أثر مقتل عثمان بن عفان ما قد يطفىء نار الفتنة ، ويعيد الى جماعة المسلمين أمنها وهدوءها ووحدة صفها ــ الا أن شيئا من ذلك لم يتحقق بل الذى تحقق كان على العكس من ذلك كله مزيدا من الفرقة ، وان الدارس لهذه الأحداث وما أحاط بها من ظــروف وملابسات ليستطيع فى يسر وبساطة أن يرد النتائج الى أسبابها ، اذا هو أخذ فى اعتباره طبائع الأمور ، وسنة التطور البشرى ، وما لمختلف العوامل ــ والمؤثرات ــ الدنيوية من سطوة واغراء ·

ولعل نقطة البداية هى أن نقف أمام هاتين الشخصيتين البارزتين اللتين احتلتا مكان الصدارة من الأحداث ، وتحزب من حولها الناس ·· وهما : علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ·· وليست وقفتنا هذه للمفاضلة بينهما أو لاصدار أحكام

---

(١) ابن قتيبة : المصدر المذكور ص ٥١ انساب الأشراف للبلاذرى ج ٢) ص ١٧٥

(٢) الخوارج هم أنصار الامام علي ــ للمؤرخ سليمان بن داوود بن يوسف ص ٤٠

بشأنهما ، وانما بهدف واحد محدد : هو معرفة طبيعة كل شخصية وما كان يحيط بصاحبها من ظروف ٠٠ ـ ففى ناحية نجد علي بن أبي طالب ، وهو من عرفناه نشأة وتكوينا وتربية وسلوكا وأخلاقا ٠٠ لم تشب تاريخه شائبة ، ولم يكن سلوكه محل تنقص أو انتقاد ٠٠ فهو الكريم مولدا ، السامى طباعا ، وقد عاش ما عاش حتى تم اختياره للخلافة وهو موضع التقدير من المسلمين ـ عامتهم وخاصتهم ـ وهو الوزير بالرأى والمشورة لمن سبقه من الخلفاء ٠ بل كان هو الشخص المرجو ليجتاز بالدولة محنتها التى منيت بها بمقتل عثمان ٠٠ فمثل علي هو الذى اذا فرضت بيعته على كل الأمصار تمت له البيعة فى يسر وبساطة وعن رضا واقتناع ، فلم يكن فضله موضع خلاف ، ولم تكن مكانته ـ أو أهليته للمهمة ـ مجالا لنقاش أو مساومة ٠٠

ـ وقد أخذ عليه خصومه أن له يدا فى مقتل عثمان ٠٠ وتلك دعوى لا سند لها ٠٠ بل هى دعوى مكذوبة تنقصها الوقائع الثابتة ٠٠ فقد جاء فى رواية « شداد بن أوس » أنه خرج من منزله فى ذلك اليوم معتما بعمامة رسول الله ، متقلدا سيفه ، أمامه الحسن ابنه ، وعبد الله بن عمر فى نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم ، ثم دخلوا على الخليفة فسلم عليه علي ، وقال : « لا أرى القوم الا قاتليك ، فمرنا فلنقاتل » فقال الخليفة : أنشد الله رجلا رأى لله حقا ، وأقر أن لى عليه حقا أن يهرق فى سببى ملء محجمة من دم ، أو يهرق دمه فى » فأعاد على القول ، فأعاد عليه هذا الجواب ٠٠ ثم خرج من عنده الى المسجد وحضرت الصلاة فنادوه : يا أبا الحسن ، فصل بالناس » ، فقال : « لا أصلى بكم والامام محصور ، ولكنى أصلى وحدى » ثم صلى وحده وانصرف الى منزله ، وترك ابنيه مع أبناء زمرة من الصحابة فى حراسة دار الخليفة ، ليعلم الثوار أنهم معتدون على كل ذى خطر فى الاسلام انوصلوا الىالخليفة باعتداء ذكره العقاد فى عبقرية الامام علىص ٧٢٥ ٠٠ ولكن الثوار قد تسوروا الدار بليل ومضت سيوفهم فى بطنه وقتلته ثم خرجوا هاربين من حيث دخلوا ٠٠

ومن الثابت أن الخبر عندما بلغ عليا غشى عليه ، ثم أفاق ، فقال لابنه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فضرب الحسن والحسين ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير ، وخرج وقد « سلب عقله » لا يدرى ما

يستقبل من أمره ·· ثم أتى منزله وأغلق الباب (١) ··

ـ وقد ولى علي بن أبى طالب الخلافة بشروطها : وتمت له البيعة من أهل الحل والعقد ·· كانت بيعة عامة ، لم يتخلف عنها أحد ·· وأرسلت البيعة للأمصار فنالت الموافقة (٢) ·· وسار فى أمر الدولة كما ينبغى له أن يسير أخذا بكتاب الله ، وتمسكا بسنة رسوله ، وانفاذا لحكم الله ، والسير فى حكومة المسلمين بما يتفق مع الشريعة الغراء دون افراط أو تفريط ·

ـ وفى الناحية المقابلة نجد معاوية بن أبى سفيان ·· كان من الصحابة ، وكتاب الوحى ، الا أنه ليس من أصحاب السبق فى الاسلام ، وقد ظل شطر شبابه فى جانب قريش المعادى للاسلام ثم هو ابن أبى سفيان الذى لم يدخل الاسلام الا بعد أن تم للرسول عليه الصلاة والسلام فتح مكة ·· وقد ولى معاوية أمر الشام بعد أخيه يزيد ·· واستقر بها بضع عشرة سنة الى مبايعة علي بالخلافة ، وقد وطد فيها مكانته ، بل وعاش فيها عيشة أصحاب الملك والامارة ·· وكان شديد الحرص على أن يترضى أهلها ، وأن يأخذهم بالحسنى ، وأن يجعل منهم أنصارا له وجنودا مخلصين ·· والشام ذات خيرات وثمار ، وأهلها أهل حضارة ، وقد كانت من قبل خاضعة للروم وقد لقيت منهم الكثير من المساوىء ·· فلا عجب أن تدين لمعاوية بالطاعة ، وأن تسلم له قيادها ، وأن يسير فيها معاوية سيرة حسنة تجعله فيها الحاكم المطلق بل والامير المطاع ··

ـ وقد بويع لعلى من كل الأمصار الا الشام ·· فقد تباطأ معاوية ، وأبى البيعة · ففيم كان التباطؤ ، ثم رد البيعة ، ثم ما حدث بعد ذلك من حروب ، وقف فيها علي فى جانب ·· ومعاوية فى جانب آخر ·· ؟

كانت هناك لذلك كله أسباب ظاهرة ·· وأخرى خفية ··

وفى الحقيقة أن الأسباب الظاهرة كانت أسبابا واهية ·· ولم تكن أكثر من ستار يحاول به مثيرو الفتنة ـ ضد علي ـ أن يخفوا وراءه دوافعهم الحقيقية ··

فقد كانت دعواهم تقوم على المطالبة بدم عثمان ·· والقود من قاتليه وعلي

---

(١) العقاد : الامامة والسياسة لابن قتيبة : ص ٤٥

(٢) وذلك فيما عند الشام ـ كما أسلفنا ·

بريء من دم عثمان ـ كما سلف القول بل كان ولداه ممن وقفوا على باب عثمان يدافعون عنه ٠٠ لولا أن قضاء الله كائن ولا مرد له ٠

وعلى العكس من ذلك كان المطالبون بدم عثمان ـ بعد ولاية علي ـ هم من حرضوا بالأمس على قتل عثمان ٠٠ ولعل ما يصور ذلك هو قول سعد بن أبى وقاص عندما سأله عمرو بن العاص عمن قتل عثمان فقال : انه انما قتل بسيف سلته عائشة ، وصقله طلحة ، وسمه ابن أبي طالب ، وسكت الزبير ، وأمسكنا نحن ولو شئنا دافعنا عنه ، ولكن عثمان غير وبدل ، وأحسن وأساء ، فان كنا أحسنا فقد احسنا ، وان كنا أسانا فنستغفر الله ، وأخبرك أن الزبير مغلوب بغلبة أهله ، وبطلبه بذنبه وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الامارة لشقه (١) ٠

ولعل ما يشير اليه سعد من أن عليا كان له دور فى « سم » السيف لا يعدو ما هو معروف من أن عليا كثيرا ما كان يواجه عثمان بأخطائه ويطلب منه أن يعدل عنها ، ويتوب منها ٠٠ وذلك كان دأبه على الدوام ٠٠

ـ ولعل أيسر ما يقال بشأن ما أبداه معاوية حين علل خروجه على علي لاتهامه اياه فى دم عثمان بتقصيره فى القود من قتلته ٠٠ أن نتساءل : ماذا صنع معاوية بقاتلى عثمان حين صار الأمر اليه ، ووجب عليه أن ينفذ العقاب الذى من أجله ثار واستباح القتال ؟ ٠٠ انه لم يفعل شيئا أكثر من أن وطد الأمر لنفسه ، ودعم مكانته ٠٠ ونسى الثار السابق ، ولم يستمع الى من راحوا يذكرونه به ٠٠ ولقد كان أول ما سمعه معاوية يوم زار المدينة ، ودخل بيت عثمان صيحة عائشة ابنته وهى تبكى : « وا أبتاه » ، فما كان منه الا أن قال لها : « يا ابنة أخى ، ان الناس أعطونا طاعة ، وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلما تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره ، فان نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا أم لنا ، ولئن تكونى بنت عم أمير المؤمنين خيرا من أن تكونى أمرأة من عرض المسلمين » (٢) ٠

(١) المصدر المذكور ـ ص ٤٨ بتصرف ٠
(٢) عباس العقاد ـ عبقرية الامام علي ص ٧٣٥

فلم يكن شيء من ذلك هو السبب الحقيقى فيما حدث كله ·· انما الدافع لذلك كان أمورا أخرى ·· لعلنا نتمكن من أن نلم بطرف منها فيما يلى : —

**(ج) الدوافع الحقيقية للثورة على علي :**

ان هذه الدوافع لتبدو واضحة لكل من ينظر الى حقيقة الأوضاع فى تلك الآونة وما طرأ عليها من تطور وتبديل ·· ولسنا فى هذه النظرة نشايع الكتاب المحدثين وحدهم فيما سبقونا اليه من القول بذلك ·· ولكننا أيضا نساير القدامى المؤرخين — ونأخذ عنهم — الذين وضعوا أيدينا على الوقائع ، والتفتوا فيما نقلوا الينا من رواية للأحداث للدوافع الحقيقية التى كانت وراء تصرفات رجالات تلك الفترة ··

— روى الطبرى (١) ·· أن علي بن أبى طالب ، رأى قبل أن يشتد الحرب بينهما فى معركة صفين أن يعذر اليه ·· فدعا بعض أصحابه وقال لهم : ائتوا هذا الرجل ( يعنى معاوية ) فادعوه الى الله والى الطاعة والجماعة ·· فقال أحدهم : يا أمير المؤمنين ، ألا نطعمه فى سلطان توليه اياه ، ومنزلة يكون له بها أثره عندك ان هو بايعك ، فقال علي : ائتوه ، فالقوه ، واحتجوا عليه ، وانظروا ما رأيه ·· فأتوه ، ودخلوا عليه ·· فقال أبو عمره بشير بن عمر — الموفد من قبل علي — : يا معاوية ان الدنيا عنك زائلة ، وانك راجع الى الآخرة ·· وانى أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها بينها ·· فقطع معاوية عليه الكلام وقال : هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال أبو عمرة : ان صاحبى ليس مثلك ، ان صاحبى أحق البرية كلها بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقة فى الاسلام والقرابة من الرسول ·· فقال معاوية : ماذا قال ؟ فأجابه أبو عمرة : يأمرك بتقوى الله عز وجل ، واجابة ابن عمك الى ما يدعوك اليه من الحق فانه أسلم لك فى دنياك ، وخير لك فى عاقبة أمرك · قال معاوية : ( ونبطل ) دم عثمان رضى الله عنه ·· لا والله لا افعل ذلك أبدا ·· فذهب سعيد بن قيس — وهو أيضا ممن أوفدهم علي — يتكلم فقال : يا معاوية قد فهمت ماردت على صاحبى ، انه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب · انك تجد شيئا تستغوى به الناس ، وتستميل به أهواءهم ، وتستخلص لنا به طاعتهم الا قولك

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسول والملوك — ج (٥) ص ٣٤٢ — ٣٤٣

قتل امامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه ، فاستجاب له سفهاء طغام ، وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنصر واحببت له القتل لهذه المنزلة التى أصبحت تطلب ٠٠ فاتق الله يا معاوية ، ودعَ ما أنت عليه ، ولا تنازع الأمر أهله ٠٠ فقال معاوية : « انصرفوا من عندى ٠٠ فانه ليس بينى وبينكم الا السيف » ٠

فعلى يطلب بحق ، ويستند فيه الى منطق وواقع ومثل عليا وسنن رشيدة ٠٠ وهو مع أصحابه يلتزم سيرة الرسول والخلفاء الراشدين ٠٠ هو بينهم كواحد منهم ٠٠ ليس له ، كما ذكر ، الا عطاؤه ٠٠ هو لا يبغى الا وجه الحق ، واعلاء أمر الدين ، وتنفيذ الشرع ، والمضى بالاسلام الى حيث أراده الله نورا وهدى وهداية ٠٠

ومعاوية انما هو طالب دنيا ، يريد الجاه والاستئثار ٠٠ هو يترضى أصحابه بالمال والعطايا ،، وهو يمنيهم بالمال – بل ويغدق عليهم من خيرات الشام – ولم يكن دم عثمان – ولا المطالبة بالقود من قاتليه ، الا شيئا يستغوى به الناس ، كما أورد صاحب علي بن أبي طالب ٠

فالمسئلة على ذلك قد أخذت صورة أخرى ، وتطور الأمور – وتغير النفوس – كان قد وصل الى منتهاه ٠٠ وكانت سياحة الصحابة وخروجهم الى مختلف الأمصار مما زكت هذا التغير ، فقد أدت الى زيادة الثروات والأموال بين أيديهم ٠٠ فأصبحوا حريصين على ثرواتهم ، وتغيرت نظرتهم للأمور ٠٠

فثمة رغبة فى الدنيا ، وطمع فى الثروة ، وطموح الى تولى السلطان بغية تحقيق المزيد من الترف ٠٠ وثمة فرص مواتية من اضطراب ، وقيام فتن وتمرد وقد أحسن معاوية وصحبه اهتبال الفرص ، واذكاء نار الفتنة ، فوجدوا من يشايعونهم وأصبح معسكر معاوية مقصد الراغبين فى النفع والمال ٠٠

وكان هناك ايضا آخرون من الصحابة خرجوا يبتغـون اثارة الفتنة عساهم يصيبون من ورائها نفعا ٠٠ وعلى رأس هؤلاء طلحة والزبير ٠

## ٣ – واقعـة الجمـل :

كان الزبير وطلحة ممن بايعوا عليا ٠٠ بايعاه على ملأ ومـع من بايع فى المسجد ٠٠ وقد أتيا الى علي وقالا : يا أمير المؤمنين ، ائذن لنا فى العمرة ، فان

نقم الى انقضائها رجعنا اليك ، وان تسر نتبعك ، فنظر اليهما علي ، وقال : نعم ، والله ما العمرة تريدان ‥ وانما تريدان أن تمضيا الى شأنكما (١) ‥

وقـــد مضـــيا ‥

وكانت معهما عائشة وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ‥ وكان ذلك ايذانا باندلاع الفتنة ‥ ولا نجد ضرورة لذكر التفاصيل المعروفة من اجتماع نفر من البصرة وسواها الى طلحة والزبير ـ ومعهما أم المؤمنين ـ وقد اضطر علي أن يخرج الى هؤلاء الذين يثيرون الناس ، ويحزبون الأحزاب ‥ خرج الى العراق ، فبايعته الكوفة وغير الكوفة ، واجتمع اليه نفر كثير ‥ والتقى الجمعان فى تلك الواقعة الشهيرة « بواقعة الجمل » لما انتهت اليه من انتصار علي واندحار خصميه وقتلهما ، وأسر أم المؤمنين ، وردها مكرمة الى مقامها فى المدينة المنورة ‥

واذا كان النصر قد كتب فى هذه الواقعة لعلي بن أبى طالب الا أنه كان النصر الذى أحدث الصدع ، وكشف عن عمق الصراع ‥

ذلك أنها حرب بين طائفتين من المسلمين ‥ فماذا يحل فيها ؟ وماذا لا يحل ؟ وهل للمسلم أن يقتل المسلم ؟ وما وجه الحق فيها ؟ وأيا كان صاحب الحق ، فهل يحل دم المسلمين ، والقاتل والمقتول كلاهما من أصحاب القبلة ٠ كان علي مضطرا ، ولم يكن فى وسعه تجنب الحرب ، ولكنه الاضطرار المؤلم وهى الحرب التى لا يفرح المنتصر فيها ‥ بل ان حزنه على من قتل من الجانب الآخر ليربو على فرحه بما حقق من نصر ‥ لقد أقام علي بن أبي طالب فى عسكره ـ بعد انتهاء المعركة ـ ثلاثة أيام لا يدخل البصرة ، وندب الناس الى موتاهم ، فخرجوا اليهم ، فدفنوهم ، فطاف علي معهم فى القتلى ‥ وصلى على قتلاهم من أهل البصرة وعلى قتلاهم من أهل الكوفة وصلى على قريش (٢) ٠ ثم أمر المنادى فنادى : لا يقتلن مدبر ، ولا يجهز على جريح ، ولكم ما فى عسكرهم ، وعلى نسائهم العدة ، وما كان لهم من مال فى أهليهم فهو ميراث على فرائض الله (٣)

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ـ ص ٥١

(٢) الطبرى : ج (٥) ـ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢

(٣) ابن قتيبة ص ٧٢ الطبرى ـ ص ٢٢٢

ـ وهكذا نجد أن عليا لم يعتبرها حربا كسائر الحروب ، فليس للنساء فيها سبى ، وانما القتلى مسلمون ·· وما كان لهم من مال فهو ميراث لأهليهم ·· والصلاة عليهم واجبة ··

وأيا ما كان الأمر فقد انحاز العراق كله الى علي ·· وخلصت اليه بعد ذلك الأمصار فيما عدا الشام ، فقد أصر معاوية على موقفه ، وكان دافعه الى ذلك ـ كما أسلفنا ـ الحرص على الدنيا ، والفوز بالخلافة دون غيره ومبتغاه من ذلك تمكين الأمر له ·· ولبنى أمية من بعده ·

٤ ـ صفين والتحكيم :

وقد سار علي بن أبي طالب بعد ذلك السيرة التى يرضاها الاسلام واجتهد ليقر الولاة الصالحين على الأمصار ·· أمر ابن عباس على البصرة ·· وولى زيادا الخراج وبيت المال ·· كما ولى محمد بن أبي بكر مصر ·· وكان عليه بعد ذلك أن يخرج الى معاوية بن أبي سفيان ·· فقد حق عليه أن يدخله فى طاعته جبرا بعد أن أعذر اليه مرات ومرات ، فأبى الخضوع ، وأصر على مخالفة الجماعة ··

وقد استشار علي أصحابه فى أمر معاوية ، فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم ، وأشار آخرون بالمسير ، فأبى الا المباشرة والمسير (١)

ـ وانظر الى علي ـ وهو فى مسيره ـ يبلغه أن بعضا من جند الشام قد لقى أصحابه ، وأن الفريقين متواقفان ، وقد طلب اليه أصحاب الرأى ·· فيرسل علي الى « الاشتر » يقول له : النجاء النجاء الى أصحابك ·· فاذا قدمت عليهم فأنت عليهم ، واياك أن تبدأ القوم بالقتال الا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع ، ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعتذار اليهم مرة بعد مرة ·

فالأمر عنده ليس أمر حرب ، وليس غرضه تحقيق نصر ·· انما هى « الخلافة » كما عرفها المسلمون ، ينبغى أن تقوم ، ويحفظ لها حقها من الطاعة من جميع الأمصار ·

ـ وننظر الى علي ـ مرة أخرى وقد قدم بجنده على معاوية وأهل الشام بصفين ، فوجدوهم قد نزلوا منزلا اختاروه مستويا واسعا ، وأخذوا مصدر « الماء »

---

(١) المصدر المذكور ـ ص ٢٣٩

وجعلوه فى أيديهم ، ومنعوا عنه عليا وعسكره ، بل وأصروا على ذلك الأمر ·· هنالك يفزع جند علي اليه ·· فما كان منه الا أن نادى أحد أصحابه وقال له أئت معاوية ، وقل له انا سرنا مسيرنا هذا اليكم ونحن نكره قتالكم قبل الاعتذار اليكم ، وانت قدمت الينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك ، وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك ، ونحتج عليك ·· وهذه اخرى قد فعلتموها قد حلتم بين الناس وبين الماء والناس غير منتهين أو يشربوا ، فابعث الى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء ويكفوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له ، وقدمتم له ، وان كان أعجب اليك أن تترك ما جئنا له ، وتترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب ، فعلنا ·

وهنا وحيث أصبحت المسألة حياة أو موتا تراه لا يعدل عن خطته فهو لا يريد الحرب ، وانما يريد الحق ، وان جاء الحق بدون حرب فذلك هو أقصى المرام ··

وقد طال جدال معاوية مع صحبه ·· فلما أراد الرسول الانصراف سأل معاوية عن جوابه ، فقال له معاوية : سيأتيكم رأيى ·· وعاد الرسول ليجد معاوية قد أرسل الى رجاله ليكفوا الماء ويشددوا فى ذلك على جند علي ·· عندئذ لم يجد علي بدا من القتال ، فأذن لجنده فيه ، واضطربت السيوف وتقاتل الفريقان ، فصار الماء فى أيدى علي ·· فقال هذه : لا والله لا نسقيهم منه ·· فأرسل علي اليهم أن خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا الى معسكركم ، وخلوا عنهم ، فان الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم (١) ·

ـ وانظر ، بعد ذلك ، ولم يعد من الحرب بد ، وقد تكرر الاعذار الى معاوية دون أن يرجع عما هو عليه ، وقد باءت الرسل اليه من قبل علي بالفشل ·· انظر الى علي ، وهو يسن لجنده شريعة الحرب ـ كما يراها ـ فيقول لهم : لاتقاتلوا القوم حتى يبدؤكم ، فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة ، وترككم اياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم ، فاذا قاتلتموهم فهزمتموهم ، فلا تقتلوا مدبرا ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثلوا بقتيل ، فاذا وصلتم الى رجال القوم ، فلا تهتكوا سترا ، ولا تدخلوا دارا الا باذن ، ولا تأخذوا شيئا من أموالهم الا ما وجدتم فى عسكرهم ،

---

(١) الطبرى ـ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢

ولا تهيجوا امرأة بأذى وان شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فانهن ضعاف القوى والأنفس (١) ٠٠

ـ وقد استعر الحرب بين الفريقين ، وطال ، وكثر القتلى من الجانبين ، وان كان أصحاب علي وجنده أكثر فداء واقداما وشجاعة ٠٠ وقد شدوا على جيش معاوية حتى أوشك النصر أن يتحقق لهم ٠٠ فلما رأى معاوية ذلك ، قال ـ فيما ترويه المراجع (٢) ـ لعمرو بن العاص : يا عمرو ألم تزعم أنك ما وقعت فى أمر قط الا خرجت منه ؟ قال : بلى ، قال : أفلا تخرج مما ترى ؟ قال : والله لأدعونهم ان شئت الى أمر أفرق به جمعهم ، وبزداد جمعك اليك اجتماعا ، ان أعطوكه اختلفوا ، وان منعوكه اختلفوا ٠

قال معاوية : وما ذلك ؟

قال عمرو : تأمر بالمصاحف فترفع ، ثم تدعوهم الى ما فيها ، فو الله لئن قبله ، لتفترقن عنه جماعته ، ولئن رده ليكفرنه أصحابه ٠٠

فدعا معاوية بالمصحف ، ثم دعا رجلا من أصحابه يقال له أبن هند فنشره بين الصفين ، ثم نادى : الله الله فى دمائنا ودمائكم الباقية ، بيننا وبينكم كتاب الله ٠

فما سمع الناس ذلك ثاروا الى علي ، فقالوا : قد أعطاك معاوية الحق ، ودعاك الى كتاب الله ، فاقبل منه ٠

ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول : بيننا وبينكم هذا المصحف ، ثم تلا قوله تعلى « الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ٠ ليحكم بينهم ، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » (٣) ٠

وقال أصحاب علي ـ أو بعض منهم ـ نجيب الى كتاب الله عز وجل ، وننيب اليه ٠٠

ولم يكن علي بن أبي طالب من هذا الرأى ٠٠ فثار الخلاف ، ووقعت الفرقة ٠

---

(١) المصدر المذكور ـ الجزء السادس ـ ص (٦) ٠
(٢) المصدر المذكور ص ٢٦ ، ٢٧ ـ ابن قتيبة : الامامة والسياسة ص ١٠١ ـ ١٠٢
(٣) سورة آل عمـران اية رقم (٢٣ )

## ٥ ـ قبــول التحكيــم :

### ( أ ) تردد علي بشأن التحكيم :

ـ نعم ٠٠ فقد وقع ما أراده عمرو بن العاص ٠ فقد كان ذلك هو القصد من رفع المصاحف : ايقاع الفرقة بين صفوف علي وكف بأسهم عن جند معاوية ، وبذلك يحقق معاوية نصرا بلا ثمن ، ويبلغ غايته بأقصر طريق ٠٠ ولم تكن غايته سوى الدنيا ورئاسة الدولة ٠ فقد سأله الثقفى : علام تقاتل علي بن أبي طالب ؟ قال معاوية « على دم عثمان ، وعلى هذا الخاتم ، الذى من جعله فى يده جادت طينته ، وأطعم عياله ، وادخر لأهله » (١) ـ فاذا كان ذلك هو قول معاوية بلسانه ، وكان دم عثمان حقــا أريد به باطل ، بدا الغرض بالنســبة لمعاوية واضحا بينا : انــه الدنيا ٠٠ والرئاسة ٠٠ والمال ٠

ـ وكما ذكرنا من قبل فان علي بن أبي طالب لم يقبل أول أمره بالتحكيم ٠٠ لأنه أدرك ما وراءه ٠٠ حدثوا (٢) انه مضى يقول : عباد الله ٠٠ امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم ، فان معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وابن أبى معيط ، وحبيب بن سلمة وابن أبى سرح ، والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ٠٠ أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالا ، وصحبتهم رجالا ، فكانوا شر أطفال ، وشر رجال ٠٠ ويحكم انهم ما رفعوها ثم لا يرفعونها ، ولا يعلمون بما فيها ، ولا رفعوها لكم الا خديعة ودهنا ومكيدة ٠٠ فقالوا له : اندعى الى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله ٠ فقال لهم : فانى انما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فانهم قــد عصوا الله عز وجل فيما أمرهم ، ونسوا عهده ، ونبذوا كتابه » ٠

الى هذا الحد وصل الأمر بين جند علي ٠٠ وعلي ليس ممن يستبدون برأيهم ، انه يأخذ بالشورى ، وينزل على حكم الجماعة ٠٠ وجنده قد خدعوا ونداء معاوية قد نفذ الى عقولهم ٠٠

ومضى علي يقول : فاحفظوا عنى نهيى اياكم ، واحفظوا مقالتكم ، لي أما أنا فان تطيعونى تقاتلوا ، وان تعصونى فاصنعوا ما بدا لكم ٠

---

(١) ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة ص ١٠١

(٢) الطبرى : ص ٢٧ المصدر الســابق ٠

قالوا له : اما ان تبعث الى الأشتر ( وكان ما يزال على رأس جماعته ، وقد أظهرهم الله بالنصر ) ٠٠ ابعث اليه فليأتك ٠٠ والا والله اعتزلناك ٠٠ أو لنقتلك كما قتلنا ابن عفـان ٠٠

وهكذا قضى الأمر ، وكان على علي بن أبي طالب أن يقبل التحكيم وهو كاره له ٠٠ وقال للناس : قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما ٠٠ هنالك جاء الأشعث بن قيس ( وسيكون له أمره فيما بعد ) الى علي ، فقال له : ما أرى الا قد رضوا ، وسرهم أن يجيبوا القوم الى ما دعوهم اليهم من حكم القرآن ، فان شئت أتيت معاوية ، فسألته ما يريد ، فنظرت ما يسأل ٠ قال : ائته ان شئت فسله ٠ فأتاه ، فقال : يا معاوية لأى شىء رفعتم هذه المصاحف قال : لنرجع نحن ، وأنتم الى ما أمر الله عز وجل به فى كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضون به ، ونبعث منا رجلا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدوانه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه ــ فقال له الأشعث بن قيس هذا الحق ٠ فانصرف الى علي ، فأخبره بالذى قاله معاوية ٠ فقال الناس : فانا قد رضينا ، وقبلنا ، فقال أهل الشام : فانا قد اخترنا عمرو بن العاص فقال الأشعث (١) ــ فانا قد رضينا بأبي موسى الأشعرى ــ قال علي : فانكم قد عصيتمونى فى أول الأمر ، فلا تعصونى الآن ٠ انى لا أرى أن أولى أبا موسى فقال الأشعث وآخرون : لا نرضى الا به ، فانه ما كان يحذرنا وقعنا فيه ٠٠ قال علي : فانه ليس لى بثقة قد فارقنى وخذل الناس عنى ، ثم هرب منى حتى آمنته بعد أشهر ٠٠ ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك ٠ قالوا ما نبالى أنت كنت أم ابن عباس ٠ لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية؟ سواء ، ليس الى واحد منكما بأدنى منه الى الآخر ٠٠ فقال علي : فانى أجعل الأشتر ٠٠ قال الأشعث وهل نحن الا فى حكم الاشتر ؟ قال علي : وما حكمه ؟ قال : حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد ٠ قال على : فقد أبيتم الا أبا موسى قالوا : نعم ٠٠ قال فاصنعوا ما أردتم ٠

**(ب) التحكيـم :**

وحدثوا أن القوم قد بعثوا الى أبى موسى ، وقد اعتزل القتال ، فأتاه مولى له ، فقال : ان الناس قد اصطلحوا ٠٠ فقال : الحمد لله رب العالمين ٠ قال قد جعلوك

---

(١) المصدر السابق ــ ج ٦ ــ ص ٢٨

حكما ٠٠ قال : انا لله ، وانا اليه راجعون ٠٠ وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر (١)٠

قالوا : وكتب كتاب التحكيم : بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ـ قاضى على على أهل الكوفة ومن معهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية على أهل الشام ، ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، انا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره ، وان كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته الى خاتمته ، نحيي ما أحياه ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان فى كتاب الله عز وجل وهما أبو موسى الأشعرى ، وعمرو بن العاص ـ عملا به ، ومالم يجدا فى كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة ـ وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجنود من العهود والميثاق والثقة من الناس انهما آمنان على انفسهما وأهلهما ، والأمة لهما أنصار على الذى يتقاضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد الله وميثاقه انا على ما فى هذه الصحيفة وان قد وجبت قضيتهما على المؤمنين ، فان الأمن والاستقامة ، ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم وشاهدهم وغائبهم ٠٠ وعلى أبي موسى الأشعرى وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة ولا يرداها فى حرب ولا فرقة حتى يعصيا ، وأجل القضاء الى رمضان ، وان أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على تراض منهما وان توفى أحد الحكمين فان أمير الطائفة يختار مكانه ولا يألوا من أهل المعدلة والقسط ، وان مكان قضيتهما الذى يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام ، وان رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه الا من أرادا ويأخذا الحكمان من أرادا من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما فى هذه الصفحة وهم أنصار على من ترك فى هذه الصفحة وأراد فيها الحادا وظلما ـ اللهم انا نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصحيفة (٢)

ـ ومع ذلك ، فان قبول التحكيم ، وتوقيع الوثيقة ، ونزول علي على ما ارتضاه

---

(١) المصدر المذكور ـ ص ٢٩

(٢) اختلفت عبارات الوثيقة فى المراجع المختلفة : ابن قتيبة : المصدر السالف الذكر ص ١١٥ والطبرى : المصدر المذكور ص ٢٩ ـ ٣٠ ومع ذلك فان المضمون متقارب وليس بين النصوص خلاف جوهرى ـ العقود الفضية ص ٣٦ ـ ٣٧

الجند ٠٠ كل هذا لم يضع حدا للخلاف فى معسكر علي ٠٠ بل قد يكون مما فتح باب الخلاف على مصراعيه ، فلم يغلق بعد ذلك أبدا ٠

ولعل مما يعبر عن ذلك أصدق تعبير ٠٠ ما يرويه ابن قتيبة من أنه على أثر توقيع الوثيقة أقبل رجل من بنى يشكر على فرس له حتى وقف بين الصفين على علي ، فقال : يا علي : أكفر بعد اسلام ، ونقض بعد توكيد ، وردة بعد معرفة ؟ انا من صحيفتكما برىء ، ومن أقر بها برىء ٠٠

وذكر انه لما لم يبق الا الكتاب ، قال الأحنف بن قيس لعلى : يا أمير المؤمنين ان أبا موسى رجل يمانى ، وقومه مع معاوية ، فابعثنى معه ، فو الله لا يحل لك عقدة الا عقدت لك أشد منها ، فان قلت : انى لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابعث ابن عباس ، وابعثنى معه ٠

فقال علي : ان الأنصار أتونى بأبى موسى ، فقالوا : ابعث هذا ، فقد رضيناه ، ولا نريد سواه ، والله بالغ أمره (١) ٠

ـ كما ذكروا أنه قيل لعلي بعد ما كتبت الصحيفة : ان الأشتر لا يقر بما فى الصحيفة ، ولا يرى الا قتال القوم ٠٠ قال علي : وأنا والله ما رضيت ، فلا يصلح الرجوع بعد الرضى ، ولا التبديل بعد الاقرار الا أن يعصى الله عز وجل ، ويتعدى كتابه ، فقاتلوا من ترك أمر الله عز وجل واما الذى ذكرتم من تركه أمرى وما أنـا عليه فليس من أولئك ولست أخافه على ذلك ، ياليت فيكم مثله اثنين ، ياليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى ، اذا لحقت علي مؤونتكم ، ورجوت أن يستقيم لى بعض أودكم ، وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتمونى (٢) ٠٠

ـ وكان الكتاب فى صفر ، والأجل رمضان الى ثمانية أشهر الى أن يلتقى الحكمان ٠٠ ثم اناسا دفنوا قتلاهم ، ونودى فيهم بالرحيل ، فارتحلوا ٠٠ وعاد علي الى الكوفة (٣) ٠٠

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ص ١١٤
(٢) الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك ص ٣٣
(٣) المصدر السابق ص ٣٣ ـ ٣٤

ـ وهكذا يتضح لنا بجلاء جملة الحقائق التالية :

١ ـ ان جيش علي كاد أن يحقق الانتصار الكامل ، ويظهر على الفريق الآخر ٠

٢ ـ ان التحكيم كان خدعة ، وكان الدافع وراءها هو تحقيق مأرب دنيوى ، بأيسر طريق ٠٠ وكان ذلك واضحا من حديث عمرو بن العاص لمعاوية بن أبى سفيان ٠

٣ ـ ان هذه الخدعة لم تكن لتجوز على علي بن أبي طالب ، فقد أدركها ـ وأدرك حقيقة ما وراءها ـ من الوهلة الأولى ، وأعلن على الفور رفضه لها ، وعدم قبوله للتحكيم ٠

٤ ـ ان علي بن أبى طالب انما قبل التحكيم مضطرا ، ورضى به مكرها ازاء ضغط من ضعف أفراد جماعته ، ومن نهضوا بينهم يدعون الى قبول التحكيم ٠٠ وان الدعوة التى دعا بها معاوية أحدثت أثرها فى خداع الجند ، كما أنها كانت نكأة لبعض من ضعفت أنفسهم للجهر بها والدعوة الى الكف عن القتال ٠٠

وازاء ذلك كله لم يكن فى وسع علي الا أن يرضى بالتحكيم ـ وان لم يقتنع به ، ولم تخف عنه نتائجه ٠

٥ ـ ان قبول التحكيم ، رغم ذلك قد أغضب فريقا من أتباعه ، وأثار الجدال بينهم ، فواجهوه برفضهم ، وطلبوا اليه العدول عنه ٠٠ ولم يكن ذلك فى امكانه ، فضلا عن مجافاته لطباعه ـ فما كان له أن ينكث عما عاهد عليه ٠

## ( ج ) واقعة التحكيم :

يروون الكثير عما سبق واقعة التحكيم من أحداث وأحاديث ٠٠

فمن هذه الأحداث : ظهور فئة من جند علي خرجت عن علي اثر قبوله التحكيم ٠٠ وكان ذلك بداية « المحكمة » مما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد ٠

ومنها ما فشابين جند علي بصفة عامة من خلاف ، واضطراب يصفهما الطبرى بقوله « خرجوا مع علي الى صفين وهم متوادون أحباء فرجعوا متباغضين أعداء ، ما برحوا من عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم ، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ، ويتشاتمون ويضطربون بالسياط ، يقول المحكمة : يا أعداء الله داهنتم فى أمر

الله عز وجل ، وحكمتم . وقال الآخرون : فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا (١) .

ومن الأحاديث ما يروى عما دار بين الحكمين من نقاش وتلاح ومحاولة من جانب عمرو لخديعة أبى موسى .. مما لا مجال لايراده فى هذا المقام .. ونكتفى ـ فى هذا الشأن ـ بايراد رواية ابن قتيبة لذلك ..

قال : وذكروا أن عمروا غدا على أبي موسى ، فقال : يا أبا موسى قد عرفت حال معاوية فى قريش ، وشرفه فى بني عبد مناف وأنه ابن هند وابن أبي سفيان ، فما ترى ؟ فقال أبو موسى : أما معاوية فليس بأشرف فى قريش من علي ، ولو كان هذا الأمر على شرف الجاهلية كان أخوال ذى أصبح ، ولكننى أرى ، وترى .. وباعده أبو موسى ، ثم غدا عليه عمرو ، فقال : يا أبا موسى ان قال قائل : ان معاوية من الطلقاء ، وأبوه رأس الأحزاب ، لم يبايعه المهاجرون والأنصار فقد صدق ، واذا قال ان عليا آوى قتلة عثمان ، وقتل أنصاره يوم الجمل ، وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق ، وفينا وفيكم بقية ، وان عادت الحرب ذهب ما بقى ، فهل لك أن تخلعها جميعا ، وتجعل الأمر لعبد الله بن عمر ، فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبسط فى هذه الحرب يدا ولا لسانا ، وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه فقال أبو موسى : جزاك الله بنصيحتك خيرا ، وكان أبو موسى لا يعدل بعبد الله ابن عمر أحدا .. وافترقا على هذا الأمر ، واجتمع رأيهما على ذلك .. ثم ان عمرو التقى بأبى موسى فى الغد وجماعة من الشهود ، فقال : يا أبا موسى نناشدك الله تعالى ، من أحق بهذا الأمر ؟ من أوفى أو من غدر ؟ قال أبو موسى من أوفى . قال عمرو : يا أبا موسى : ناشدتك الله تعالى : ما تقول فى عثمان ؟ قال أبو موسى : قتل مظلوما . قال عمرو : فما الحكم فيمن قتل ؟ قال أبو موسى : يقتل بكتاب الله تعالى . قال : فمن يقتله ؟ قال : اولياء عثمان ؟ قال : فهل تعلم أن معاوية من أولياء عثمان ؟ قال نعم .. قال عمرو للقوم : اشهدوا .. قال أبو موسى : اشهدوا على ما يقول عمرو (٢) .

ثم قال أبو موسى لعمرو : قم يا عمرو ، فقل وصرح بما اجتمع عليه رأيى

(١) الطبرى : المصدر السابق : ص ٣٥

(٢) ابن قتيبة : ص ١١٧ـ١١٨ ـ وفى التفاضل راجع رواية الطبرى فى المصدر المشار اليه ص ٣٧ـ٤٠

ورايك ، وما اتفقنا عليه ، فقال عمرو : سبحان الله أقوم قبلك ، وقد قدمك الله قبلى فى الايمان والهجرة ، وانت وافد أهل اليمن الى رسول الله ، ووافد رسول الله اليهم ، وبك هداهم الله ، وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه ، وصاحب مغانم أبى بكر وعمر ولكن قم انت فقل ، ثم أقوم فأقول ٠

فقام أبو موسى ٠٠ فقال : أيها الناس : ان خير الناس للناس خيرهم لنفسه ، وانى لا أهلك دينى بصلاح غيرى ان هذه الفتنة قد اكلت العرب ، وانى رأيت وعمرو أن نخلع عليا ومعاوية ، ونجعلها لعبد الله بن عمر ، فانه لم يبسط فى هذه الحرب يدا ولا لسانا ٠٠

ثم قام عمرو فقال : أيها الناس ٠٠ هذا أبو موسى شيخ المسلمين ، وحكم أهل العراق ، ومن لا يبيع الدين بالدنيا ، وقد خلع عليا ، وأنا أثبت معاوية ٠

وقد هالت مفاجاة الخديعة أبا موسى فانطلق يقول : مالك عليك لعنة الله ما أنت الا كمثل الكلب يلهث ٠

فقال عمرو : لكنك مثل الحمار يحمل أسفارا ٠

واختلط الناس ، فقالوا : والله لو اجتمعنا على هذا ما حولتمانا عما نحن عليه ، وما صلحكما بلازمنا ، وان اليوم على ماكنا عليه بالأمس ، ولقد كنا ننظر الى هذا قبل أن يقع ، وما أمات قولكما حقا ، ولا أحيا باطلا ٠

ثم تشاتم أبو موسى وعمرو ، ثم انصرف عمرو الى معاوية ولحق أبو موسى بمكة ، وانصرف القوم الى علي ٠٠

## ٦ ـ ظهور المحكمة :

وهكذا بلغ الأمر منتهاه ، واتضحت معالم المسألة واضحة وبدا لكل ذى عينين أن التحكيم لم يكن سوى خديعة لم يبغ من طلبها سوى العدول عن الطريق السوى ٠٠ وصح كل ما توقعه علي بن أبي طالب ٠٠ حتى حق له أن يقول وقد وقع ما وقع : أما أنى قد أخبرتكم أن هذا يكون بالأمس ، وجهدت أن تبعثوا غير أبى موسى

فابيتم علي (١) ٠

ولعل أبلغ تصوير لما حدث مقالة ابن عباس : انما سار أبو موسى بهدى الى ظلال ، وسار عمرو بضلالة الى هدى ، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه ، ومضى عمرو على ضلاله ٠٠ فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن ، ولقد تمسكا بما سارا به لقد سار أبو موسى وعلى امامه ، وسار عمرو ومعاوية أمامه (٢) ٠٠

على أن نتيجة ذلك كله كان اشتداد أمر المحكمة ٠٠ وقد أسلفنا أن ظهورهم كان على أثر قبول علي للتحكيم ٠٠ ثم حدثت معهم لقاءات ، أسفرت عن نوع من الموادعة بينهم وبين علي ٠٠ الى أن كان التحكيم وأسفر عما أسفر عنه ، فكان فى ذلك مدعاة لاشتداد أمرهم ، وتآزرهم وخروجهم عن علي ٠٠ واذا بجموعهم تتكاثر ، وصفوفهم تنتظم ، واذا بالأمر يصل بينهم وبين علي الى حرب وقتال ٠٠

وبظهور المحكمة ٠٠ اتخذ الأمر صورة أخرى ، وصار لهذه الفرقة الجديدة شأنها فى سير الأحداث ، وتوجيه الحوادث ٠ وأصبحت تدافع عن آرائها بقوة الدليل ومنطق البرهان ٠٠ غير أنها ـ شأن كل جماعة ـ ما لبثت أن ظهر فى آرائها الغلو فانقسمت فيما بينها الى فرق عديدة ٠٠

فظلت جماعة ( الاباضية ) التى تتابع جابر بن زيد مستمسكة بحبل الاعتدال وذلك على النحو الذى سنتناوله بالتفصيل المناسب فى الفصل التالى ان شاء الله ٠

# الفصـل الثاني

# دور جابر بن زيد كزعيم للمذهب الاباضي

## مبحـث تمهيـدي

## عـــن

## نشأة المحكمة ، وظهـور الاباضية

### ١ ـ المحكمـة :

وهكذا رأينا كيف وصل الأمر بعلي بن أبي طالب بعد أن انتهى التحكيم ، وأسفر

(١) ، (٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ص ١١٩

عما أسفر عنه من مواقف . وفى الحقيقة ان آثار التحكيم لم تقتصر فقط على تقوية جانب معاوية بن أبي سفيان واضعاف جانب علي ، بل انها قد امتدت لتحدث الفرقة فى صفوف علي .. فرقة اشتدت ، وتضاعفت بصورة مؤلمة .

ذلك أن جماعة من المحكمة كانت قد ظهرت ـ كما أشرنا ـ فى صفين على علي أثر قبوله التحكيم ، وارتفع صوتها تعلن عدم رضاها عنه ، بل وتدعو الى نقضه بعد قبوله .. وقد حاجهم علي وحاجوه .. اذ أن التحكيم خدعة وطالما أن عليا على الحق ففيم قبول التحكيم ؟ وهل هناك تحكيم فى شرع الله ؟ واذا قيل بقبول التحكيم ففيم كانت الحرب وكان القتال ؟ ..

وعلى ذلك اتصل الجدل ، وتواصل النقاش ، فلما أن بلغ التحكيم نهايته ، ولم يصل بالمسلمين الى غاية يرضونها ، مضى أولئك المحتجون ـ من جند علي ـ يجمعون صفوفهم ، ويعلنون خروجهم عن علي بن أبي طالب ، بل وينتهى بهم الأمر الى اعتزاله .

وان عليا ـ وقد انتهى أمر التحكيم ـ ليرى أنه لم يعد بد من مواجهة معاوية ، وأن عليه أن يمضى بجيشه الى الشام ، لينهى أمر معاوية ، ويخضعه ويخضع الشام معه لبيعته ـ ولكن وجود المحكمة بين صفوف جنده ، واشتداد أمرهم ، وما آثاره ذلك من فرقة بين أفراد جماعته .. كل ذلك أدى الى نشوب الحرب بينه وبين هؤلاء « المحكمة » الذين كانوا قد أمروا عليهم واحدا منهم ، ودعوا علي بن أبى طالب الى أن يتوب الى ربه وينضم الى جماعتهم ..

والى هذا الحد وصل الأمر بين الفريقين .. وكان لواقعة « النهروان » التى قتل فيها عدد كبير من المنكرين للتحكيم أثرها فى زيادة الفرقة ، وتضعضع القوى ، وتفرق الصفوف .. كما أنها ـ مع ما أسفرت عنه من قبل ـ لم تزد جماعة المحكمة الا اصرارا على موقفهم ، واشتدادا فى خروجهم ، ومضيا فى اعتزال من سواهم ..

وقد قتل علي بن أبي طالب ـ بعد ذلك ـ قتله عبد الرحمن بن ملجم وهو أحد المحكمة ، وكان من الطبيعي أن يؤدى قتل علي الى ضعف جماعته ، وتفرق شيعته ، واستقرار الأمر لمعاوية بن أبي سفيان بعد أن بايعه الحسن بن علي وخطب فى الناس

قائلا « .. كانت لى فى رقابكم بيعة ، تحاربون من حاربت ، وتوالون من سالمت ، وقد سالمت معاوية ، وبايعته ، فبايعوه » (١) ..

غير أن ذلك لم يكن لينهى دعوة المحكمة بل لعله كان مما زادهم شدة فى دعواهم ـ ودعوتهم ـ تمسكا بها .. ومضوا على مبادئهم : يعلنون أن لا حكم الا لله .. وأن من خالفكم هو مخطىء ، وأن عليهم أن يتصدوا لكل عدوان ينزل بهم .

كما أن هذا المسلك منهم دعا بعض من كانوا يؤازرونهم ، الى مخالفتهم ، والافتراق عنهم ، بل وتوجيه شديد النقد عليهم .. هذا البعض ـ الذى تشدد بعد أن كانوا لهم مؤيدين ـ بدالهم رأى غير الذى ارتاؤه جميعا .. ورأوا أن عليا وان أخطأ فى قبول التحكيم ، وان لم ينزل عند طلبهم عليه التوبة مما فعل (٢) .. وكذلك سائر أهل القبلة الذين مازالوا على الشهادتين ـ انما هم مسلمون لا يجوز قتالهم ، ولا سبى نسائهم ، وليست أموالهم غنيمة .. وأن قتالهم لا يكون الا فى حالة وقوع بغى وعدوان منهم ، فهنا يجب القتال بمقدار ما يلزم لدفع العدوان ورد البغى .. وعلى ذلك فان استعراض المسلمين بالسيف على النحو الذى فعله ـ واستمر عليه ـ المتشددون منهم .. ليس من الاسلام فى شىء ، بل هو على الاسلام ..

## ٢ ـ ظهور الاباضية ( القعدة ) :

وفى الحقيقة أن هذا المسلك من المحكمة قد أثار عليهم الخليفة ـ وعماله على مختلف الأمصار ـ لما لموقفهم الصلب فى دينهم ، ولما كانوا يبدونه من خروج على طاعة أهل الظلم المستبدين ، فكان هؤلاء المحكمة ملاحقين فى كل موضع ـ من ولاة الأمر ، يتعرضون للسجن حينا ، وللقتل أحيانا ، ولسواهما من الوان التعذيب .. ورغم ذلك فقد استمروا فيما كانوا فيه من خروج على الحاكم الظالم .

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ١٤١ بتصرف .

(٢) وتذهب بعض الروايات الى أنه أبدى توبته ، ثم رجع عنها وساير معاوية فى شأن التحكيم .. وسيأتى لذلك زيادة بيان .

على ذلك فان هذه « الجماعة » الناشئة لم تكن تجوز ذلك المسلك الدموى الذى سلكه المتشددون ، ولم تكن تتابع تعصبهم الأعمى ضد من لا يشايعونهم ٠٠

وقد عرفت هذه الجماعة فى أول أمرها بجماعة المسلمين ـ هكذا أطلقوا على أنفسهم ـ كما عرفوا بأهل « الحق والاستقامة » ٠٠ وسماهم الخارجون « بالقعدة » لأنهم آثروا القعود والمسالمة فى مثل تلك الأمور المشتبهة حقنا منهم للدماء وحرصا على الوحدة بينما فضل الأخرون الخروج والسيف ٠٠ على أن ( أهل الحق والاستقامة ) اشتهروا بعد ذلك باسم « الاباضية » نسبة الى عبد الله ابن اباض ٠

فنشأة هذه الجماعة ترجع بصورة أو أخرى الى سببين رئيسيين :

ـ الأول : هو ما كان لها من موقف محدد ازاء ذلك الخلاف الذى ثار فى الدولة الاسلامية بشأن التحكيم وما استتبعه من خلافات جوهرية حول اسلوب تولى الخلافة بصفة عامة ٠٠ وكيف تتم ؟ وممن يكون الخليفة ؟ ٠٠

ـ الثانى : مقاومة النزعة الخارجية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ٠٠ والتى انتشرت بين الخوارج بمختلف فرقهم ٠

وقد آثرت هذه الجماعة أسلوب « التقية » والهدوء ، وعدم الالتجاء الى العنف ـ الا اذا وقع عليهم عدوان ٠

وقد تكون لهذه الجماعة فقه ضخم ، وظهر بينهم فقهاء ومحدثون أجلاء كما صار لهم أنصار وأتباع ، ثم ما لبث أنصارهم أن تفرقوا فى مختلف الأقطار ٠٠ فى اليمن والحجاز وعمان والمغرب وخراسان ٠٠ فضلا عن مكان نشأتهم : وهو البصرة ٠٠

### ٣ ـ خطة الدراسة :

وعلى ذلك فان التعرض للمذهب الاباضى من حيث النشأة ، والانتشار والمضمون ، يقتضى منا أن نعرض بادىء الأمر لأسلاف الاباضية الذين ظهروا مع المناداة بالتحكيم ٠٠ كما نعرض بالتالى لأمر الخوارج : كيف نشأوا ولماذا قويت دعوتهم ثم تفرقوا من بعد الى فرق عديدة ٠٠ لنخلص من ذلك الى الحديث عن الاباضية كيف ظهروا ، وكيف قويت دعوتهم ، وما دور جابر بن زيد فى نشأتهم ، واشتداد أمرهم ، واكتمال فقههم ٠

وسوف تنقسم الدراسة فى هذا الفصل الى مباحث ثلاثة :

المبحث الأول : الخلافات التى ثات بسبب التحكيم ، ونشأة المحكمة ·

المبحث الثاني : مجانبة الجماعة الذين على الحق والاستقامة للخوارج من المحكمة ·

المبحث الثالث : جابر بن زيد والدعوة الاباضية ·

## المبحـث الأول

## الخلافات التى ثارت بسبب التحكيم ، ونشأة المحكمة

**تمهيـــد :**

ثارت قبل التحكيم ـ وأثناءه ـ خلافات عديدة بين أنصار علي وشيعته ·· كما زادت تلك الخلافات بعد انتهاء التحكيم ·· وانتهى أمرها الى نشأة المحكمة فرقة واحدة ثم فرقا متعددة ·· ويقتضينا المقام أن نتحدث عن المحكمة ، ثم واقعة النهروان وما تلاها من أحداث ، لنقف بعد ذلك عند معنى الخـروج ، وأسبابه ومظاهره ، ونتائجـه ··

**١ ـ المحكمة والخروج الأول :**

ـ فى روايــة للطبرى (١) أن القـوم اكرهـوا علي بن أبي طالب على قبــول التحكيم قالوا له : ابعث الى الأشتر فليأتك ـ وكان الأشتر ما يزال ماضيا فى حربه ، محققا انتصارات عديدة ـ فأرسـل علي الى الأشـتر يزيد بن هـانىء أن ائتنى ، فأتاه ، فبلغه ، فقال الأشتر : قل له ليس هذه الساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى فيها من موقفى ، انى قد رجوت أن يفتح لى ، فلا تعجلنى ··

فرجع يزيد بن هانىء الى علي فأخبره ، فما هو الا أن انتهى الى القوم حتى علت أصواتهم ، وقالوا لعلي : والله ، ما نراك الا أمرته أن يقاتل ، قال : من أين ينبغى أن تروا ذلك منى ·· رأيتمونى ساررته أليس انما كلمته على رؤسكم علانية وأنتم تسمعون ؟ قالوا : فابعث اليه فليأتك ، والا والله ، اعتزلناك قال له : ويحك يا يزيد ،

(١) الطبرى : المصدر المذكور ـ ج (٦) ـ ص ٢٧ ـ ٢٨

قل له أقبل الي ٠٠ قال : الفتنة قد وقعت ، فأبلغه ذلك ٠٠ فقال له : الرفع للمصاحف ؟ قال : نعم ٠٠ قال : أما والله لقد ظننت حين رفعت أنها ستوقع اختلافا ، وفرقة ٠٠ ألا ترى ما صنع الله لنا ٠٠ أينبغى أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم ؟ فقال يزيد : فقلت له ، أتحب أنك ظفرت ههنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يفرج عنه أو يسلم ؟ قال : لا والله ٠٠ قال : فانهم قد قالوا ، لترسلن الى الأشتر ، فليأتينك أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان ٠٠ فأقبل حتى انتهى اليهم ٠٠ فقال : يا أهل العراق ٠٠ حين علوتم القوم ظهرا وظنوا أنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها ، وسنة من أنزلت عليه ٠٠ فلا تجيبوهم ، أمهلونى عدو الفرس ، فانى قد طمعت فى النصر ٠٠ قالوا : اذا ندخل معك فى خطيئتك ٠

ـ وذكروا أنه لما أبوا على علي اختيار ابن عباس حكما من قبله وقالوا له : لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، ليس الى واحد منكما بأدنى منه الى الآخر ٠٠ فقال علي : فانى أجعل الأشتر ٠٠ فقالوا : وهل سعر الأرض غير الاشتر ٠٠؟ أو هل نحن الا فى حكم الأشتر ؟ قال علي : وما حكمه ؟ قالوا حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد قال : قد أبيتم الا أبا موسى : فاصنعوا ما أردتم (١) ٠٠

ـ كما ذكروا أنه لما كتبت الصحيفة ـ بقبول التحكيم ـ دعى لها الأشتر ، فقال : لا صحبتنى يمينى ، ولا نفعتنى بعدها شمالى ان خط فى هذه الصحيفة اسم على صلح ولا موادعة ٠٠ أو لست على بينة من ربى من ضلال عدوى أو لستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الجور ٠٠ (٢) تحكمون فى أمر الله عز وجل الرجال لا حكم الا لله ٠٠ لا حكم الا لله ٠٠

ـ وروى أنه قيل لعلى كتبت الصحيفة ٠٠ ان الأشتر لا يقر بما فى الصحيفة ولا يرى الا قتال القوم : قال علي : وانا والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا ،

(١) المصدر السابق ـ ص ٢٨
(٢) المصدر المذكور ـ ص ٣٠

فاذا أبيتم الا أن ترضوا ، فقد رضيت فاذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ، ولا التبديل بعد الاقرار الا أن يعصى الله عز وجل ، ويتعدى كتابه ٠٠ وأما الذى ذكرتم من تركه أمرى ، وما أنا عليه ، فليس من أولئك ، ولست أخافه على ذلك ، ياليت فيكم مثله اثنين ٠٠ ياليت فيكم مثله واحدا ٠٠ يرى فى عدوى ما أرى ـ اذا لخفت على مؤونتكم ، ورجوت أن يستقيم لى بعض أودكم (١) ٠

ـ هكذا ثار الخلاف لدى عرض التحكيم ٠٠ وازدادت حدته لدى قبوله ، ومنذ أن أطلقها عروة (٢) بن أدية قولة تعبر عن رأيه « لا حكم الا لله » ـ وهذه العبارة تعلو وتعلو ، ويرددها الكثيرون ، وتصبح شعارا لأولئك المعارضين للتحكيم ٠٠ أولئك الذين يصفهم الطبرى بقوله « خرجوا مع علي الى صـفين وهم متوادون أحباء ، فرجعوا متباغضين أعداء ، ما برحوا عن عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم ، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ، ويتشاتمون ويضطربون بالسياط ، ويقول قائلهم : يا أعداء الله أداهنتم فى أمر الله عز وجل وحكمتم ؟ ٠ فيقول لهم القوم : فارقتم امامنا ، وفرقتم جماعتنا فلما دخل علي الكوفة ٠٠ لم يدخل أولئك الذين يخالفون ـ ولم يرضوا بقبول التحكيم ـ الى الكوفة ، حتى أتوا حروراء ـ وهى قرية بناحية الكوفة ـ فنزلوا بها ، ويذكر الطبرى أنهم كانوا اثنى عشر ألفا ، (٣) ونادى مناديهم أن أمير القتال شيث بن ربعى التميمى ، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكرى ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ٠٠

وهكذا كان الخروج الأول ٠٠ كان تعبيرا عن رفض موقف الامام ، لأنه فى نظرهم أمر بما ليس بحق ، وخالف القرآن ، والسنة ٠٠ وأن ذلك يعطيهم الحق فى نزع بيعتـه من أعناقهم ، ومبايعة من يرى رأيهـم ، وبالفعل بايعـوا من ذكـرنا : عبد الله ابن الكواء ، وشيث بن ربعى (٤) ٠٠

وقد أثار أمر هذا الخروج علي بن أبى طالب ، وحاول أن يتداركه قبل أن يستفحل فيعث اليهم ابن عباس ٠٠ فقال : ما نقمتم من الحكمين ، وقد قال الله عز وجل

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ص ٣٣

(٢) عروة بن أدية هو أخو أبى بلال بن مرداس وسيأتى ذكره ٠

(٣) المصدر السابق ٣٥ تاريخ الرسل والملوك ٠

(٤) الدكتور عمار طالبي : آراء الخوارج الكلامية ـ ص ٨٧

« ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما (١) » فكيف بامة محمد صلى الله عليه وسلم فقالت المحكمة : قلنا اما ما جعل حكمه الى الناس ، وأمر بالنظر فيه ، والاصلاح له، فهو اليهم كما أمر به ، وما حكم فأمضاه ، فليس للعباد أن ينظروا فيه ٠٠ فقال ابن عباس : فان الله عز وجل يقول « يحكم به ذوا عدل منكم (٢) » فقالوا له : أو تجعل الحكم فى الصيد والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم فى دماء المسلمين٠٠وهذه الآية بيننا وبينك : أعدل عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ، ويسفك دماءنا ٠٠ ؟ وقد حكمتم فى أمر الله الرجل ٠٠ وقد أمضى الله عز وجل حكمه فى معاوية ، وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك ما دعوناهم الى كتاب الله عز وجل فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينه كتابا ، وجعلتم بينكم وبينه الموادعة والاستفاضة ، وقد قطع عز وجل الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت « سورة براءة » الا من أقر بالجزية ٠٠

وانه ليتبين من هذا الحوار أمران :

ـ الأمر الأول عمق الخلاف ، وابعاد وجهتى نظر ـ كل منهما عن الآخر ـ فأولئك المعارضون للتحكيم يرون أن قبول التحكيم ليس مجرد خطأ ولكنه خروج على الشرع ومخالفة لحكم الدين ٠٠ أما علي فيرى أنه فى قبول التحكيم انما هو مطبق للشرع متوافق مع أحكام الدين ٠

ـ الأمر الثانى : أن كلا الفريقين كان الى اصراره على رأيه يستند الى آيات بينات من القرآن الكريم والى أدلة من سنة رسوله ، ولكنه كان يفهمها على النحو الذى يؤيد وجهة نظره ، ويتفق مع موقفه ٠

ـ وأيا ما كان وجه الحق فى هذه المسألة ، فان علي بن أبي طالب ٠٠ قد مضى بنفسه الى أولئك الخارجين عنه ٠٠ فقال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء قال علي : فما أخرجكم عنا ؟ قالوا : حكومتكم يوم صفين ٠ قال أنشدكم بالله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم الى كتاب الله ، قلت لكم اني

(١) سورة النساء آية رقم (٣٥ ) ٠
(٢) سورة المائدة آية رقم (٩٥) ٠

أعلم بالقوم منكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ·· اني صحبتهم ، وعرفتهم أطفالا ورجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال ، امضوا على حقكم وصدقكم فانما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهنا ومكيدة فرددتم علي ، وقلتم لا ، بل نقبل منهم ، فقلت لكم اذكروا قولى لكم ومعصيتكم اياى ، فلما أبيتم الا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القـرآن ، وأن يميتا ما أمات القـرآن ، فان حكما بحكم القرآن ، فليس لنا أن نخالف حكما يحكم به بما فى القرآن ، وان أبيا فنحن من حكمهما براء ، قالوا له : فخبرنا ، أتراه عدلا تحكيم الرجل فى الدماء ·· ؟ فقال : انا لم نحكم الرجال ، انما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق ، انما يتكلم به الرجل ·· قالوا : فخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم قال : ليعلم الجاهل ، ويتثبت العالم ، ولعل الله ـ عز وجل ـ يصلح فى هذه الهدنة هذه الأمة ·· ادخلوا مصركم ، رحمكم الله ··

قالوا : صدقت ، قد كنا كما ذكرت ·· وفعلنا ما وصفت ، ولكن ذلك كان منا خلاف القرآن ،فقد تبنا الى الله عزوجل منه، فتب كما تبنا، نبايعك، والا فنحن مخالفين·

فقال علي : ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يحى المال ، ويسمن الكراع ، ثم نخرج الى عدونا ولسنا نأخذ بقولهم وقد كذبوا ··

قالوا : وقد قدم معن بن زيد بن الأخنس السلمى فى استبطاء امضاء الحكومة ، وقال لعلى ان معاوية قد وفى ، ففِ أنت ، لا يلفتنك عن رأيك أعاريب بكر وتميم ، فأمر علي بامضاء الحكومة ··

قالوا : وان الخوارج قد دخلوا مصرهم الى حين (١) ··

## ٢ ـ وقفة وتحليل :

من هذا الحوار الذى دار بين ابن عباس وعلي بن أبى طالب من جانب وبين الخارجين عن علي أو المخالفين له من جانب آخر يتبين أن منهج كل من الفريقين قد تحدد ·· وأن هؤلاء الذين اعتزلوه قد أقروا أنهم يرون أن التحكيم يأباه الدين وأنهم ، حتى وان كانوا قد قبلوه ـ أو قبله بعضهم ـ أول الأمر ، فقد تابوا عن ذلك ، واستغفروا

(١) الرواية التى أوردناها فى المتن منقولة عن المصدر المذكور ص ٣٦ ـ ٣٧

الله ، ولا معدى من الرجوع عنه وأنه لا سبيل الا حرب الفئة الباغية ، لأنه لا حكم للناس فيما وضعه الله وبينه من شرع ٠٠ وقد ظل هؤلاء متمسكين برأيهم ، لا يحيدون عنه ٠٠ وان هادنوا عليا ٠٠ وقد أخذوا عليه عدة أمور :

ـ ان عليا ظل يكاتب معاوية سرا من دون المسلمين ٠٠ فكتب الى معاوية « من علي أمير المؤمنين الى معاوية » فكتب اليه معاوية لو أعلم أنك أمير المؤمنين لم أقاتلك ، فامح اسم أمير المؤمنين ، ففعل علي ذلك ٠٠ فبلغ ذلك « المسلمين » فقالوا له يا علي ما حملك أن تخلع نفسك من اسم سماك به المسلمون ، ألست أمير المؤمنين ، ومعاوية أمير المخالفين (١) ، فتب عما صنعت ٠٠ ثم انهم يذكرون أنه بعد أن تاب عدل عن توبته وأمضى الحكومة ـ أى التحكيم (٢) ٠

ـ كما أخذوا امضاء التحكيم ٠٠ وتعددت فى ذلك أقوالهم ٠٠ ولعل اصرحها قول عبد الله بن وهب الراسبى ، لما بلغه أمر التحكيم ، فقد قام الى علي مع اناس ـ عرفوا بعد ذلك بالقراء ـ فقال اتق الله ، فانك قد أعطيت العهد ، وأخذته منا ، ولنفين أنفسنا ، أو التقين عدونا ، أو يفيء الى أمر الله ، وانا نراك قد ركبت الى أمر فيه الفرقة والمعصية لله ، والذل فى الدنيا ، فانهض بنا الى عدونا فلنحاكمه الى الله بسيوفنا ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهو خير الحاكمين لا حكومة الناس (٣) ٠

يقول القلهاتى ما معناه : فلعمرى لئن كانت الحكومة عدلا وصوابا لقد أخطأ علي بسفكه الدماء ٠ ومعاوية هنا يصبح أولى بالعدل منه لكونه الداعى اليها وان كانت الحكومة خطأ وضلالا فعلى الامام علي أن يجتنبها (٤) ٠

فعلي اذن قد أخطأ ، ومن ثم ، فان الخروج عليه أمر محتوم ، فبذلك يقضى كتاب الله ـ فى رأى المذكورين ـ وعلى هذا النحو مضت تلك ( الجماعة ) التى وضح أمرها ، ثم ازدادت وضوحا بعد اعلان نتيجة التحكيم ـ كما سيتضح ذلك من عرضنا النقطة التالية ، التى نتناول فيها واقعة النهروان : مقدماتها ، ووقائعها ، وآثارها ٠٠ وسوف

(١) يعنى الذين خالفوا أمر علي ٠
(٢) القلهاتى : الكشف والبيان ـ الجزء الثانى ـ ص ٢٣٧ بتصرف ٠
(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ـ ص ١١١
(٤) القلهاتى : الكشف والبيان ـ ص ٢٣٧ بتصرف ٠

تكون لنا ـ بعد ذلك عودة باذنه تعالى لمناقشة الآراء التى قيلت بشأن موقف عَلي من جميع نواحيه ٠

٣ ـ الخروج الثانى الى النهروان :

( أ ) تقديم عبد الله بن وهب الراسبى اماما للمحكمة

لم ينته أمر المحكمة بعد ذلك ٠ بل انه قد كبر وتعاظم ٠٠ وان عليا ليخطب فى المسجد ذات يوم ، فيقوم رجل من جانب المسجد يقول « لا حكم الا لله » ويقوم آخر يقول مثل ذلك ، ويتوالى بعدها عدة رجال يقولون نفس القول ٠ فيقول علي : الله اكبر ٠ كلمة حق يلتمس بها باطل أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا ، لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الفيء ، ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا (١) ٠٠

وذكروا أنه لما كان من الحكمين ما كان ، لقيت المحكمة بعضـها بعضـا ، فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى ٠٠ فحمد الله عبد الله ثم قال : أما بعد فو الله ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن منيبين الى حكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا التى الرضا بها ، والركون اليها ، والايثار اياها ـ عناء وتبار ـ آثر عندهم من الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والقول بالحق ٠٠ فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور الجبال ، أو الى بعض المدائن منكرين لهذه البدع المضـلة (٢) ٠

وقال حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل ، وان الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ، ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ٠٠

وقال حمزة بن سنان الأسدى : يا قوم ان الرأى ما رأيتم ، فولوا أمركم رجلا منكم ، فانه لابد من عماد وسناد وراية تخفون بها وترجعون اليها ٠٠ فعرضوها على زيد بن حصـين الطـائى فأبى ، وعرضـوها على عبد الله بن وهب ، فقـال

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ـ ص ٤١

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ـ ص ١٢١ (٣)

« هاتوها ٠٠ أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ، ولا أدعها فرقا من الموت » فبايعوه لعشر خلون من شوال فى السنة السابعة والثلاثين من الهجرة ٠٠ وقال ابن وهب اشخصوا بنا الى بلدة نجتمع فيها لانفاذ حكم الله ، فانكم أهل الحق ٠٠ واتفقوا على أن يخرجوا حتى ينزلوا جسر النهروان ويكاتبوا اخوانهم بالبصرة (١)

وقد كتب عبد الله الى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ، ويحثهم على اللحاق بهم ٠٠ ويقول « ان أهل دعوتنا حكموا الرجال فى أمر الله ، ورضوا بحكم الفاسقين على عباده ، فخالفناهم ونابذناهم ، نريد بذلك الوسيلة الى الله ، وقد قعدنا بجسر النهروان ، وأحببنا اعلامكم لتأخذوا بنصيبكم من الأجر » ٠

وقد أجابوهم : « بلغنا كتابكم ، وفهمنا ما ذكرتم ، وقد وهبنا لكم الرأى الذى جمعكم الله عليه من الطاعة ، واخلاص الحكم لله ، وأعمالكم أنفسكم ٠ فيما يجمع الله به كلمتكم ، وقد أجمعنا على المسير اليكم عاجلا (٢)

ـ وعلى ذلك ، تحدد موقف هذه الجماعة على نحو واضح ، ولم يعد الأمر بالنسبة لهم مجرد اعتراض ، وقد أيقنوا أن سبيل الحق يوجب عليهم ذلك ، والا كانوا مشاركين فى الضلال عن الحق ( انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ) (٣)

فمن يكون عبد الله بن وهب ٠٠ ؟ ولماذا كان اختياره وتوليته الامارة عليهم ؟

**(ب) عبد الله بن وهب الراسبى :**

هو عبد الله بن وهب الراسبى الأزدى العمانى ـ وكانت قبيلته من القبائل التى جاءت من عمان ونزلت بالبصرة ، وقد أدرك النبى عليه الصلاة والسلام ، وشارك فى فتوح العراق بقيادة سعد بن أبى وقاص ، وكان من أنصار علي بن أبى طالب ، ثم أنكر التحكيم ، وخرج عنه ٠٠ فلما كان من أمر الحكمين ما كان ، ونجاة من نجا من تلك المحن ، وانحياز من انحاز من الفريقين ، أرادوا تولية رجل منهم يعتمدون عليه

(١) ابن قتيبة : المصدر المذكور ص ١٢١
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ـ ص ٤٢
(٣) سورة الكهف آية رقم (١٣) ٠

فى أمورهم ، ويسير بجمهورهم على هدى الله ، فعزموا على تولية عبد الله بن وهب ، فكره ذلك وأباه ، فلم يريدوا غيره ولم يرضوا سواه (١)

وكان معروفا بالزهد والعبادة حتى لقب بذى الثفنات ·· (٢) وقال بعضهم : عبد الله بن وهب الراسبى من الأزد ومن أئمة الاباضية (٣)

وفى الحقيقة أن اعتباره من أئمة الاباضية لا يمكن أخذه بالمعنى الحرفى لهذه العبارة ·· لأن دعوة الاباضية لم تظهر ، ولم تتبلور الا على يدى جابر بن زيد حيث انه هو الذى حدد معالمها على نحو يتفق مع عبد الله بن وهب أو بعبارة أخرى يمكن القول بأن امامة عبد الله بن وهب للاباضية هى امامة المثل والقدوة ، اى أنهم التمسوا منه القدوة فى الزهد والتقوى ، والتمسك بالحق والدفاع عنه ، والخروج فى سبيله ·

وأيا ما كان الرأى ، فان عبد الله بن وهب تولى أمر قيادة جماعته ، وهم الذين أطلق عليهم « أهل الحق » وقد مضى معهم فى سبيل ما ذهبوا اليه الى مدى بعيد ··

**(ج) مقدمات النهروان :**

ـ وذكروا أنه لما خرجت المحكمة من الكوفة أتى عليا أصحابه وشيعته ، فبايعوه ، وقالوا : نحن أولياء من واليت ، وأعداء من عاديت، فشرط لهم فى البيعة سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ··

وقام علي فى الكوفة فخطب فى قومه ·· فقال : ان المعصية تورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين ، وفى هذه الحكومة أمرى ، ونحلتكم رأيى ·· ولكن أبيتم الا ما أردتم ·· الا أن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما أمات القرآن ، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله ، فحكما بغير حجة بينة ، ولا سنة ماضية ، واختلفا فى حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ··فاستعدوا ، وتأهبوا

(١) الدرجينى : طبقات المشايخ بالمغرب ـ الجزء الثانى ـ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢
(٢) وذلك لطول سجوده ·
(٣) دكتور : عمار طالبى : آراء الخوارج الكلامية ص ٨٩ بتصرف ·

للمسير الى الشام ، وأصبحوا فى معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين (١) ٠٠

ومن هذا يتبين أن اتجاه علي كان حتى ذلك الوقت هو المضى بجنده الى الشام لمواجهة معاوية ٠٠ ولعل فيما يلى زيادة بيان لما سقناه ٠٠

ـ فقد كتب علي بن أبي طالب لجماعة النهروان يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ٠ من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من المسلمين ٠٠ أما بعد ٠٠ فان هذين الرجلين الذين ارتضينا حكمهما قد خالفا كتاب الله ، واتبعا هوائهما بغير هدى من الله ، فلم يعملا بالسنة ، ولم ينفذا للقرآن حكما ، فبرىء الله ورسوله منهما والمؤمنون ، فاذا بلغكم كتابى هذا فأقبلوا فانا سائرون الى عدونا وعدوكم ، ونحن على الأمر الذى كنا عليه ، والسلام (٢) ٠ وفى رواية أخرى : فهلموا نعطكم الرضاء ونرجع الى الأمر الذى طلبتموه منى ، ونقاتل عدونا وعدوكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين (٣) ٠

ـ وقد كتبوا اليه جوابا على رسالته : بسم الله الرحمن الرحيم ٠ من امام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبى وزيد بن حصين ، ومن معهما من المسلمين الى علي ابن أبي طالب الخالع لنفسه : سلام على من اتبع الهدى وتجنب متالف الردى ، أما بعد ، فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو ـ بلغنا كتابك تذكر فيه أن الحكمين نبذا كتاب الله ، وحكما بغير ما أنزل الله ، وقد علمنا ، فالحمد لله أن أمرهما كان مخالفا للحق من أوله ، وأنت بتحكيمك اياهما أعظم جرما منهما ، وذكرت أنك ترجع الى الحق ، وتعطى الرضى وترجع الى الأمر الأول ، فلسنا نرد عليك توبتك ، فان كنت صادقا فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله ورسوله وطاعة امام المسلمين ( عبد الله بن وهب الراسبى ) ، فقد بايعناه بعد خلعنا اياك لاستحقاقك منا أن نخلعك ، ولا يسعنا الا ذلك والسلام ،، ـ تلك كانت رسالتهم اليه نقلا عن رواية القلهاتى (٤) ٠

ـ على أن هناك رواية أخرى لمضمون هذه الرسالة أوردها الطبرى ٠٠ حيث يذكر أنهم كتبوا اليه : أما بعد ، فانك لم تغضب لربك ، وانما غضبت لنفسك ، فان شهدت على نفسك، واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، والا فقد نابذناك على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين (٥) ٠

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ـ ص ٤٤
(٢) الكشف والبيان جـ (٢) ص ٤٤
(٣) دكتور عوض خليفات بشأن الحركة الاباضية ص ٦٠ ـ الكشف والبيان ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ جـ (٢) ٠
(٤) الكشف والبيان : للقلهاتى ص ٢٤١ ـ نشأة الحركة الاباضية ص ٦ ـ ٦١
(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ص ٤٤

ـ والواضح أن هناك خلافا بين مضمون الرسالتين الا انه يجمع بينهما أمور عدة نشير فيما يلى الى اهمها :ـ

١ ـ أن عبد الله بن وهب هو امير المسلمين ـ جميعهم ـ لا الخارجين منهم وحدهم ٠

٢ ـ انهم يرون أن علي بن ابى طالب لم يعد امير المؤمنين بعد أن خلع نفسه منها بقبوله التحكيم ٠٠ وان عليه أن يدخل فيما دخل فيه الآخرون الذين بايعوا عبد الله بن وهب ٠٠

٣ ـ ان خروجهم عن علي بن ابي طالب أمر نهائى لا رجعة فيه ، ولا عدول عنه ولا عودة بعده الى علي لانهم قدموا اماما غيره بعد أن طلبوا من الامام علي الرجوع عن التحكيم فابى ٠

ـ ورغم ذلك كله فان علي بن أبي طالب وان يئس منهم ، الا انه رأى أن يعذر اليهم ، والا يبدأهم بحرب أو قتال ٠٠ بل رأى تركهم ، والمضى الى عدوه الرابض بالشام : معاوية بن أبى سفيان ، وبادر بارسال كتاب الى ابن عباس بالبصرة يقول « انا قد خرجنا الى معسكرنا بالنخيلة ، وقد أجمعنا على المسير الى عدونا من أهل المغرب ( يعنى أنه الى جهة الغرب من مقامهم بالعراق ) ، فاشخص بالناس حتى يأتيك رسولى ، وأقم حتى يأتيك أمرى والسلام ٠٠ « فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس وأمرهم بالشخوص ٠٠ وتعددت الجيوش ، وكثر المناصرون ، وبلغت عدة جيش علي ثمانية وستين ألفا ومائتى رجلا (١) ٠ وتثبت بعض المصـادر أن عليـا بعث عبد الله بن عباس لمناظرتهم أملا منهم فى أن يقنع ( المحكمة ) أى الذين عقدوا على الامام عبد الله ابن وهـب الراسبى ولكن النتيجـة عكس ما كان يتأمل حيث ان ابن عباس اقتنع بوجهة نظر المحكمة بعد مناقشة طويلة هنا طلب علي من ابن عباس أن يعينه على قتالهم ولكن ابن عباس رفض قائلا لا والله لا أقاتل قوما خصمونى فى الدنيا وانهم يوم القيامة لى أخصم وعلىَّ أقوى وان لم أكن معهم لم أكن عليهم (٢) ثم اعتزل ابن عباس معسكر علي وفارقه فكتب اليه يوبخه ويطلب منه مالا أخذه من

(١) الطبرى ص ٤٥ ـ المصدر المذكور ٠

(٢) البرادى الجواهر ص ١١٩ ـ ١٢٢ ـ العقود الفضية ص ٥٩

بيت مال البصرة فرد عليه ابن عباس قائلا قد علمت أخذى المال من قبل قولى فى أهل النهروان ولو كان أخذى المال باطلا كان أهون من أن أشرك فى دم مؤمن فكف عن القوم (١)

وبعد فشل المفاوضة جيش الجيوش ، واستعد لخوض معركته ، ولم تكن هناك أية نية لديه فى أن يعدل عن الشام الى أهل النهروان ·· حتى لقد بلغ عليا أن بعض الناس يقولون لو سار بنا الى هذه الحرورية فبدأنا بهم ، فاذا فرغنا منهم وجهنا من ذلك الى المحلين ، فقام فى الناس وقال : بلغنى قولكم لو أن أمير المؤمنين سار الى هذه الخارجية التى خرجت عنه ، فبدأنا بهم ، فاذا فرغنا منهم وجهنا الى المحلين · وان هذه الخارجة أهم الينا منهم ، فدعوا ذكرهم ، وسيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ، ويتخذوا عباد الله خولا ·· فتنادى الناس من كل جانب : سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت ·· سر بنا الى عدوك من كانوا ، وأينما كانوا ، فانك ان شاء الله لن تؤتى من قلة عدد ولا ضعف نية أتباع ·

وكذلك يذكر آخرون أن عليا كان متجها لحرب معاوية بالشام لكن بعض أصحاب علي ـ وعلى رأسهم الأشعث بن قيس ـ هم الذين اضطروا عليا الى تغيير خطته والاتجاه الى جماعة النهروان (٢) فقد قام الأشعث يقول : يا أمير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا فى أموالنا ·· سر بنا الى القوم ، فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا الى عدونا من أهل الشام (٣) وهذا العلامة الشاعر الكبير أبو مسلم ناصر بن سالم الرواحى العمانى رحمه الله يصور استجابة الامام علي لدعوة ( الأشعث ) بقـوله :

أحيدرة الكـرار تابعـت أشعثا وأشعث شـيطان ألد كفور (٤)

ويكثر المؤرخون فى الحديث عن دور الأشعث بن قيس وأنه كان وراء كل ما حاق بجيش علي ·· فقد كان وراء قبول علي للتحكيم ، وكان هو الداعى الى اختيار أبى موسى الأشعرى ـ دون ابن عباس ـ كأحد الحكمين ·· كما أنه كان على رأس

(١) المصدر السابق ص ٢٥٠
(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ص ٤٧
(٣) الخوارج أنصار الامام علي ص ١٠٥
(٤) العقود الفضية للحارثى ص ٨٠ ـ راجع أيضا ديوان أبى مسلم ـ الرواحى ·

الداعين الى الخروج الى جماعة النهروان وبدئهم بالحرب ٠٠ وكذلك فانه هو الذى خذل الجيش وأشاع فيه الوهن عقب واقعة النهروان فلم يتمكن علي من التوجه بجيشه الى معاوية (١)

بل ويضيف البعض أن الأشعث هذا كان فى الواقع ممن يعملون لصالح معاوية ابن أبى سفيان ، وانه اندس فى جيش علي ، ويستدلون على ذلك بأمور عديدة ليس هنا موضع نقاشها ٠

( د ) واقعة النهروان :

واذا كان وجه الحق فيما أوردناه فى النقطة السابقة يبدو متعذرا ، ازاء تناقض الروايات ، فاننا سوف نأخذ بالقدر المتيقن منه ، والمجمع عليه :

ـ فمن الواضح والثابت أن جماعة قد خرجت عن علي بن أبي طالب ، وتلاقت عند النهروان ، ورأوا أن عليا قد خالف الحق ٠ وأنه بقبوله التحكيم قد خلع من رقابهم ما سبق أن منحوه من بيعة وأنه لم يعد هو الخليفة الذى تجب طاعته ، وأن الخروج عنه هو الحل الأمثل ٠٠

ـ ان هذه الجماعة رأت أن الأمر يوجب عليهم أن يولوا عليهم أميرا يقيم أمر الدين ويرعى شئون الدنيا ٠٠ وأن من حقهم اختيار من يرونه صالحا لذلك ٠٠ وقد اختاروا بالفعل أحدهم ، واعتبروه أميرا للمسلمين ـ جميعا ٠

ـ ان علي بن أبي طالب قد أصبح بعد ذلك فردا من غمار الناس لا تجب عليهم له طاعة ، بل أنه يجب عليه أن ينضم اليهم ، فان فعل أصبح واحدا منهم له مالهم ، وعليه ما عليهم ٠

ـ أنهم فى خروجهم هذا أرادوا أن يحملوا الناس على الأخذ والنزول عند أحكام القرآن والنزول عند شريعته ٠

انهم رفضوا العودة الى صفوف علي ، وبادروه بعدم الموافقة الا أن رجع فعليه الطاعة لامام المسلمين ٠

(١) نهج البلاغة ( ابن أبى الحديد ) ص ٩٧ ـ ٩٨

وكان مما يميزهم عدة أمور كانت محل اجماع سواء من مؤيديهم أو مخالفيهم فقد كانوا ممن يكثرون من قراءة القرآن حتى لقد سموا « بالقراء » ـ كما كانوا حريصين على حياتهم ، بل كانوا يستعذبون الموت فى سبيل الدفاع عن الحق والذود عن حياضه ·

ـ خرج هؤلاء القوم وهم بهذه الصفات الجليلة وفى هذه الظروف التى اختلطت فيها الأمور ، واضطربت الأوضاع ، وقد جمعوا جموعهم ، وأعلنوا ـ فى صراحة ـ موقفهم ··

وفى الجانب الآخر كان علي بن أبي طالب ، وقد تهيأ لحرب معاوية ، وأنصاره آلاف مؤلفة ـ بلغت عدة جيشه كما ذكرنا ثمانية وستين ألفا ·

غير أن جيش علي غير اتجاهه ، واتجه الى النهروان ··

فلماذا وقع ذلك ؟ وما هى دوافعه وأسبابه ؟ وماذا كانت آثاره ونتائجه ؟ تختلف الروايات باختلاف الرواة :

ـ فمن ناحية نجد أن الطبرى وابن قتيبة وابن أبى الحديد ·· ومؤرخين آخرين يذكرون أن عليا انما مضى بجيشه ومن معه حتى نزلوا المدائن ، ثم حتى أتى النهروان فبعث اليهم أن ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا افارقكم ، وأكف عنكم ، حتى ألقى أهل الشام ·· فبعثوا اليه : انا كلنا قتلناهم ، وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ·· ثم أتاهم علي ، فوقف عليهم ، فقال : اني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمة غدا ، وأنتم صرعى ازاء هذا النهر بغير برهان ، ولا سنة ، ألم تعلموا انى نهيتكم عن التحكيم ، وأخبرتكم أن طلب القوم اليه مكيدة ، وأنبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، وان أعرف بهم منكم ، قد عرفتهم أطفالا ، وعرفتهم رجالا ، فهم شر رجال ، وشر أطفال ، وهم أهل المكر والغدر ، وانكم فارقتمونى ورأيى وجانبتم الخير والحزم ، فعصيتمونى وأكرهتمونى حتى حكمت ، فلما أن فعلت شرطت واستوثقت ، وأخذت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فاختلفا ، وخالفا الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنبذنا أمرهم ، ونحن على أمرنا الأول : فما نبؤكم ومن أين أتيتم ؟ قالوا له : انا حيث حكمنا الرجلين

أخطأنا بذلك ، وقد تبنا من ذلك ، فان شهدت على نفسك بذلك ، وتبت كما تبنا فنحن معك ومنك ، والا فاعتزلنا ، وان أبيت فنحن نابذوك على سواء ٠٠ فقال علي : أبعد ايماني بالله ، وهجرتى ، وجهادى مع رسول الله ( أعود وأرجع ) وأشهد على نفسى بالخطأ ؟ لقد ظللت اذا وما أنا من المهتدين ٠٠ ويحكم ! بم استحللتم قتالنا ، والخروج من جماعتنا ؟ اختار الناس رجلين ، فقالوا لهما : انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ، ويوضع آخر مكانه ، أحل لكم أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم ، تضربون بها هامات الناس ، وتسفكون دماءهم ؟ ان هذا لهو الخسران المبين ٠٠ فتنادوا ، لا تخاطبوهم ولا تكلموهم ، تهيئوا للقاء الحرب ٠٠ الرواح الرواح الى الجنة (١) ٠٠

تلك هى الرواية الغالبة عند المؤرخين من غير الاباضية ٠٠ أما مؤرخو الأباضية، فانهم لا يشيرون الى ذلك ، وانما يقدمون لهذه الواقعة بالاطالة فيما دار بينهم وبين ابن عباس ثم يذكرون أنه لما أعيا عليا أمرهم « زحف اليهم بمن شايعه من الرافضة وأهل الكوفة ، وشواذ الناس ، وهم أى ( المحكمة ) كافون عنه ، يناشدونه الله فى دينهم ودمائهم (٢) ، وكرهوا أن يبدؤوه بالقتال حتى بدأهم ٠٠

والثابت أن عليا لم يكن ليتجه الى هذه الجماعة بالحرب لولا أن برز من صفوفه من اضطره الى ذلك ٠٠ وهذا هو ما دعا البعض من المؤرخين المحدثين يرى فى تصرف هؤلاء ـ وعلى رأسهم الأشعث ابن قيس ـ حلقة من سلسلة تصرفات كان يقصد بها الى نصرة معاوية بطريق خفى ـ ولنقل مؤامرة بلغة العصر ـ ٠٠ وان عليا كان يكره الى النزول على رأيهم لمكانة قبائلهم من ناحية ، ولما كانوا يشيعونه بين جنده من شغب ٠٠

أما كيف بدأت المعركة ٠٠ فتختلف أيضا الروايات اذ يذكر الطبرى أن عليا رفع راية أمان مع أبى أيوب ، وناداهم أبو أيوب : من جاءها منكم ممن لم يقتل ، ولم يستعرض ، فهو آمن ، ومن انصرف منكم الى الكوفة أو الى المدائن ، وخرج من هذه

(١) الطبرى المصدر السالف الذكر ص ٤٨ ـ ٤٩ بشىء من التصرف ٠
(٢) الكشف والبيـان ـ القلهاتى ص ٢٥١

الجماعة فهو آمن ، انه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم ·· وقد استجاب البعض لهذا النداء ، ولم يبق مع عبد الله بن وهب الا ألفان وثمانمائة ، وقد بدءوهم بالزحف على علي ·· فقال علي : كفوا عنهم حتى يبدؤكم : وقد بدأت الجماعة بالقتال وهى تنادى « لا حكم الا لله » (١) · وهذا غير صحيح ، فاننا نجد أن « الجماعة » كرهت أن تبدأ عليا بالقتال ، حتى بدأهم ·· فقتل منهم يؤمئذ أربعة آلاف ·

ويتضح لنا من خلال الجمع بين ما حكاه الطبرى وابن قتيبة وابن أبى الحديد هنا وبين ما حكاه ابن قتيبة وغيره من أن القراء وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبى كانوا معارضين للتحكيم من أول الامر وما أثبته أيضا غير واحد من المؤرخين من أن عروة بن أديه ـ وهو من أهل النهروان ـ كان أول من رفض التحكيم وضرب سيف ابن الأشعث بن قيس الداعى الى التحكيم فأصاب عجزها يتضح لنا من خلال تأملنا فى هذه الرواية وتلك أن ما رواه الطبرى وابن قتيبة وابن أبى الحديد هنا لا يخلوا من مجانبة للواقع واندفاع وراء التأثيرات العاطفية ·

ومما تقدم يتبين الى أى مدى تختلف الروايات مما يؤكد دور أولئك المندسين فى جيش علي ، ممن كانوا يحسنون اهتبال الفرص ، واشعال نار الحرب · وفى مثل هذه المواجهة بين جيشين متحفزين لا يعدم الأمر من اندفاع البعض الى القتال مخالفين أمر القادة ·· وهنا يبرز دور مهمة ذوى الأغراض الخفية اذ يدفعون الآخرين ، ويمضون بهم الى أتون المعركة ، قبل أن تتاح الفرصة للقادة أن يراجعوا الأمر ، أو يعالجوا الموقف بما يقتضيه من حكمة وروية ··

واننا لنجد المؤرخين يكثرون بالفعل من دور الأشعث بن قيس فى اشعاله نار الحرب ، ومضائه بمن معه فى حرب هذه الجماعة ، واهتباله فرصة المواجهة وعدم التزامه بما دعا اليه علي بن أبى طالب من عدم الحرب حتى تبدأ به الجماعة الأخرى··

وقد ذكر القلهاتى (٢) أذ قتل فى هذه المعركة أربعة آلاف من أفاضل الصحابة ،

(١) الطبرى : ص ٤٩ وابن قتيبة ص ١٢٨
(٢) القلهاتى : ص ٢٥١

فيهم سبعون من أهل بدر ، وأربعمائة يقال لهم السوارى ، كانوا لا يفقدون من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن جباههم وركبهم من شدة اجتهادهم ثفن الابل ، خيار الناس وفقهاؤهم وأهل الشرف فى الدين والرأى والقدم من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان ٠

## ٤ ـ ما ترتب على واقعة النهروان :

ولعلنا ـ بعد استعراضنا لما تقدم نكون قد مهدنا بما فيه الكفاية لتوضيح ما ترتب على هذه الواقعة من نتائج كان لها بالغ الأثر فى سير الأحداث فيما بعد ويمكن أن نقرر أن نتائجها تمثلت فى ثلاث :

الاولى : موقف علي بن أبي طالب حيال من قتل فيها ٠

الثانية : تعذر المضى الى حرب معاوية ٠

الثالثة : ازدياد المحكمة اصرارا على موقفهم من علي وكيف تم قتله ونورد فيما يلى زيادة بيان لما أجملنا الحديث عنه من نتائج ٠

### ١ ـ موقف علي من قتلى أهل النهروان

لا يمكن القول بأن علي بن أبي طالب قد خاض معركة النهروان وهو راض عن ذلك تمام الرضى ، فقد كان عزمه منصرفا فى المضى الى الشام ثم لما اضطر ـ مكرها ـ فى التوجه الى النهروان تكلم مع أهل النهروان ولكن القوم لم يوافقوه لكونهم محقين فى الخروج عنه وقالوا له مؤكدين انك استجبت لدعاة الهزيمة من جيشك والماكرين من عدوك وكان يجب عليك أن لا تشك فالحق عندنا وأنت تنازلت عن الشرف الذى أوليت اياه من قبل المسلمين ٠

وأهل النهروان أيضا حذروا عليا من قبوله التحكيم ٠ وهم يرون أن معاوية باغ لا حق له وأن بيعة علي قد انفسخت بموافقته على الهدنة ورضائه بالتحكيم ولكن شاء الله عز وجل أن يقتنع علي بصواب رأى قومه وتخطئة أصحاب النهروان وهم أتباع عبد الله بن وهب الراسبى رحمه الله وكان يجب على علي بعد التحكيم والعزم الرجوع الى حضيرة الامامة والأمة لأنه فى رأى أهل النهروان أن البيعة لا تنعقد

بطريق شرعى بعد التحكيم الا لعبد الله بن وهب الراسبى ذلك الخليفة الذى بايعه جمهور من الأمة فيهم كثير من كبار الصحابة من بينهم بعض المشهود لهم بالجنة كحرقوص ابن زهير السعدى الذىحدثت عنه عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يوما : « أول من يدخل من هذا الباب من أهل الجنة فدخل حرقوص بن زهير السعدى ولحيته تقطر ماء » وقد تكرر الحديث ثلاثة أيام · وقتل حرقوص بن زهير هذا مع من أنكر التحكيم (١) ·

هنا حاول ابن عباس رضى الله عنهما أن يقنع القوم وبعد نقاش طويل دار بينه وبينهم قال ابن عباس قولته المشهورة « والله لا أقاتل قوما قد خصمونى فى الدنيا وأنهم يوم القيامة لى أخصم وعلى أقوى ان لم أكن معهم لم أكن عليهم وأعتزل عنه ابن عباس رضى الله عنه (٢)

قال : أبو العباس الشماخى فى كتابه القيم « السير » فقال الاشعث ناجز القوم فان كلموا الناس افسدوهم علينا (٣) فالاتباع الذين يحيطون بعلى وهم يكافحون لكى يبنوا دولة يخشون أن يتصل أهل النهروان بالناس وأن يقنعوهم بما لديهم من حجة وبرهان فيقولوا لهم ان قبول التحكيم خطأ فى السياسة ، وان خلافة علي بعد التحكيم والعزل باطلة وان البيعة ساقطة عن الاعناق وان الخليفة الحق عبد الله بن وهب الراسبى الذى بايعه جمهور غير قليل من المسلمين · فهم يريدون أن يقضوا على هذه الآراء قبل أن تنتشر فى الناس ويفهمها الجميع ويقتنعوا بصحتها ·

وقد استطاعوا أن يقنعوه فاقتنع برأى الاشعث واتخذ هذه الخطوة ونفذ فكرة المناجزة فقضى على أهل النهروان ولكنه لم يستطع أن يقضى على الفكرة التى دعوا اليها ، هذه الفكرة التى تسربت بما فيها من صدق وصراحة وواقعية الى كثير من العقول ، حتى أصبحت مبدأ يناضل عنه معتنقوه بصبر وشجاعة وثبات (٤)

(١) الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة الاولى بتصرف ص ٢٥
العقود الفضية ص ٤٧
(٢) العقود الفضية ص ٥٩
(٣) السير ص ٥٢
(٤) الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة الاولى ص ٣٠ - ٣١

ويقول القلهاتى ان عليا بعد أن قتلهم جعل يمر عليهم وهو يستغفر لهم ، ويقول : بئس ما صنعنا قتلنا خيارنا وفقهاءنا ·· فقال له بعض أصحابه يا أمير المؤمنين ، قتلنا المشركين ؟ قال من الشرك فروا قال أمن المنافقين ؟ قال : ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا ·· وهؤلاء يذكرون الله كثيرا (١) · جاء فى كتاب بيان الشرع وهو من الكتب العمانية ذات الأهمية الكبرى لما فيه من العلوم المختلفة جاء : لما قتل علي بن أبي طالب أهل النهروان أمر بعبابهم فجمعت فاذا مصاحف وترايس فذكروا انه أصيب فى عسكرهم أربعة آلاف مصحف الا مصحفا فبكى علي حتى كادت نفسه تخرج ويقال أنه دخل على ابنته ام كلثوم فهنأته بالظفر بهم فقال علي أصبح أبوك من أهل النار ان لم يرحمه الله (٢) ·

وليعلم أيضا أن أهل النهروان قوم قاتلوا مع علي يوم الجمل وقاتلوا معه يوم صفين وهم حريصون على بقاء امامته والقيام بدولته ولكنه حكم فى شىء فيه حكم الله سبحانه فاعتزلوه بعد أن نصحوه وذكروه بخطأه ·

**(ب) تعذر المضى الى حرب معاوية :**

وان علياىبادر ، وقد فرغ من أمر جماعة النهروان ، الى الدعوة الى المضى للغاية الكبرى ·· فيقول لجنده : ان الله قد أحسن بكم ، وأعز نصركم ، فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم ··

هنالك ينهض الأشعث بن قيس ـ وله فى كل نازلة قول ـ يقول : يا أمير المؤمنين ·· فقدت نبالنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت أسنة رماحنا ، وعاد اكثرنا قصدا ، فارجع الى مصرنا ، فنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يريد فى عدتنا عدة من هلك منا ، فانه أوفى لنا على عدونا » وهنا استطاع الاشعث ابن قيس أن يكون طابورا خامسا لمعاوية فالمثل يقول ( كاد المريب ) قال الحسن : أكرهتم ابي على الحرب واكرهتموه على التحكيم وخذلتموه (٣) ·

(١) القلهاتى الكشف والبيان ص ٢٥٢ ـ ص ٥٤
(٢) العقود الفضية ص ٨٠
(٣) الخوارج أنصار الامام علي ص ١١٤ ـ كامل سليمان فى كتاب ( الحسن بن على ص ١٠٧ ) ·

وأقبل علي بجيشه حتى نزل النخيلة ، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقللوا من زيارة نسائهم وأبنائهم ، حتى يسيروا الى عدوهم ·

فأقاموا فيه أياما ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا الا رجالا من وجوه الناس قليلا ·· وترك المعسكر خاليا ·· فلما رأى علي ذلك دخل الكوفة ، بعد أن تعذر عليه المسير (١)

وفى الكوفة عاود علي الكرة ·· وخطب قائلا : أيها الناس ·· استعدوا للمسير الى عدو فى جهاده القربة الى الله ، ودرك الوسيلة عنده ·· وتوكلوا على الله ·· وكفى به وكيلا (٢) ·

وتركهم أياما ·· ودعا رؤساءهم ووجهائهم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذى ثبطهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره، وأقلهم من نشط·· فقال لهم علي عباد الله··مالكم اذا أمرتكم أن تنفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ·· ان لي عليكم حقا ، ولكم علي حق ·· أما حقكم علي ، فالنصيحة فى ذات الله، وتوفير فيئكم علي ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقى عليكم ، فالوفاء بالبيعة والنصح لي فى الاجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فان يرد الله بكم خيرا تنزعوا عما أكره ، وترجعوا الى ما أحب (٣)

وقد تعددت الكلمات والمواقف ، وأثار الاشعث بن قيس العديد من أوجه الخلاف·· حتى قال له « يا أمير المؤمنين ·· فهل فعل كما فعل عثمان ؟ فقال علي : ويلك وما فعل عثمان ، رأيتنى عائذا بالله من شر ما تقول ، والله ان الذى فعل عثمان ، لمخزاة على من لا دين له ، ولا حجة معه ، فكيف وانا على بينة من ربى والحق معى ؟ (٤) قال ابن أبى الحديد : وكان الأشعث من المنافقين فى خلافة علي وهو فى أصحاب أمير المؤمنين كما كان عبد الله ابن أبي بن أبي سلول فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل واحد منهما رأس النفاق فى زمانه (٥)

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى – ص ٥١
(٢) المصدر السابق ص ١٢٩
(٣) المصدر المذكور – ص ١٣١
(٤) المصدر المذكور – ص ١٣٧
(٥) الخوارج أنصار الامام علي ص ١٠٥

واستمرت الخلافات ، والتقاعس ، فما أمكن لعلي بعد ذلك أن يجيش جيشا أو يجمع جمعا ، أو يتوجه لمحاربة معاوية · كل ذلك وأشعث بن قيس يخذل عنه الناس ويشيع الفرقة فى الصفوف ·· وعلي رغم ذلك لا ييأس ، ولا يكف عن اثارة النخوة والحماس بين جنده ·· ويقول « اني والله لو لقيتهم وحيدا منفردا وهم فى أهل الأرض ما باليت بهم ، أو استوحشت منهم ، اني فى ضلالهم الذى هم فيه ، والهدى الذى أنا عليه ، لعلى بصيرة ويقين وبينة من ربى ، وانى للقاء ربى لمشتاق ، ولحسن ثوابه لمنتظر راج ، ولكن أسفا يعترينى وجزعا يريبنى من أن يلى هذه الأمة سفهاؤها وفجارها ، فيتخذون مال الله دولا ، وعباد الله خولا ، والصالحين حربا ، والقاسطين حزبا ·· وأيم الله لولا ذلك ما أكثرت تأليبكم ، وجمعكم ، وتحريضكم ، ولتركتكم ، فو الله انى لعلى الحق وانى للشهادة لمحب ، أنا نافر بكم ان شاء الله ، فانفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ·· ان الله مع الصابرين

ونرى العلامة أبا مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي يصور موقف الامام علي من تلك الحادثة فيقول :

| | |
|---|---|
| ستحصد هذا الزرع مهما تقصدت | عراقك لا يلوى عليك ضمير |
| تنازعها سل السيوف فتلتوى | وتخطب فيها والقلوب صخور |
| قتلت نفير الله والريح فيهم | وأصبحت فذا والنفير نفور |
| نشدت دوى النحل لما فقدتهم | ويعسوب ذاك النحل عنه خبير |
| أرقت دماء المؤمنين بريئة | لهن بزيزاء الحراء خرير |
| عليا أمير المؤمنين بقية | كأن دماء المؤمنين خمور |
| سمعناك تنفى شركهم ونفاقهم | فأنت على أى الذنوب نكير |
| وما الناس الا مؤمن أو منافق | ومنهم جحود بالاله كفور |
| وقد قلت ما فيهم نفاق ولا بهم | جحود وهذا الحكم منك شهير |
| فهل أوجب الايمان سفك دمائهم | وأنت بأحكام الدماء بصير |
| تركتهم جزر السباع عليهم | لفايف من ايمانهم وستور |
| مصاحفهم مصبوغة بدمائهم | عليهن من كتب السهام سطور |

وكنت حفيا يا بن عم محمد بحفظ دماء ما لهن خطير
وكنت حفيا ان يكونوا بقية لنصرك حيث الدائرات تدور
أما والذى لا حكم من فوق حكمه على خلقه ورد به وصدور
تنادى اعيرونى الجماجم كرة فقد قدموها والوطيس سعير
لقدما أعاروك الجماجم خشعا عليهن من قرع الصفاح فطور
فقصعتها اذ حكمت حكم ربها فما بقيت عارية ومعير

**( ج ) موقف المحكمة ·· ومقتل علي :**

لم تقض معركة النهروان على كل المحكمة ·· وان كان قد قتل فيها كبارهم وأفاضلهم ، الا أن الباقية منهم ظلت على موقفها ، تناصب عليا ـ ومعاوية ـ كليهما العداء ، وترى أنهما غير ملتزمين بتعاليم الاسلام ، مخالفين للحق وأن أيا منهما لا يحق له أن يلي أمر المسلمين ـ أولهما لانه على الحق ثم قبل التحكيم فى أمر الله ·· تحكيم الانسان فيما هو من عند الله والثانى طالب دنيا ··

بل ان معركة النهروان لم تزد الباقين الا اصرارا على موقفهم ، وكان مقتل من قتل من أصحابهم يزيد من حماسهم .

حتى كان موسم الحج ·· فلما انقضى الموسم أقام نفر من « المحكمة المتطرفين » بجوار مكة ، فقالوا : كان هذا البيت معظما فى الجاهلية ، جليل الشأن فى الاسلام وقد انتهك هؤلاء حرمته ، فلو أن قوما شروا أنفسهم ( أى باعوها ) فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد أفسدا فى الأرض ، واستحلا حرمة هذا البيت ، استراحت الأمة ، واختار الناس لهم اماما ·· فقال عبد الرحمن بن ملجم : أنا أكفيكم أمر علي ·· وتعهد آخران بقتل كل من معاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ·· وتعاقدوا على ذلك ثم اعتمروا عمرة رجب ، واتفقوا على يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم على أولئك الثلاثة ·· ثم سار كل منهم فى طريقه ·· فقدم ابن ملجم الكوفة ، وكتم أمره ، وتزوج امرأة من المحكمة كان أخوها فى حرب المحكمة أنفسهم وتزوجها على أن تقتل عليا ـ كما روى أن ابن ملجم نفسه أنه فقد كثيرا من أهله فى معركة النهروان فلما كان اليوم الذى تواعدوا فيه ، خرج ابن ملجم فقعد لعلي حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة ، ليلة عشر بقيت من رمضان سنة أربعين ·· فلما خرج للصلاة وثبت عليه ، وقال : الحكم لله لا لك يا علي ، وضربه على رأسه بالسيف ، فقال علي :

فزت ورب الكعبة ·· ثم قال : لا يفوتنكم الرجل · فشدوا عليه ، فأخذوه (١) ·

وهكذا انتهت صفحة علي بن أبي طالب كرجل دولة ، يوجه السياسة ، ويلى أمر المسلمين ، ويقود الحروب ، ويوجه المعارك ، ويدافع عن رأيه ·

وقد فشل الآخران فيما كلفا به من قتل معاوية وعمرو ··

وكان مقتل علي أمرا له خطره اذ أدى الى استقرار الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ، وتمت له البيعة من جميع الأمصار·

ومع ذلك فان هذا الاستقرار فى أمور الحكم عقب مقتل علي بن أبي طالب لم ينه ذلك الخلاف الذى عرفه المسلمون ·· بل انه كان دافعا لخلافات أعمق ، أعقبتها ثورات وثورات ·· ولم يعد المخالفون للخليفة أو للدولة الأموية بصفة عامة ـ هم من عرفوا بالمحكمة وحدهم ·· ففضلا عن انقسام هؤلاء المحكمة الى فرق عديدة ، فقد ظهرت الى جانبهم فرق اخرى ترى الخروج على الدولة ، وأن يلى أمر المسلمين من هم أحق بذلك يليه من يجمع المسلمون على اختياره دون اشتراط أن يكون قرشيا ـ كما قال بذلك الاباضية ويدل على ذلك ما رواه جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ولا يزال أمر هذه الأمة ( يعنى الولاية فى قريش ) ما دام فيهم رجلان وأشار باصبعيه ولأن الويل لمن افتتن بالملك ·

قال الربيع : بلغنى عن ابن مسعود الانصارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش : لن يزال هذا الامر فيكم وأنتم ولاة مالم تحدثوا فاذا فعلتم سلط الله عليكم أشرار خلقه فيلحونكم كما يلحى هذا القضيب لقضيب كان بيده ( قوله : ما دام فيكم رجلان ) وفى رواية أخرى ما بقى فى الناس اثنان ، ففى قوله مادام فيهم يؤذن بأن وجود الامر فيهم معلق بوجود رجلين مخصوصين ولهذا أشار بأصبعيه · وكان المشار اليهما رجلان معروفان عند بن عباس ـ راوى الحديث والرواية الاخرى تدل على بقاء الامر فيهم ما بقى فى الناس اثنان فيقضى ذلك تأييد الامر فيهم والمشاهد خلافه والكذب محال فعلمنا أن بعضا روى الحديث بالمعنى وغلط فى الفهم ونجد أقرب من هذه الرواية رواية البخارى ( ما بقى منهم اثنان ) فالادلة المذكورة تبين

(١) الطبرى ـ ص ٨٣ ـ ٨٧ ـ ابن قتيبة : الامامة والسياسة : ص ١٣٧ ـ ١٣٨

صحة أن الامارة والولاية ليستا مشروطة فى قريش وانما الكفاءة والثقة سواء كانوا قريشيين أو لا ٠

فان قيـــل ان تأويل الرجلين بشخصـــين معينين ينافيه المشـــاهد من الحـــال ، فان الملك بقى فى قريش بعد الصحابة زمنا طويلا ( فالجواب ) أن المراد بالامر فى الحديث الامر المعهود فى زمانه صلى الله عليه وسلم وهى الولاية العادلة والامارة المستقيمة المخصوصة باسم الخلافة ولا شك أن هذا الحال زال عن قريش فى حياة أكثر الصحابة فصارت الخلافة ملكا ولعل الرجلين المشار اليهما العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما اذ بموت العباس انتقض الشر بالمسلمين وظهرت الاحداث من عثمان وبموت عبد الرحمن قامت الفتن من معاوية وعمرو وغيره من الذين يطالبون بدم عثمان فكان من أمر الفتنة ما كان ٠

ويحتمل أن المشار اليهما غير هذين الرجلين أو جرى الحديث مجرى المثل الذى لا يراد بحقيقته وهذا التوجيه استحسنه العلامة نور الدين السالمى رحمه الله (١)

والحديثان دالان على أن الامارة والولاية ليستا مقصورة على قريش ويؤيد هذين الحديثين ما رواه أنس ( الأمر من قريش ما عملوا فيكم بثلاث : ما رحموا اذا استرحموا ، وقسطوا اذا قسموا وعدلوا اذا حكموا ٠

ورواية أخرى ( استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فان لم يستقيموا لكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم ابتدوا خضرائهم ) ذكره فى الجامع الصحيح عن ثوبان عن أحمد وعن النعمان بن بشير عن الطبرانى (٢) وأيضا هنالك فرقة تقول أن أولاد علي بن أبي طالب ومن هم من سلالتهم أولى بالامارة والولاية ٠

وهكذا اتخذ الخلاف صورا أخرى ٠٠ وتغيرت أمور وأمور ، مما سنعرض لبعض تفاصيله فيما يلى ٠ــ

(١) شرح الجامع الصحيح الجزء (١) ص ٧٨
(٢) المصدر السالف الذكر ج (١) بتصرف ص ٧٧ ـ ٧٨

# المبحث الثاني

## ظهور « القعدوة » الذين على الحق والاستقامة

**تمهيد :**

هدأت الأمور الى حد كبير بعد معركة النهروان ، وتحددت المواقف بين جند علي بن أبي طالب وشيعته على النحو التالى :

– علي ومعه قلة يؤيدونه وينصرونه ، ويردون عنه كل كيد ، ولكنهم قلة لا تقوى على حرب ، ولا تصلح لمواجهة عدو ·

اما سائر المسلمين فى الامصار التى تدين له بالطاعة ، وكانت قد شاعت بينهم الفتنة والتخاذل ، وسرى بينهم الضعف ، فلم يعد فى وسع الخليفة أن يجيش منهم جيشا ، أو يخوض بهم قتالا ·

وبعيدا عن هؤلاء كانت جماعة المحكمة بموقفها المجانب لعلي ومعاوية – كليهما – وقد رأوا فيهما خروجا على صحيح الشرع ، ونزوغا عن وجه الحق فلزم تركهما ، والخروج عنهما ·

وقد جمعت هؤلاء المحكمة منذ ولى عبد الله الراسبى – وهو من هو فى التقوى والورع – قيادة واحدة ، وعقيدة موحدة ·· الا أنهم بعد واقعة النهروان ، وقد قتل فيها أفاضلهم ، وكان من بينهم عبد الله الراسبى نفسه ، فضلا عن حرقوص ابن زهير السعدى – افتقدوا وحدة الصف ، ولم يتفقوا على الشخص الذى يجمعون على امارته ، وكان من نتيجة ذلك ، أن هذه الجماعة شاعت فيها الفرقة وساد الاضطراب ، مما دفع بعضهم الى الغلو فى التطرف ،وتنكب الطريق السوى ، فاندفع هذا البعض يستعرض المسلمين بالسيف ، ويستبيح قتل الصبية والنساء فى طيش ورعونة وكان لذلك أثره من ناحيتين :

– الناحية الأولى : تنبيه الولاة الامويين الى هؤلاء الذين يثيرون الشغب من المحكمة وأخذهم بالشدة القاسية حتى لا يثيروا الفتنة فى الدولة الاموية بعد أن هدأت الامور ، واستقرت ملكا عضوضا لبنى أمية ·

ـ الناحية الثانية : استنكار البعض الآخر من أتباع الامام عبد الله الراسبى رحمه الله لسلوك هؤلاء الغلاة الذين استحلوا ما حرم الله ، وانحرفوا بالدعوة عن نهجها الصحيح ، ولم يجد هذا البعض بدا من الافتراق عن هؤلاء الـذين عرفوا بالخوارج ايمانا منهم بأن طريق الاستعراض بالسيف ليس هو طريق الاسلام ، وأن الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، لأن كل أهل القبلة مسلمون ، وان ضل بعضهم طريق الحق ، وجب رده الى سـواء السـبيل وتبصرته به ليتوب عن خطئه ويعود الى صحيح اسلامه ٠

وقد كان على رأس هؤلاء ـ الذين عرفوا بالقعدة ـ أبو بلال مرداس ومن خلفه من الدعاة الذين عرفوا فيما بعد بالاباضية وان دراسة ظهور الدعوة الاباضية ـ وما كان لجابر بن زيد فى ذلك من دور ـ يقتضى منا أن نفصل هذا الذى أجملناه ، وذلك فى النقاط الثلاث الآتية :ـ

١ ـ تفرق أمر المحكمة بعد واقعة النهروان ٠

٢ ـ أبو بلال مرداس ودعوته ٠

٣ ـ الدعاة بعد أبى بلال رحمه الله ٠

### ١ ـ تفرق أمر المحكمة بعد واقعة النهروان :

لم يكن لتلك الجماعة بعد مقتل الامام عبد الله بن وهب وحرقوص بن زهير أمير أو قائد ، يجمعهم على رأى واحد ، ويوجه جهودهم ، ويحدد لهم خطواتهم أو خططهم ٠٠ وانما تفرقوا وشأنهم ٠٠ حتى أن مقتل علي بن أبي طالب وان تم على يد واحد منهم ، ونتيجة لاتفاق مع آخرين من بعض المحكمة المتشددين الا أنه مع ذلك كان عملا فرديا ، لا يمكن القول بأنه كان نتيجة اجماع منهم أو اتفاق كامل بينهم جميعا ٠٠ على أن بعض الروايات تثبت أن عبد الرحمن بن ملجم لم يكن من أهل النهروان ٠

ومع ذلك فقد استمروا على خروجهم معتقدين الحق فيه متمثلين بقول عبد الله

ابن وهب الراسبى مخاطبا اتباعه بعد أن رأوا أن عليا لم يعدل عن رأيه فى قبول التحكيم : « ان هؤلاء القوم قد خرجوا لامضاء الضلالة ، فأخرجوا بنا رحمكم الله الى بلدة نبعد بها عن مكاننا هذا فانكم أصبحتم بنعمة ربكم أهل الحق ٠٠ اخرجوا بنا معشر اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض السواد ، وبعض كور الجبال منكرين لهذه البدعة المكروهة » .

وقد استمر المتشددون من المحكمة الذين عرفوا فيما بعد بالخوارج يقومون بثورات متفرقة وتقع منهم حوادث متكررة ـ على زمن الدولة الأموية ٠٠ وكان أغلب ما يقع ذلك فى الكوفة والبصرة ٠٠

فقد قام بعض خوارج البصرة ـ كما يروى الطبرى فى احداث السنوات من ٤١ الى ٤٧ من احدى وأربعين الى سبع وأربعين بالعديد من الثورات ، الا أنها قضى عليها جميعا ، ولم يتحقق لأى منها نجاح ، ولعل ذلك يرجع فى المقام الأول الى عدم وحدة صفوفهم ، وعدم ظهور قائد ـ أو أمير ـ لهم فضلا عن القسوة التى لجأ اليها ولاة معاوية ـ ومن بعده من خلفاء بنى أمية ـ فى معاملتهم ، والأخذ عليهم بالشدة والقسوة ٠٠

ولما ولى زياد بن أبيه البصرة من قبل معاوية اشتد على الخوارج على نحو بالغ القسوة ٠٠ ولعل خطبة زياد عندما قدم الى البصرة تكشف عن سياستة التى اتبعها بعد ذلك ٠٠ ومنها يخاطب أهل البصرة : « لقد اتبعتم السفهاء ، ولم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم ٠٠ انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بماصلح أوله : لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير جبرية وعنف ، وانى لأقسم بالله لآخذن الولى بالولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد ، أو تستقيم لى قناتكم ٠٠ وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوما غرقته ، ومن حرق على قوم حرقناه ، ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفنته حيا ، فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم أكفف يدى وأذاى ، لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه فاستأنفوا أموركم ، وعينوا على أنفسكم ٠٠ أيها الناس :

**أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أجبنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستجيبوا عدلنا وفيئنا بمنا صحتكم ٠٠ وايم الله ٠٠ ان لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى » (١) ٠**

وكان زياد يهدد أهل البصرة ويقول « **يا أهل البصرة ، والله لتكفنى هؤلاء ــ أى** الخوارج ــ أو لابدأنكم ٠٠ والله لئن افلت منهم رجلا تأخذون من عطاءه درهما ٠٠ وأن أى خارجة خرجت من قبيلة فلم تقاتلها حرمتها العطاء ، وأجليتها ٠

وكان من الطبيعى أن تثمر سياسة زياد فى زيادة فرقة الخوارج ، وتشتيتهم غير أنهم ــ رغم ذلك ــ مضوا فى طريقهم الذى ارتضوه بل استعجلوا فيه : **بتشريك أهل القبلة ، واستحلال سبى ذراريهم ، وغنيمة أموالهم ، وكان منهم من يستحل قتل السريرة واعتراض الناس بالسيف على غير دعوة ٠٠ بل وكانوا يختلفون فيما بينهم ويقتل بعضهم بعضا ، ويغنم بعضهم مال بعض ، ويبرأ بعضهم من بعض ، وحرموا موارثة سائر المسلمين ومناكحتهم ، وأكل ذبائحهم (٢)**

**٢ ــ أبو بلال مرداس ودعوته :**

وهكذا مضى أولئك الخوارج يثيرون الشغب ، ويستعرضون الناس بالسيف ، فملأ النفور بالسخط عليهم ، وعدم الرضى عنهم ٠

بل ان فئة ممن شهدوا النهروان ، وقد بايعوا عبد الله ابن وهب الراسبى وقد تفرقوا الى البصرة بعد تلك الواقعة ٠٠ هذه الفئة هالها ما صار اليه أمر أولئك ( الخوارج ) وانكروا عليهم آراءهم وأفعالهم ، ورأوا فيما يقول به أولئك الخوارج من آراء وما يأتون من أفعال خروجا بينا عن الدين ، وانحرافا بالدعوة ومخالفة ظاهرة لما دعا اليه الاسلاف الاول : عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص ابن زهير وغيرهم من الذين ساروا على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على رأس تلك الجماعة : أبو بـلال مرداس بن أدية التميمى الذى ترك ( الخوارج ) بعد النهروان ، وعاد الى البصرة ٠٠

(١) الطبرى : المصدر المذكور ــ ج (٦) ــ ص ١٣٥
(٢) القلهاتى : الكشف والبيان ص ٤٢٣ بتصرف ٠

وقد اقامت تلك الجماعة بالبصرة ، ولم تخرج مع أولئك الخارجين ·· ولا نقول أنهم قد انشقوا عن المحكمة ، بل نقول أنهم فهموا وجه الحق ، وطهروا عقيدتهم من كل انحراف ، وراحوا ينظرون الى الامور على نحو صحيح ويبحثون عن وجه الحق ليلتزموا به ··

فمن يكون أبو بلال ؟ والى اى دعوة كان من أمره ؟

ذلك ما نحاول أن نوضحه فيما يلى :ـ

## ( أ ) من هـو أبو بـلال ؟

هو مرداس بن حدير أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وادية جدته وقيل أمه وقيل جدير ليس حدير (١) ·

كان أبو بلال من خيرة المسلمين « بلغ فى الورع والديانة والعلم والصيانة الأمد الأقصى » (٢) ·

وكان ممن شهدوا مع الامام علي بن أبي طالب واقعة صفين ، وحارب فى صفوفه وأبلى بلاء حسنا ·· الى أن كان التحكيم ، وانكره البعض لما رأوا فيه من مخالفة وجه الحق ، فكان أبو بلال ـ وأخوه عروة ـ ممن أنكروا بشدة ، وكان من الذين نجو من القتل وان أول سيف سل ( للمحكمة ) كان سيف عروة بن أدية ، وذلك أن الأشعث بن قيس لما جاء بصحيفة دعوة أهل الشام فى صفين الى الحكمين جعل الأشعث يطوف بها فى منازل أهل عسكر العراق من منزل الى منزل ، حتى أتى بنى تميم ، فسل عروة سيفه ، وأقبل على الأشعث فقال : ما هذه الدنية يا أشعث ، وما هذا التحكيم ؟ أشرط أوثق من شرط الله ؟ ثم ضربه بالسيف ، والأشعث مولى فأصاب بالسيف عجز البغلة ، فشبت البغلة ، فنفرت اليمانية ، وكانوا جل أهل العسكر ، فلما رأى الاحنف بن قيس ( زعيم بنى تميم ) قصد هو وآخرون الى الأشعث فسألوه الصفح ففعـل (٣) ·

(١) العقود الفضية : ١٠٧

(٢) المرجع المذكور ص ٢١٤

(٣) الطبقات للدرجينى جـ (٢) ص ٢١٤

وقد خرج أبو بلال مع من خرج الى النهروان ، ولم يرو عنه أنه كان ممن استحلوا الاستعراض أو سفك الدماء بغير الحق ، لأنه وان رأى أن عليا أخطأ بقبول التحكيم ، وأنه بذلك قد خلع البيعة التى أعطاه اياها المسلمون ، فلم تعد له عليهم طاعة ـ الا أن ذلك لا يخرجه من جماعة المسلمين ، ولا يدعو الى تكفيره ، بل كان من أهل النهروان الا أنه لم يغلو غلو البعض منهم ، بل كان يمثل الجناح المعتدل الذى يأخذ الامور بتعقل ، وينظر الى المسائل فى تفهم وتبصر ··

وقد شهد ما وقع فى النهروان مع أحداث تفاقمت حتى جاوزت كل حد معقول ، وتطورت بصورة لم تكن فى الحسبان ، ورأى القتلى من أهله وعشيرته بالآلاف فازداد يقينا الى يقين بأن الغلو فى فهم الامور يؤدى بكلا الطرفين الى الانحراف الذى لا تحمد عقباه ، وأن ما وقع من خلاف بشأن التحكيم ما كان ينبغى أن يصل بالمسلمين الى ما وصل اليه ·· ولم ير أن عليا وحده كان هو المخطىء ·· بل ان الكثيرين من الخوارج الذين غلوا واشتدوا قد شاركوا بغلوهم وتشددهم فى الوصول الى تلك الحال السيئة والتقاتل الذى أودى بحياة خيارهم ·· ورأى أن الخلاف بين المسلمين ـ الذين هم على الحق ـ ما كان ينبغى بحال من الأحوال أن يصل الى حد التقاتل بالسيف ·· فذلك أمر يخالف ما تقضى به الشريعة السمحة الغراء ·· ولعله كان يستدل بقوله تعالى « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين ) (١) ·

ولا يعنى ذلك أن أبا بلال لم يكن ممن اتبعوا عبد الله بن وهب الراسبى عند خروجه الى النهروان ، فان خروجه الى النهروان كان أمرا طبيعيا وقد رفض التحكيم ، وأعطى البيعة لعبد الله بن وهب ، ورأى أن طاعة عبد الله أصبحت هى الواجبة عليه وعلى جماعة المسلمين ، واذا لم يكن أبو بلال ممن شاركوا فى كتابة رسالة عبد الله ابن وهب الى على بن أبي طالب ، فمما لا شك فيه أنه رضى عنها ، ووافق عليها لأنها تتفق مع ما ذهب اليه وارتضاه مذهبا وعقيدة يرى أنهما الحق ·

(١) سورة الحجرات آية رقم (٩) ·

**(ب) دعــوة ابى بــلال :**

مضى أبو بلال ـ ونفر من صحبه ـ بعد انتهاء الأمر على أرض النهروان عائدين الى البصرة ، وكانت اقامته فى البصرة مع أبنائ عمومته من قبيلة تميم التى كانت تكون جانبا كبيرا من البصريين فى ذلك الوقت (١)

وكان على رأس تلك القبيلة بالبصرة الأحنف بن قيس السعدى التميمى ٠٠ وقد كان الأحنف من الشخصيات ذات المكانة الرفيعة ، تضرب به الأمثال فى الحلم واكثر صفات الكمال (٢) ، والأحنف كان من أصحاب الامام علي بن أبي طالب شهد معه كل موقعة ، ووقف الى جانبه عن يقين ، بل وكان ممن حارب فى صفوفه فى النهروان ، الا أن المعركة وقد أسفرت عما أسفرت عنه من قتلى وجرحى بلغت الآلاف ـ وكلهم من خيرة المسلمين ـ أحدثت رد فعل لدى الكثيرين ٠٠ وكان الأحنف ممن تأثروا بنتائجها ، وهالتهم ضخامة اعداد القتلى فيها ٠٠ وكان أن تخلى بعدها عن مؤازرته لعلى والوقوف الى جانبه ـ ويعلل أحد المؤرخين المحدثين ذلك بقوله أن ذلك حدث « ربما أسفا منه لما حل بأقاربه من بنى تميم من موت وهلاك فى معركة النهروان » (٣) غير أننا نرى أن ذلك لا يرجع الى هذا السبب الشخصى ، فمثـل الآحنف فى تقاه وايمانه لا يجزع لوفاة ولد أو قريب ، وانما الأمر كما يتضح من سير الأحداث لا يعدو أن وقوع الحرب التى تؤدى الى هذه المقتلة الضخمة فى صفوف جيش واحد لابد وأن تدعو كل ذى عقل أن يعيد النظر فى موقفه ، خشية تكرار مثل ذلك ٠

وان الدليل على ذلك هو ما ساقه المؤلف نفسه من استشهاده بعد ذلك ـ بموقف الأحنف عندما قام ابن الحضرمى بعد ذلك بحركة تمرد موالاة لمعاوية بن أبي سفيان فان الأحنف ، وقف ضده ، وساهم فى القضاء على حركته (٤)

وقد مال الأحنف بن قيس الى المحكمة ورأى ارائهم ووافق على مسلكهم وخطتهم

(١) البرادى : الجواهر : ص ١٦٧

(٢) الطبقات للدرجينى ص ١٦٧

(٣) د٠ عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ص ٦٥

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ـ الجزء السادس : ٦٣ ـ ٦٤

لذلك فقد آوى اليه أبو بلال وأتباعه ، وأسبغ عليهم حمايته ، ولعل السبب فى ذلك ما لمسه من هؤلاء المحكمة الذين مالوا الى الاعتدال .

وقد أتاحت هذه الحماية الفرصة سانحة لأبى بلال أن ينشر دعوته ، وأن يبث أفكاره ، فيجذب اليه الاتباع والانصار .

ولعل بساطة دعوته ، واعتدال لهجته ، وأخذه الامور باللين والرفق .. كل ذلك أدى الى تكاثر المؤيدين . واقتناع العديدين بما يدعو اليه أبو بلال ..

وقد كانت نقطة البداية فى دعوة أبى بلال هى انكار مسلك العنف وما يذهبون اليه من قتل المخالفين واستعراض الناس ، فذلك خروج عن الاسلام ، ومخالفة لما يأمر به الله ، وعلى ذلك ، فان على اتباعه ألا يجردوا سلاحا ، ولا يقاتلوا مسلما الا اذا تعرضوا لعدوان وواجهوا قتالا ، فكان عليهم حمل السلاح دفاعا عن النفس .. وكان يقول : « ان تجريد السيف واخافة السبيل لأمر لعظيم ، ولكنا نشذ عنهم، ولا نجرد سيفا ، ولا نقاتل الا من قاتلنا » (١)

وقد تزايد عدد أتباعه ومؤيدوه حتى لقد ابتنوا لهم مسجدا خاصا بهم فى البصرة (٢) .. ولم يكن أمرهم خافيا على زياد بن أبيه والى البصرة ، بل لعله رأى فى ميلهم الى الاعتدال ، وأخذ الامور بالتعقل ما يدعوه الى تركهم وشأنهم ، ليتفرغ هو لقتال الاخرين ولكفهم عن زعزعة الحكم الأموى

وكان من نتيجة ذلك أن تأصلت دعوة أبى بلال وتحددت أسسها .. وظهرت معالمها ، غير أن الامر لم يستمر لفترة طويلة على ذلك الهدوء الذى أتاحته فترة ولاية زياد ابن أبيه .. اذ أن ابن زياد لم يكد يتولى العراق من قبل معاوية حتى تغير الوضع تماما .. فقد استعمل ابن زياد الشدة والقسوة المتناهيتين ، وعامل المحكمة

(١) الطبقات للدرجينى ج (٢) ص ٢١٨

(٢) البلاذرى : الانساب ج (٥) — ص ٩٤

ببطش وجبروت وغلظة ونكال شديد . ولم يتوان عن سجن البعض منهم وقتل البعض الآخر . وكان ممن تتبعهم ابن زياد أبو بلال مرداس وأصحابه .. فلج فى قتلهم وحبسهم .. ولم يفلت أبو بلال نفسه من الحبس .. غير أن ابن زياد أطلق سراحه بعد فترة ، فلما خرج من الحبس ، ورأى جد ابن زياد فى طلب ( الشراه ) عزم على الخروج ، وقال لأصحابه « انه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجرى علينا أحكامهم مجانفين للعدل ، مفارقين للفضل ، والله ان الصبر على هذا لعظيم ، وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ، ولكنا نشذ عنهم ، ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا » ـ فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريب بن جحل وكهمس بن طلق القريمى ومضى بهم وهو يقول لمن لقيه : انى لا أجرد سيفا ، ولا أخيف أحدا ، ولا أقاتل الا من قاتلنى « ثم يقول » اننا لم نخرج لنفسد فى الأرض ، ولا لنروع أحدا ، ولكن هربا من الظلم ، ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ، ولا نأخذ من الفىء الا أعطياتنا » (١) وقد نزل أبو بلال بجماعته (أسك) (٢) وهو موضع بين « رام هرمز » و « أرجلان » غير أن ابن زياد لم يدعهم وشأنهم ، بل لقد تتبعهم بجنده ، فبعث اليهم باسلم بن زرعة على رأس ألفى مقاتل .. وتروى المصادر المختلفة أن حوارا دار بين أبى بلال وأسلم بن زرعة قبل أن ينشب بينهما القتال .. فقد صاح به أبو بلال : اتق الله يا مسلم ، فانا لا نريد قتالا ، ولا تحتجن فيئا ، فما الذى تريد ؟ قال : أريد أن أردكم الى ابن زياد . قال مرداس : اذا يقتلنا قال : وان قتلكم قال : تشرك فى دمائنا ، قال باذن الله بأنه محق وأنتم مبطلون .. فقال أحد جماعة أبى بلال هو من يطيع الفجرة ، وهو أحدهم ، ويقتل ، بالظنة ، ويخص بالفىء ، ويجور فى الحكم ، أما علمت أنه قتل بابن سعادة أربعة برآء ، وانا أحد قتلته ؟ (٢) ثم انهم حملوا عليه حملة رجل واحد ، فانهزم هو وأصحابه بغير

(١) الطبقات ج (٢) للدرجينى ص ٢١٨ ـ ٢٢٠

(٢) قال الحموى : بلد من نواحى الاهواز وفيها قيل شعر يعبر عن الصلابة والفداء فى سبيل العقيدة الذى كان سر الانتصارات على الجيوش الأموية ومن هذا الشعر قول القائل ألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بآسك اربعونا ـ معجم البلدان ج (١) ـ ص ٦١

(٣) العقود الفضية ص ١١٢ ـ ١١٤ .

قتال(١) ٠٠ فلما بلغ ذلك ابن زياد غضب على ابن زرعة غضبا شديدا ، وقال : ويحك امضى فى الفين وتهزم لحملة من أربعين رجلا ؟ (٢) ثم ان ابن زياد ندب لهم الناس فاختار عباد بن أخضر ، فوجهه فى عدة آلاف ، فأتبعه عباد يطلبه حتى لحقه ، فحمل عليهم أبو بلال وأصحابه ، فثبتوا ، وتعطف الناس عليهم ، فلم يكونوا شيئا ، وقال أبو بلال لأصحابه : من كان منكم انما خرج للدنيا فليذهب ، ومن كان منكم انما أراد الآخرة ولقاء ربه فقد سبق ذلك اليه ٠٠ فنزل ، ونزل أصحابه معه لم يفارقه منهم انسان فقتلوا عن آخرهم ، ورجع عباد بن أخضر بجيشه الى البصرة ٠٠ (٣) ويروى أن أبا بلال نادى عبادا وصحبه قائلا لهم دعونا حتى نصلى الجمعة وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعين أسلحتهم ، وعمدوا للصلاة فأسرع عباد ومن معه والمؤمنون مطمئنون فهم بين راكع وساجد وقائم وقاعدحتى مال عليهم عباد ومن معهم فقتلهم جميعا رحمهم الله (٤)

وهكذا طويت صفحة ذلك الداعية الذى آثر الاعتدال ، وتجنب العنف ، وثبت على الحق ، ومع ذلك فلم تكن شجاعته عندما وجب السيف الا مثلا نادرا تعلى مكانة صاحبها فى عالم البطولة ٠

وفى ذلك يقول بعض الشعراء : (٥)

الا فى النـــاس لافي الله شــالت  بـــداوود واخـــوته الجـــذوع
مضـــوا قتـــلا وتشريحا وصـــلبا  تحـــوم عليهـــم طـــير وقـــوع
اذا ما الليـــل اظلـــم كابـــدوه  فيســـفر عنهـــم وهـــم ركـــوع
اطـــار الخـــوف نومهـــم فقامـــوا  وأهـــل الامـــن فى الدنيـــا هجـــوع

رحم الله تلك الأرواح الطـاهرة

### ٣ ـ الدعاة بعد أبي بلال :

وكان من الطبيعى أن يثير ذلك جماعة الشراة ـ القعدة ـ فهم لم يكونوا خرجوا

(١) الطبرى ص ٢٧١ جـ (٦) ٠
(٢) الدرجينى : المصدر المذكور ص ٢٢٠
(٣) الطبرى ص ٢٧١
(٤) العقود الفضية : ص ١١٥ ـ الطبقات الجزء (٢) ص ٢٢٢
(٥) الشاعر عيسى بن فاتك ـ راجع الجزء الثانى للدرجينى ص ٢٢٢

حتى يؤخذوا بهذه الشدة ، وهم انما كانوا فارين من الظلم ، فتابعهم الظلم ، وهم انما قصدوا الى نشر دعوتهم ـ دعوة أهل الحق والاستقامة · كما عرفت فيما بعد ·

وقد أثمرت هذه الثورة الداخلية التى اعتمدت فى النفوس ، وانطوت عليها الحنايا ، وزادها الظلم الذى وقع ـ بأسك تأججا واشتعالا ·· وأثمرت فى نواح ثلاث لدى اتباع أبى بلال :

ـ دفعتهم الى الانتقام لمقتل أبي بلال وصحبه ·

ـ مضوا الى ابن الزبير عندما ثار بمكة وانضموا اليه لفترة ثم فارقوه ·

ـ التفوا حول عمران بن حطان واتخذوه لهم قائدا ··

ونورد فيما يلي بعض تفصيل لما أجملنا :

( أ ) الانتقام لمقتل أبي بلال :

كان لمقتل أبي بلال وصحبه سيء الأثر فى نفوس أتباعه ·· ولم يكفوا عن التفكير فى الانتقام له ، وقد ندب جماعة منهم أنفسهم لذلك ·· فمضوا ذات جمعة الى عباد بن أخضر وقد عزموا على أمر ·· وقد ترصدوا له حتى أقبل على بغلة له ، وابنه رديفه ، فقام اليه رجل منهم ، فقال اسألك عن مسألة قال : قل : أرأيت رجلا قتل رجلا بغير حق · والقاتل ذو جاه وقدر ، وناحيته عند السلطان · الولي ذلك المقتول أن يفتك به ان قدر عليه ؟ قال : بل يرفعه الى السلطان · قال : ان السلطان لا يعدى عليه لمكانه منه· قال أخاف عليه من أن يقتله به· قال: دع ما تخافه من ناحية السلطان، أيلحقه من الله اثم ؟ قال : لا ·· هنا رفع الرجل وأصحابه على عباد سيوفهم ، فقضوا عليه ·· وتنادى اناس : قتل عباد ·· فأخذوا أفواه الطرق ، وحاربوا قتلة عباد حتى قتلوهم (١) ·

وكان ذلك سببا لجد ابن زياد فى تتبعه الشراه ، حتى بعث الى خليفته بالبصرة أن وجه الي بعروة بن أدية ( أخي أبي بلال ) فلم يزل بطلبه حتى قبض عليه ·· فلما أقيم عروة بين يدى ابن زياد أخذ يحاوره وقال له : أجهزت أخاك علي ؟ فقال : والله

(١) الطبقات ج (٢) ص ٢٢٣

لقد كنت به ضنينا ، وكان لى عرى · ولقد أردت له ما أريد لنفسى ، فعزم عزما فمضى عليه ، وما أحب لنفسي الا المقام ، وترك الخروج ·· قال له : فأنت على رأيه ؟ قال : كنا نعبد ربا واحدا · قال : أما والله لأمثلن بك ·· اختر لنفسك من القصاص ما شئت ·· فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ·· ثم قال له : كيف ترى ؟ قال : أفسدت علي دنياى ، وأفسدت عليك آخرتك · ثم أمر به · فقتل ، ثم صلب على باب داره (١)

ـ فانظر كيف أن كل ما حدث بالشراة من تنكيل وحبس وتعذيب ومقتلة لم يصب شيئا من ايمانهم بدعوتهم ، ولم يوهن من عزمهم ، وما زادهم الا ايمانا مع ايمانهم ·· وكانت الفترة التى تلت ذلك فترة قلق وهلع شديدين ، واضطروا الى التستر والاختفاء خوفا مما يتهددهم من بطش وتنكيل وتعذيب ·

**(ب) مـع ابن الزبير :**

وقد حدث على عهد خلافة يزيد بن معاوية أن خرج عليه عبد الله ابن الزبير بمكة معلنا الثورة على الأمويين وعلى ما ابتدعوه من نظام الوراثة فى الخلافة الاسلامية ·· وكان لثورته صداها ، اذ انضم اليها الكثيرون من الحجازيين وغير الحجازيين · وكان ممن اندفع لتأييد هذه الثورة جماعة المحكمة ·· وقدموا الى مكة من البصرة ، لينصروا ابن الزبير ويدفعوا عن مكة ـ والبيت الحرام ـ كل عدوان ·· كما قدم الى مكة أيضا وانضم الى هذه الحركة فئة كبيرة من محكمة العراق ـ وعلى رأسهم نجدة بن عامر يمنعون البيت (٢)

وقد سار الى ابن الزبير جيش من قبل يزيد ·· على رأسه حصين بن نمير الكوفى · فحاصر مكة ، وقاتل المتحصنين بها ، بل ورمى الكعبة بالمنجنيق ، وظل فى حصاره لأهلها وقتاله لهم ما يزيد عن ستين يوما حتى جاءه نبأ هلاك يزيد ابن معاوية ·· ففك حصاره عن مكة ·· وقفل بجنده راجعا الى الشام (٣)

وقد أظهر المحكمة شجاعة فائقة فى تلك المعارك ، وأبلـوا بلاء حسـنا ··

(١) المصدر السابق (٢) ص ٢٢٤
(٢) تاريخ الرسل والملوك ج (٧) ـ ص ١٤
(٣) المصدر المذكور ـ ج ٧ ـ ص ١٤

غير أن حصين لم يكد يفك حصاره حتى وقع الخلاف بين ابن الزبير وبين المحكمة ٠٠ كما اشتد الخلاف السابق بين المحكمة أنفسهم ٠٠

ويروى الطبرى قصة ما حدث ٠٠ وكيف أن الخوارج وقد اشتد عليهم ابن زياد وتجرد لاستئصالهم وهلاكهم ، فقد اجتمعت الخوارج حين ثار ابن الزبير بمكة وسار اليه أهل الشام ، فتذكروا ما أتى اليهم ، فقال لهم نافع بن الأزرق ان الله قد أنزل عليكم الكتاب ، وفرض عليكم فيه الجهاد ، واحتج عليكم بالبيان ، وقد جرد فيكم السيوف أهل الظلم ٠٠ وهذا من ثار بمكة ، فأخرجوا بنا نأت البيت ، ونلق هذا الرجل ، فان يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك فى أمورنا ، فخرجوا حتى قدموا على عبد الله ابن الزبير ، فسر بمقدمهم ، ونبأهم أنه على رأيهم وأعطاهم الرضى من غير توقف ولا تفتيش ، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية ، وانصرف أهل الشام عن مكة ، ثم ان القوم لقى بعضهم بعضا ، فقالوا ان هذا الذى صنعتم أمس بغير رأى ولا صواب من الأمر ، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعله ليس على رأيكم ، انما كان بالأمس يقاتلكم هو وأبوه ، ينادى بثارات عثمان ٠٠ فأتوه ، واسألوه عن عثمان ، فان برىء منه كان وليكم ، وان أبى كان عدوكم ٠٠ فمشوا نحوه ، فقالوا له : أيها الانسان انا قد قاتلنا معك ، ولم نفتشك عن رأيك حتى نعلم أمنا أنت أم من عدونا ، خبرنا ما مقالتك فى عثمان ٠٠ « بل ان ابن الازرق مضى يقول له : يا ابن الزبير اتق الله ربك وابغض الخائن المستأثر ، وعاد أول من سن الضلالة ، وأحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب ، فانك ان تفعل ذلك ، ترضى ربك ، وتنج من العذاب الأليم نفسك ٠٠ وقد راح الخوارج بعد ذلك يذكرون الأحداث ويبينون ما أخذوه على عثمان ــ مما أسلفنا بيانه فى غير هذا الموضع ــ وقالوا بعد ذلك : وقد سارت اليه ــ أى الى عثمان ــ طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته ، لا يبالون فى الله لومة لائم ، فقتلوه ، فنحن لهم أولياء ، ومن ابن عفان وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير ؟ ٠

وكان من الطبيعى أن يرد ابن الزبير بما يدفع عن عثمان كل خطأ ، وما يبرى ذمته

(١) الطبرى : المصدر المذكور ــ ج (٧) ــ ص ٥٦ ــ ٥٧

مما نسب اليه ·· وقال ان عثمان أهل لكل خير ، وأنا أشهدكم ومن حضر أنى ولي لابن عفان فى الدنيا والآخرة ، وولى أوليائه ، وعدو أعدائه ·· قالوا : فبرىء الله منك يا عدو الله ـ قال ابن الزبير : فبرىء الله منكم « وتفرق القوم » ··

وقد مضى نافع بن الأزرق حتى أتى البصرة ·· كما أن عبد الله بن اباض أيضا كان ممن قدم الى البصرة ·· وقد عادت الخوارج وعلى رأسهم نافع ابن الأزرق تقول: لو خرج منا خارجون فى سبيل الله · فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا فيقوم علماؤنا فى الأرض فيكونون شهداء مرزوقين عند الله ، أحياء ·· وقد خرج بالفعل نافع بن الأزرق على رأس ثلاثمائة رجل ··

وصادف خروجه انكسار شوكة ابن زياد وضعف سلطانه على الدولة الأموية من اضطراب عقب موت يزيد بن معاوية ·· وقد لحق بابن الأزرق بقيـة الخوارج المقيمين بالبصرة ··

أما عبد الله بن اباض وعبد الله بن صفار واتباعهما ، فقد رأوا البقـاء فى البصرة ·· لذلك لقبوا بالقعدة ·

وقد كان ابن الازرق على ما يبدو يود أن يتبعه القعدة لتقوى شوكته ، ويمضى الى خطته ·· فلما رأى تخلفهم عنه ، وأصرارهم على رأيهم فى عدم الخروج ، أعلن أن ولاية من تخلف عنه لا تنبغى ، وان من تخلف عنه لانجاة له ، وقال لأصحابه ان الله قد أمركم بمخرجكم حين بصركم ما عمى عنه غيركم ·· ألستم تعلمون أنكم خرجتم تطلبون شريعته وأمره ، فأمره لكم قائد ، والكتاب لكم امام ، وانما تتبعون سنته وأثره ·· فقالوا : بلى : أليس حكمكم فى وليكم حكم النبى فى وليه وحكمكم فى عدوكم حكم رسول الله فى عدوه ـ وعدوكم اليوم عدو الله ، وعدو النبى ، كما أن عدو النبى يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم ·· ؟ فقالوا : نعم ·· قال : فقد أنزل الله ( براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ) (١) ·· وقال «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » (٢) فقد حرم الله ولايتهم ، والمقام بين أظهرهم واجازة شهادتهم وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ومناكحتهم وموارثهم ، وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا، وحق علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم (٣) ولا نكتم ما أنزل

(١) سورة التوبة آية (١) ·
(٢) سورة البقرة أول آية (٢٢١) ·
(٣) الطبرى المصدر السابق ج (٧) ص ٥٦ ـ ٥٧

الله ٠٠ والله عز وجل يقول : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون » (١) ٠

وقد استجاب كل الخوارج لهذه الدعوة ٠٠ ومضوا مع ابن الأزرق ، مفارقين القعدة ، وعلى رأسهم عبد الله بن اباض وعبد الله بن صفار ٠٠

وقد بعث ابن الأزرق الى القعدة بعد خروجه برسالة يعيد فيها الدعوة للخروج ، وقد أتى الكتاب الى ابن اباض وابن صفار ٠٠ فما كان من ابن اباض الا أن قال : قاتله الله ٠٠ أى رأى رأى صدق نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به ، وكانت سيرته كسيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المشركين ، ولكنه كذب ، وكذبنا فيما يقول ان القوم كفار بالنعم والأحكام وهم برءاء من الشرك ، ولا يحل لنا الا دماؤهم ان بدؤونا بالقتال وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام » ٠٠

ولم يرض ابن صفار عن هذا الرأى ٠٠ فما كان منه الا أن قال : برىء الله منك فقد قصرت ٠٠ وبرىء من ابن الأزرق فقد غلا ٠٠ برىء الله منكما جميعا ٠٠

فقال ابن اباض « وبرىء الله منك ومنه » (٢) وأراد جماعة من الخوارج وهم يستحلون دماء المسلمين وسبى نسائهم وأطفالهم أن يجادلوا جابر بن زيد فقال : لهم أليس قد حرم الله دماء المسلمين بدين ؟ فقالوا : نعم ٠ فقال : وحد البراءة منهم بدين ؟ فقالــوا : نعــم ٠ فقــال : أوليس قــد أحــل دمــاء أهــل الحــرب بدين ؟ فقالوا : بلى وحرم الله ولايتهم بدين بعد الامر بها بدين فقالوا : نعم ٠ فقال : أحل ما بعد هذا بدين فسكتوا (٣) ٠

وقد تفرق القوم ٠٠ ومضى ابن صفار وبعضه ممن يرون رأيه ٠٠ واشتدت شوكة ابن الأزرق مع من خرج بهم من أصحابه ٠٠ وبقى القعدة فى البصرة ٠٠ وفيهم الكثيرون ممن كان لهم شأن وأى شأن فيما تلا ذلك من أحداث ٠٠

(١) سورة البقرة آية رقم ١٥٩

(٢) الطبرى : المصدر المذكور ـ ج (٧) ـ ص ٥٨ وانظر أيضا : الاشعرى ـ مقالات : ص ٨٦ وما بعدها ـ والشهرستانى : الملل والنحل ج (١) ص ١٦٣ ـ ١٦٤

(٣) الاباضية فى موكب التاريخ ج (١) ـ ص ٧٠

( ج ) مع عمران بن حطـــان :

لقد كان عمران بن حطان السدوسى من الشخصيات البارزة والمهمة ٠٠ وكان شاعرا ومحدثا ، وعالما وفقيها ، ويصـفه مؤرخو الاباضـية بأنه مـن الشراة ٠٠ وهـو النهـاية فى الـورع والصـلاح ، واطـراح الدنيـا كل الاطـراح لما خصه الله عز وجل من فنون العلم والنزاهة والحلم وشهامة الجنان وفصاحة اللسان (١) وقد تزعم عمران بن حطان جماعة القعدة وكان المكافح عنهم بالبيان وقـوة الحجـة ٠

وقد اتسمت تلك الفترة التى تزعم فيها عمران بن حطان جماعة القعدة بالهدوء والسكينة ، واتجه القعدة خلالها الى التعمق فى الدين وما يتصل به من علوم ٠٠ وبخاصة لأن عمران كان على نفس رأى أبى بلال من انكار الاستعراض وتحريم أموال بقية المسلمين ودمائهم (٢)

وقد دانت البصرة فى تلك الفترة لابن الزبير ـ كما دانت الحجاز ـ ولم تشهد أى اصطدام بين القعدة ، وعمال ابن الزبير على البصرة ، ويرجع ذلك بالطبع الى سلوك القعدة وميلهم الى الاعتدال وانصرافهم عن كل ما فيه اساءة للمسلمين أو خروج على الجماعة حتى ليروى أى « مصعب بن الزبير كان يوقر زعماءهم ٠ ويمشى فى جنازة من يموت منهم » (٣)

على أن أمر ابن الزبير مالبث أن انتهى ٠٠ وما لبث الأمويون أن استردوا الحجاز والعراق ـ بعد القضاء على ابن الزبير قضاء كان للحجاج بن يوسف دوره الخطير فيه ٠٠ وقد ارتكب فى سبيل ذلك الكثير من المآسى التى سجلها التاريخ وكان منها رميه الكعبة بالمنجنيق ٠٠ وتمثيله بابن الزبير بعد قتله (٤)

وتولى الحجاج بعد ذلك أمر العراق ٠٠ وقد نشط عمران بن حطان فى الدعاية ضد الحكم الأموى ، ومعارضته له ٠٠ وكان فى دعايته ـ وهو الشاعر الفحل ـ شديد المراس ، مثيرا للمتاعب ، حتى لقد أفزع أمره الحجاج بن يوسف فجعل يطارد ، وراح

(١) الدرجينى : المصدر المذكور ـ ص ٢٢٦
(٢) د٠ عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ص ٧٢
(٣) الشماخى : السير : ص ٨١
(٤) الطبرى : المصدر سالف الذكر ج (٧) ـ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥

عمران يتنقل بين القبائل ، فكان اذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه (١) وقد أدخله الحجاج السجن ، واستقاه فترة ·· غير أنه عاد فأخرجه من السجن ·· ويبدو أن ذلك يرجع الى ما كان الخوارج يثيرونه من شغب وقد أرادت الدولة أن تكرس كل جهودها لحربهم ، ولعل ذلك هو ما دفع الحجاج الى اطلاق سراح عمران ·· فهو زعيم القعدة ، وفى الاحسان اليه اكتساب لهذه الجماعة ـ أو حد من نشاطهم ـ وقد تحقق ذلك بالفعل ·· فقد ذكروا أن أصحاب عمران قد اجتمعوا اليه بعد اطلاق سراحه ، فقالوا له : انما أطلقك الله لما رأى فى رجوعك الينا ·· هلم الى محاربة الحجاج ·· « فما كان من عمران الا أن قال : هيهات ·· غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها ، والله لا أحاربه أبدا » ·

وهكذا انطوت صفحة ذلك الزعيم الشاعر ·· ولكن بعد أن كانت الجماعة قد أصبحت ذات كيان كبير ، وأنصار وأتباع عديدين ، تجمعهم آراء وعقائد ـ محددة ·

وقد أتاحت الفترة التالية لهذه الجماعة أن تزداد انتشارا وأن تمتد الى مختلف الأمصار ، وقد تأصلت عقائدها ، واستبانت معالم مذهبها وكان لجابر بن زيد الدور الأكبر فى هذا الشأن ·

## المبحث الثالث

## جابر بن زيد ، والاباضية

**تمهيد :**

استقرت تلك الجماعة التى أطلق أصحابها على أنفسهم اسم ـ جماعة المسلمين ـ بالبصرة ·· وقد لقيت من العنت والاضطهاد منذ أن تحدد لها منهج ، وأصبح لها كيان كبير ·· حتى ولى الحجاج بن يوسف الثقفى أمر العراق ، فسار على نهج من سبقه وبصفة خاصة ابن زياد · فى ملاحقة هذه الجماعة وسواها دون أن يعنى نفسه بالتفرقة بين منهج ومنهج ، بين منهج من يدعون الى الاعتدال ، ويأخذون أنفسهم

(١) الدرجينى : طبقات المشائخ ـ ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ـ ج (٢) ·

بالحق ، وبين الآخرين ممن يرون الخروج على المسلمين ، واستعراضهم بالسيف ·

ومع استمرار تعرضهم للاضطهاد والملاحقة بالسجن وما اليه من أساليب القمع ، عمدت تلك الجماعة الى اتخاذ أسلوب « التقية » فى محاولة لستر أمرها عن كل من ليسوا منها حتى تتمكن من اعلان كلمتها ويصبح لها جزء نابض فى المجتمع الذى تعيش فيه ·

وقد قدمنا أن زعامة هذه الجماعة انما كانت ـ لفترة طويلة ـ لأبى بلال مرداس بن أدية ·· كما آلت ـ من بعده ـ الى عمران بن حطان ، كما اشتهر الى جانبهما ـ ثم بعدهما ـ عبد الله بن اباض حتى لقد نسب اليه المذهب ·· ولم ترد اشارة فى تلك الفترة عن جابر بن زيد وعلاقته بتلك الجماعة ·

والحقيقة أن جابر بن زيد كان له دور كبير فى ذلك كله ، رغم أنه لم يظهر كزعيم لتلك الجماعة يتولى أمرها ·· فقد تقدم ـ أو قدم هو ـ سواه ، ليعرف كزعيم لها ، يتحدث باسمها ·· فقد تولى أمر القيادة والزعامة لتلك الجماعة ـ كما أسلفنا أبو بلال مرداس ثم عمران بن حطان اللذان تحدثا باسم الجماعة وعبرا عن أرائها ·· كما تحدث باسم الجماعة ـ عبد الله بن اباض ، بل وكان يوجه الرسائل المكتوبة الى الخليفة ـ عبد الملك بن مروان ، يعبر فيها عن موقف جماعته ـ وآرائها بالنسبة لما هو موضع خلاف ·

واذا كان جابر بن زيد لم يعرف ـ فى تلك الفترة ـ على أن له علاقة بتلك الجماعة ـ فضلا عن توليه زعامتها ـ فان واقع الأمر أنه هو الزعيم لمذهبها المحدد لاسلوبها ، بل لعله كان صاحب الرأى فى اختيار « التقية » وبصفة خاصة لأن المذهب يقوم فى أساسه على الاعتدال ، وتجنب العنف ، وعدم التعرض لسائر المسلمين وعدم تكفير من لم يذهب مذهبهم ·· وبذلكيكون من الميسور أن يخفى أمره ، وألا يجعل لمن هم عدا أفراد جماعته سبيلا لمعرفة حقيقة صلته بهم ·· مع أن الثابت ـ كما سيتضح ذلك فيما بعد ـ أن جابر بن زيد كان وراء كل ما قام به أبو بلال ، وأن هذا الأخير لم يكن ليمضى لأمر الا بمشورة جابر ·· ولعل مما ساعد جابرا على ذلك ما كان قد اشتهر عنه من أنه عالم فقيه ومحدث وتابعى جليل حتى ليصفه ابن عباس بقوله

عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون الينا وفيهم جابر بن زيد (١) فصرفت عنه هذه الشهرة نظر ولاة الأمر فلم يرتابوا فى أمره ، ونظروا اليه بالصفة الغالبة عليه .. وقد اتيح له بذلك أن يعمل فى حرية لتثبيت المذهب ، وتقوية أمر الجماعة .. وكان عمله ذا شقين : شق تنظيمى تخطيطى ، يضع الأسس ، ويوجه الخطى ، وشق فقهى يؤصل به المنهج ، ويورد فيه الحجج والأسانيد .

مما تقدم يتبين أن جابرا كان له دور كبير فى اقامة هذا المذهب ـ الذى عرف فيما بعد بالمذهب الاباضى ـ تنظيما وتقوية وتأصيلا وتوجيها :

ويمكن أن نقسم هذا الدور الى المراحل الآتية :

- دور جابر فى توضيح اسس دعوة المذهب الاباضى :
- جابر بن زيد والدعوة الى مذهبه .
- وأخيرا دوره مع عبد الله بن أباض .

وتعديد هذه الأدوار انما يحدد لنا خطتنا فى تناول هذا الموضوع اذ سنعرض لكل مرحلة من هذه المراحل على حدة ، ليتسنى لنا ـ بعد ذلك ـ أن نلقى نظرة تحليلية نوضح فيها الرأى بشأن نشأة المذهب الاباضى ودور جابر بن زيد فى هذا الشأن .

### ١ ـ جابر بن زيد فى توضيح اسس دعوة المذهب الأباضي :

#### ( أ ) انضمام جابر الى جماعة القعدة :

كان جابر بن زيد ـ كما أسلفنا القول ـ ممن اشتهروا بالفقه وعرفوا برواية الحديث والتفسير ، واعتبرهم المسلمون من أصحاب الرأى والفتوى .. وكان منذ أقام بالبصرة ـ واشتهر بها ـ دائم التردد على الحجاز ، والالتقاء بكبار الصحابة والتحدث اليهم ، والأخذ عنهم كما ذكرنا سابقا ..

ويتبين أيضا أن الامام جابرا أخذ عن عبد الله بن وهب وله صحبة معه ولكن جابرا لم يخرج معهم الى ( النهروان ) ولعل ذلك يرجع الى صغر جابر أو عدم لقياه بابن وهب الا فى الايام الاخيرة كما سنوضحه بعد أما خروج عبد الله ابن وهب الى

(١) ازالة الوعثاء للسيابى : ص ١٧ ـ الاباضية فى موكب التاريخ ج (١) ص ٢٤٣ ـ العقود الفضية ـ للحارثى ص ٩٥

ما ذهب اليه يقينا منه ـ بأن علي بن أبي طالب ، بقبوله التحكيم ـ في أمر من أمور الله ـ وقبوله أن ينزع عنه معاوية بن أبي سفيان لقب « أمير المؤمنين » انما قد تجنب سبيل الحق ، وأنه بذلك قد سقطت بيعته ، ولم تعد طاعته واجبة ٠٠ وقد وقف ابن وهب عند ذلك الحد ، فلم يقل بأن عليا قد كفر بالاسلام ، بل لم يستحل قتاله ٠

فاذا كان الاباضية يعتبرون ابن وهب من أسلافهم ، فانهم لايقولون بذلك الا بعد أن أكدوا أنه لم يقل مما ذهب اليه الخوارج فيما بعد من تكفير من سواهم واستحلال استعراضهم ٠٠

على هذا النحو يمكن لنا أن نذهب الى أن ابن وهب كان ممن أخذ عنهم جابر بن زيد ، وصحبهم ، وتاثر بهم ٠٠ الا أننا لا نذهب الى أن علاقة خاصة قد ربطت بين جابر وابن وهب ، لما هو ثابت من أن واقعة النهروان انما كانت ـ فى أرجح الأقوال ـ فى السنة السابعة والثلاثين من الهجرة ٠٠ أى أن جابرا كان عند وفاة ابن وهب ـ لم يبلغ العشرين من عمره ٠٠٠ وحتى وفاة ابن وهب مازال فى فترة التكوين العلمى والفكرى ، ولم يكن قد اشتهر أمره بعد ٠٠

وقد استقر « القعدة » فى البصرة فيما بعد ٠٠ ومن المرجح أن تكون علاقة جابر بن زيد بهم قد ابتدأت فى ذلك الوقت ٠٠ أى بعد واقعة النهروان ، ولجوء مرداس ابن أدية التميمى وأصحابه للبصرة فى أواخر العقد الرابع من القرن الأول الهجرى (١) ٠٠ على أن أمر انضمام جابر الى القعدة ، ونصرته له ، ومشاركته فى نشاطهم انما تمت ـ حسبما يتضح من استقراء الحوادث ـ خفية ، وبأسلوب لا يلفت النظر اليه ٠٠ فطوال ولاية ابن زياد ( للبصرة ) كان جابر يصلى الجمعة خلفه ٠٠ وعندما كان يسأله أصحابه من ( القعدة ) عن ذلك كان يجيبهم « انها صلاة جامعة ، وسنة متبعة » (٢) ٠

وهناك واقعتان تؤكدان انضمام جابر الى هذه الجماعة منذ ذلك الوقت مع حرصه فى ذات الوقت على اخفاء أمره ، واخفائه عن ولاة الأمر من الأمويين :

ـ الواقعة الأولى ٠٠ ما يروى عن حرصه على التردد الى مكة والتقائه

(١) د٠ عوض خليفات : المرجع المذكور ـ ص ٩٠ بتصرف ٠

(٢) الحارثى : العقود الفضية ـ ص ٩٧

بابن عباس ، وكان يذهب دائما بصحبة من يدعى فقاس بن الاسود بن قيس ـ الذى كان معروفا أنه من تلك الجماعة ـ حتى كان أحد الأعوام عندما مضى جابر الى مكة منفردا ـ دون صاحبه ـ فلما سأله ابن عباس عنه قال له انه فى سجن ابن زياد ٠٠ فقال له ابن عباس : وانه لمتهم ؟ قال جابر : نعم ٠٠ قال ابن عباس : « اللهم بلى » ثم سأل جابرا وقال : « أوما أنت متهم ؟ فقال جابر : اللهم بلى » (١) ٠

ـ والواقعة الثانية يرويها أبو سفيان محبوب بن الرحيل اذ يذكر أن شيخا من القعدة يدعى أبو سفيان قنبر قد أخذه عبد الله بن زياد وجلده ليدله على أحد من المسلمين ( القعدة ) فلم يفعل ، قال جابر بن زيد : وكنت قريبا منه وما كنت أنظر الا أن يقول هذا هو ، فعصمه الله (٢) ٠

وعلى ذلك يمكن لنا أن نقرر أن علاقة جابر بجماعة « المسلمين » ـ الاباضية ـ بدأت أول الأمر علاقة تأثر بآراء ومسلك ابن وهب الراسبى رحمه الله ، ثم انضمام للجماعة ثم فى مرحلة استقرار الجماعة فى البصرة فيما أعقب واقعة النهروان من أحداث ٠ كما تقرر أن جابرا لم يكن ممن استحلوا الخروج بالسيف أو استعراض جماعة المسلمين بحال من الأحوال ٠٠ وأنه بذلك لم يكن من الخوارج فى فترة من فترات حياته على الاطلاق (٣) ٠

**(ب) مع أبي بلال مرداس :**

واذا كان أبو بلال قد تولى زعامة القعدة فى تلك المرحلة كما ذكرنا سابقا فان علاقته بجابر كانت وثيقة جـدا ٠٠ حتى ليروى أن الرجلين ظلا لسـنوات عديدة يترددان على مكة ـ ربما فى موسم الحج ـ ويلتقيان بكبار الصحابة ، وعلى رأسهم ابن عباس وعائشة ٠٠ وان أبا سفيان بن الرحيل ليروى أن جابر بن زيد وأبا بلال مرداس دخلا ـ فى أحد الأيام ـ على عائشة رضى الله عنها فعاتباها على ما كان منها يوم الجمل ٠ قال : فاستغفرت الله تعالى وتابت مما كانت قد دخلت فيه (٤)٠

(١) الشماخى : السير : ص ٩٦
(٢) المصدر السابق ـ ص ٩٢
(٣) الدرجينى : الطبقات الجزء (٢) ـ ص ٢٠٦
(٤) الحـارثى : العقود الفضية : ص ١٠٧

ولعل مرجع العلاقة الوثيقة التى ربطت بين الرجلين الى أمرين: أولهما: توافقهما فى الآراء ، وتفسير الأحداث ، وذهابهما مذهب ابن وهب فى تخطئة علي ومعاوية ـ دون تكفيرهما ـ واتفاقهما على وجوب الاعتدال فى الدعوة الى ما يذهبان اليه دون استحلال الأعراض والأموال ٠

أما الأمر الثانى : فيرجع الى فيض علم جابر وفقهه ، ورغبة ابن مرداس فى التزود مما عند جابر والأخذ عنه ، حتى ليروى أن أبا بلال كان يبكى فى جوف الليل حتى ما يطيق أن يقوم ، وأنه كان من شوقه الى اخوانه أن يخرج من عند أبى الشعثاء جابر بن زيد بعد العتمة ، ثم يأتيه قبل الصبح ، فيصلى معه ، فيقول له جابر : يا أخي أشققت على نفسك ٠ فيقول : والله ، ولقد طال ما هبت نفسى بلقاك شوقا اليك ، حتى آتيتك ٠

الى هذه الدرجة كانت صلة أبي بلال بجابر ٠٠ بل ان بعض الروايات لتؤكد أن جابرا كان وراء كل ما قام به أبو بلال من أعمال وأنه كان المشير عليه ، والموجه له ، حتى ليقال ان أبا بلال لم يقم بعمله الا بعد مشورة من جابر بن زيد وقبول منه (١)٠

ومن هنا كان من الطبيعى وقد احتل جابر فى الجماعة تلك المكانة أن يكون هو الزعيم لها ، والموجه لسياستها ٠٠ وان ظهر على المسرح زعماء آخرون ٠٠ فقد كانوا بمثابة الظل لذلك الأصل الشامخ الذى آثر العمل فى خفاء والتوجيه من وراء ستار ٠٠

**٢ ـ جابر بن زيد والدعوة الى مذهبه :**

**( أ ) دور جابـر :**

أقام جابر بن زيد بالبصرة ، وعرف فيها بالفقيه المحدث ، وكان أحد اثنين يلجأ اليهما البصريون بخاصة ـ والعراقيون بعامة ـ يطلبون منهم الرأى والفتوى فى أمور دينهم ٠٠ ولم يشتهر عنه أن له صلة ما بتلك الجماعة التى عرفت « بالقعدة » ثم « بالاباضية » ٠٠ وعرف الناس من أمر تلك الجماعة الكثير ، وعرفوا زعيمها هو أبو بلال ٠٠ فلما مات أبو بلال ، واشتدت السلطة الحاكمة على أفراد تلك الجماعة ، وولى أمرهم عمران بن حطان ، أقر جابر ـ وآثرت جماعته ـ أن يظل أمره مستورا ٠٠

(١) الرقيشى : مصباح الظلام ـ ورقة ١٩

ولعل مرجع ذلك ما رواه من عظم الخسارة فيما لو اشتهر أمر جابر وأخذوه بالشدة ٠٠ فان ذلك يفقد الجماعة عقلها المدبر ، وزعيمها الحقيقى ٠ وقد بالغ جابر فى التخفى ، حتى لقد قدم سواه للتحدث باسم الجماعة ومناظرة خصومهم ، وكان عبد الله بن اباض أحد أولئك الذين تحدثوا كثيرا باسمهم ، حتى لقد ظن أنه هو الزعيم الحقيقى للجماعة ، فنسبها الآخرون اليه ، وعرفوها بأنها جماعة الاباضية ٠٠ مع أن عبد الله ابن اباض لم يكن الا واحدا من أفرادها ، قدمه زعيمها ـ جابر بن زيد للتحدث عنهم ومناظرة خصومهم ٠

كان جابر بن زيد وثيق الصلة بالجماعة منذ وقت مبكر وأصبح زعيمها وامامها ، وكان له دور كبير فى تنظيم الحركة وتطويرها (١) وذلك بعد أن تحددت معالم دعوته ، واستقرت أسسها ، ولعل أهم تلك الأسس كان اقامة امامة الظهور ، وتعيين خليفة المسلمين من بين أتباعهم ٠٠ فقد أصبح ذلك هدفا يعملون لتحقيقه والوصول اليه ٠٠ وامامة الظهور تقوم على أساس أن يتم اختيار الامام من بين المسلمين ٠٠ ومن يكون أصلحهم ، ومن يجمع المسلمون على اختياره دون اشتراط أن يكون قرشيا أو غير قرشى ، اذ أن شرط القرشية لم يكن فى رأيهم من الشروط الأساسية التى يوجبها الدين ، وتحتمها أحكامه وقد ذكرنا من الادلة بما فيها الكفاية فى المبحث السابق ٠

تلك كانت هى الغاية التى تسعى اليها هذه الجماعة ـ بزعامة جابر بن زيد ـ : الوصول الى السلطة ، وتولى أمر المسلمين واقامة حكم الله فيهم بما يتفق مع الكتاب والسنة ، دون بغى أو عدوان ٠٠ واذا كانت دعوتهم قد اتسمت بالاعتدال ، وتجنب التطرف فلأنهم ـ حتى فى رأى خصومهم ـ كانوا أقرب الفرق الى أهل السنة ولو قالوا الى صاحب السنة لكان أصح ـ ولم يجوزوا العدوان على سائر أهل القبلة ، بل كانوا يرونهم اخوانا فى الدين ، ويجيزون التناكح معهم والتوارث بين أفرادهم ٠٠

ولعل ذلك هو ما دعا جابرا ان أن يرسم لطريق دعوته منهجا فيه الكثير من

(١) سوف نورد زيادة بيان لرأى الاباضية فى هذا الشرط وما يستندون اليه من أسانيد للقول بسقوطه وذلك عند حديثنا عن المذهب الاباضى فى الباب الثالث من هذه الدراسة ٠

الحذر والحيطة مع سعة الأفق ، وشمول النظرة ، والالتزام بما يقضى به الكتاب الكريم ، وصحيح السنة ٠

واذا كنا فيما يلى سنعرض لهذا المنهج ، فاننا سنكتفى فى هذا الموضع بالجانب العملى منه الذى اختطه جابر لنشر دعوته ، والتمكين لها ، وتوسيع نطاقها ، وزيادة عـدد الداخلين فيها مرجئـين البحث فى أصـول المـذهب الى موضـعه المقبل من هذه الدراسة ٠

**(ب) المنهج الذى اختطه جابر :**

ـ مضى جابر فى الطريق الـذى اختاره ـ أو اختارته لـه مواهبه وملكاته وأخلاقه ـ واشتهر أمره كواحد من مفتيين بالبصرة ٠٠ وقد اقتضى منه ذلك أن يوثق عرى ارتباطه بالمجتمع العراقى الذى يعيش فيه ، يشارك العراقيين فى حياتهم ـ بل وفى مشاكلهم ـ مندمجا فيهم عاملا معهم ، ومن الطبيعى أن يصبح ـ وقد اشتهر عنه العلم بالدين وأحكامه والفقه وأصوله والأحاديث وروايتها ـ فهو طلبة الدارسين ، وبغية المثقفين ، ومقصد المتفقهين ٠٠ حتى لقد كان ـ كما ذكرنا من قبل ـ يتولى أمر الفتوى والوعظ عندما يخرج الحسن البصرى لسبب أو لآخر مغادرا البصرة ٠

وان ذلك لدليل الى أى مدى كان جابر بن زيد موقنا بان مذهبه لا يوجب على اتباعه الخروج على المسلمين أو اعتزالهم ، بل يقوم على أساس أن جميع أهل القبلة لا تحل دمائهم ـ ولا أموالهم ـ الا ردا لبغى أو درءا لعدوان ٠

والى هذا المدى أيضا ما كان لجابر ـ وهو الرأس المدبر والعقل المنفذ أن يخفى أمره ، ويستره عـدا جماعتـه ٠٠ وانـه ليروى أن جابـرا كان ينشر أراءه ويبث أفكاره بين الناس من خلال أحاديثه وفتاويه وأجوبته على من يسأله عن بعض أمور الدين ٠٠ فمن استأنس منه ميلا وقبولا لآرائه ومبادئه دعاه الى مذهبه ـ ولا يتم ذلك الا فى سرية كاملة ، مستعملا أسلوب « التقية الدينية » (١) ـ وانه ليروى

(١) يراد بالتقية المداراة ، فمن كان على دين أو مذهب ثم لم يستطع أن يظهر دينه أو مذهبه ، فيتظاهر بغيره ، فذلك تقية ٠٠ وقد اختلف فقهاء المذاهب الاسلامية فى جوازها ٠

ان جابرا كان يأمر أصحابه ـ اذا ترك أحد أتباعه مذهبه ، وتخلى عن مبادئه دون أن يطعن فى أصحابه القدامى أو يفشى أسرارهم ٠٠ بأن يتبرأوا منه دون أن يتعرضوا له بأذى ويعتبروه واحدا من المخالفين الموحدين الذين لا تحل دمائهم الا اذا بدأوا هم بالعدوان ٠٠ ولكن اذا خرج على الفرقة أحد أتباعها وعاب عليهم ، وطعن فى معتقدهم ، وأفشى أسرارهم ، فقد وجب قتله ، وأحل دمه (١) ٠

ـ وكذلك كان مما أثر عن سياسة جابر فى هذه المرحلة من تاريخ المذهب تجنبه لكل اصطدام مع من بيدهم الأمر من عمال الدولة وولاتها ٠٠ اذ أنه لم يكتف بمهادنة أصحاب السلطة ومسايرتهم وعدم الخروج عليهم ، بل حرص على عدم الاتيان بأى تصرف أو مسلك قد يثير الغضب عليه ، فضلا عن أن يلفت أنظار السلطة اليه ٠٠ ولعل فى ذلك تفسيرا لما كان يروى من قيام علاقة حسنة بين جابر بن زيد وبين الحجاج بن يوسف الذى ولى أمر العراق من قبل الأمويين ٠٠ حتى ان جابرا كان يحرص على زيارة الحجاج والتودد اليه ، وقد كان لكاتب الحجاج ـ وهو يزيد ابن أبي مسلم ـ أثر كبير فى قيام ثم فى استمرار هذه العلاقة اذ كان من أصدقاء جابر المخلصين ٠٠ ولعل مناط هذه الصداقة كان ما عرف عن جابر من العلم والفقه مما يسر له الكثير من أمثال تلك الصداقات ، وقد بلغ من أمر علاقة جابر بالحجاج أن قرض هذا الأخر لجابر عطاء مقداره ستمائة أو سبعمائة درهم (٢) ٠٠ ولقد رغب الحجاج ـ كما أشرنا الى ذلك من قبل فى أن يولى جابرا أمر القضاء ، لكن جابرا اعتذر عن ذلك بقوله : انى أضعف من ذلك ٠٠ فلما سأله الحجاج : وما بلغ ضعفك ؟ قال : يقع بين المرأة وخادمها شر ، فما أحسن أن أصلح بينهما ٠٠ قال الحجاج « وان هذا لهو الضعف » ومن الجلى أن جابرا انما اعتذر عن هذا المنصب واحتال ليتخلص من توليه زيادة فى التقية ، وخشية معرفة الحجاج بأمره ٠

(١) الحارثى : العقود الفضية ـ ص ١٠١ ـ ١٠٢

(٢) المرجع المذكور ـ ص ١٠

**( ج ) اتساع نطاق الدعوة :**

وفى الحقيقة أن جابر بن زيد حرص ـ رغم اسلوب التقية الذى انتهجه على العمل على توسيع نطاق دعوته ، والتمكين لها ، وتكثير المنضمين اليها ، والمؤيدين لها بمختلف الوسائل ، مستفيدا من كل الظروف المحيطة ·· وتمثلت جهوده فى ذلك فى النواحى الآتية :ـ

ـ كان جابر من قبيلة الأزد ، وهى قبيلة كبيرة ، متشعبة وكان عدد كبير ممن ينتمون اليها يقيمون بالبصرة أو بالقرب منها مما دعا ذلك جابرا الى أن يلجأ الى أفراد قبيلته ينشر بينهم دعوته ، ويبين لهم مذهبه ، فهم الأقرب الى مؤازرته ومساندته واتباعه ، ومن الطبيعى أن تثمر هذه الدعوة وأن يتبع جابرا عدد كبير من الأزد ، وكان على رأسهم بعض أفراد الاسر المهلبية ـ زعيمة أزد العراق (١) وهكذا وجد جابر من هؤلاء دعاة لمذهبه ، وحماة مؤازرين له ، فاتسع نطاق الدعوة الى حيث تنتشر قبيلة الازد فى العراق وفى غير العراق ·· حيث أصبح لها اتباع وأنصار عديدون فى عمان ـ الموطن الأصلى للأزد ـ وفى حضرموت ، وفى اليمن ·· بل وقد انتقلت هذه الدعوة عن طريق الأزديين الى سواهم من أفراد القبائل العربية الاخرى ، كما انضم اليها عدد كبير من الموالى (٢) ··

ـ كما استحدث جابر بن زيد اسلوب الدعاة ·· فعمد الى ارسال بعض من يثق فيهم ، ويطمئن اليهم ، الى مختلف الأمصار ، يبثون الدعوة الى مذهبه ، وينشرون مبادئه ، فى هدوء ودعة ، حتى يكتسبوا المزيد من الاتباع والمناصرين ·· وقد كان له من أفراد قبيلته رهط كبير ممن قاموا بهذه المهمة خير قيام حتى لقد أقام أحد هؤلاء ـ وهو عبد الملك بن المهلب ـ لفترة طويلة فى خراسان . وظلت المراسلات طوال تلك الفترة متصلة مع جابر يكتب اليه بما يلقى وبما يستجد ، ويطلب اليه الرأى والتوجيه ، ويأتيه جواب جابر بالتأييد والنصيحة ·· وكان ذلك كله يتم فى

(١) د· عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ـ ص ٩٧
(٢) الشماخى : ص ٧٧ ـ ٨٣ ـ الحارثى : العقود الفضية : ١٣٩ ـ ١٤٨

سرية تامة وبأساليب لا تلفت أنظار الولاة الى هذا النشاط الكبير ٠٠

ـ بل ان دعوة جابر قد وصلت الى بعض الولاة الذين كانوا على رأس الأمصار من قبل بنى أمية ٠٠ فقد بايع هؤلاء جابر بن زيد فى دعوته ، واتصلوا به ، وعملوا على نشر الدعاية لمذهبهم ومنهم : النعمان ـ ويزيد بن يسار ٠٠ وكان هذا الأخير يقطن عمان ، وقد عين عاملا فى احدى مناطقها ، وكان يراسل جابرا ويدعو لمذهبه (١)٠

ولعل جابرا رأى فى ذلك تأييدا لمذهبه ، وتقوية لشأنه ، ووسيلة لزيادة الاتباع ، واشتداد الأمر ٠٠

وبمثل هذا التنظيم الدقيق ، والنشاط الواسع ، والسرية الكاملة ، أمكن لجابر أن يوسع من نطاق دعوته ، وأن يمتد بها الى العديد من الأمصار وأن يصبح لها الكثيرن من الاتباع والمؤيدين ٠

## ( د ) ثورة عمان :

واذا كانت كل تلك الجهود قد أدت الى نجاح الدعوة ، وكثرة أتباعها فقد كان من المحتم ألا يظل الأمر بعد ذلك خافيا ، وأن تظهر للعيان آثار تلك الدعوة ، وأن يعلم بها ولاة الأمر ـ بعد ازدياد أمرها ـ وقد كان ذلك هو ما حدث بالفعل ، ووصل الى علم الحجاج بن يوسف مما دعاه الى أن يغير نظرته الى جابر بن زيد ، بعد أن ارتاب فى شأنه ٠٠

وكان مما زاد الأمر حدة قيام ثورة على بنى أمية فى أرض عمان ٠٠ قام بها سليمان وسعيد أبناء عباد بن الجلندى ـ وهما القيمان فى عمان ـ حتى لقد اضطر الحجاج الى ارسال الجيوش ، والدخول فى معارك متتالية حتى أمكن له ـ بعد جهد طويل وخسائر فادحة ـ أن يحد مما عمد اليه أزد عمان من الخروج عن دولة بنى أميه ٠٠

(١) فى رسائل جابر التى أشرنا اليها فى الباب الأول بعض اشارات الى ذلك ٠

وفى الحقيقة أن ما حدث فى عمان يمكن وصفه بأنه « حركة استقلال » ولعل ذلك يتضح بجلاء من استعراضنا للوقائع (١) ٠

ـ فقد كان دعاة مذهب جابر ـ وبصفة خاصة رؤساء الأزد وشيوخها ـ قد نقلوا المذهب الى عمان ، حيث انتشر ، ووجد أنصارا ودعاة عديدين ، وكان أمر عمان قد صار الى أهلها بعد افتراق الصحابة ، ولم يكن لمعاوية ولا لمن بعده سلطان فى عمان حتى صار الملك الى عبد الملك بن مروان واستعمل الحجاج على أرض العراق ٠٠ فلم يغب أمر عمان عن الحجاج اذ أعد للأمر عدته ليضمن ولاء عمان ـ بل خضوعها ـ للدولة ٠٠ ولعله وقد علم بأمر المذهب الجديد بها رأى أن الوقت قد حان لتنفيذ خطته ٠٠ وقد عمد فى أول الأمر الى ارسال بعض الجند يغزون عمان من أطرافها ، فما كان من ابنى عباد ـ وكان لهما أمر عمان كما أوضحنا ـ الا أن هزما تلك الجيوش ، ودفع ذلك الحجاج الى أن أخرج لهم القاسم بن شعوة المزنى فى جمع كثير ، وجيش جرار ، وانتهى القاسم الى عمان بجيشه فى سفن كثيرة وقد سار اليها سليمان بن عباد فى الأزد فاقتتلوا قتالا شديدا فكانت الهزيمة على أصحاب الحجاج ، وقتل القاسم وكثير من أصحابه وقواده ، واستولى سليمان على سوادهم ٠٠

فلما علم الحجاج بما حدث كتب به الى عبد الملك بن مروان واستأذنه فيما يفعل ٠٠ وكان أول ما فعله أن أقعد وجوه الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصرة لسليمان بن عباد ٠٠ ثم أرسل بعد ذلك جيشا عدته أربعون ألفا وعلى رأسه مجاعة ابن شعوة أخو القاسم ٠٠ وقد خرج من جانب البحر عشرون ألفا ، ومن جانب البر عشرون ألفا ٠٠ فانتهى القوم الذين خرجوا من البر ، فسار سليمان بسائر فرسان الأزد اليهم ٠٠ فالتقى بهم ، وقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم أصحاب الحجاج ، وأمعن سليمان فى طلبهم ، وهو لا يعلم شيئا عن أمر عساكر البحر ٠٠ وقد قدم هؤلاء وعلى رأسهم مجاعة ، فنزلوا وواصلوا سيرهم حتى التقوا بسعيد بن عباد وتقاتل الفريقان ، ولكن جيش سعيد كان قليل العدد وقليل العتاد فلم يجد سعيد بدا من أن يعمد الى ذراريه وأخيه ، واعتزل بهم الى الجبل الأخضر ، ولحقه القوم ، ولم يزالوا محاصرين حتى وافى سليمان ووقعت بين الجيشين مقتلة عظيمة ، فانهزم

(١) راجع فى التفاصيل السالمى : تحفة الأعيان ـ الجزء الاول (ط ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ ص ٧٤ وما بعدها

مجاعة ولحق بسفنه فركبها ، وكتب الى الحجاج فأخرج له فى طريق البر عبد الرحمن ابن سليمان فى جند كثيف من أهل الشام ٠٠ وأمكن لمجاعة أن يدخل وعبد الرحمن بالعسكر الى عمان ٠٠ وقد تمكن سليمان وسعيد أن يحملا ذراريهما وسوادهما ومن خرج معلما من قومهما ولحقا ببلد من بلاد الزنج حتى ماتا هناك ٠٠ ويروى أن الجيش الظافر على أثر دخوله عمان ارتكب العديد من الموبقات ونهب الكثير وفعل فيها غير الجميل » (١) ٠٠

وبذلك خمدت هذه الحركة التى كانت قد قويت فى عمان ، وأمكن للحجاج أن يقضى عليها ، وقد استعمل على عمان من بعد الخيار بن سبرة المجاشعى (٢) ٠

**( هـ ) بين جابر بن زيد والحجاج بن يوسف :**

وهكذا نرى أن دعوة جابر وقد اكتسبت لها أنصارا وقوة فى عمان لم تغب عن أعين الحجاج ، حتى لقد أبلغ الأمر الى عبد الملك بن مروان وبادر الى وأد هذه الثورة – أو الحركة الاستقلالية – فى مهدها ٠٠ كما تنبه الى قوة الأزد فى العراق ، فحال بينهم وبين نصرة عشيرتهم فى عمان ، بل وحذرهم من أى اتصال مع اخوانهم فى عمان ٠٠ وكان من الطبيعى أن يتأثر الأزد فى العراق بذلك كله ، وأن يزداد ضيقهم بعد أن وصلهم ما فعله جيش مجاعة بأهلهم فى عمان من اذلال ونهب واساءة ، وقد دفعهم ذلك الىأن يعلنوا غضبهم على الحجاج وأن يعتبروه هو المسؤول عن كل ما حدث سواء لاهليهم فى عمان أو لقبيلتهم فى العراق « فسخطوا عليه ، وتمنوا زوال حكمه » (٣) ٠٠ ولم يتوقف جابر طوال ذلك عن دعوته ، وبث الكراهية للحجاج بين الأزد ، حتى تمكن من اقناع كثيرين من الأزد وعلى رأسهم أفراد من آل المهلب – من الرجال والنساء الى الانضمام اليه واتباع دعوته (٤) ٠

وعند هذا الحد لم يتردد الحجاج من أن يأخذ جابر بن زيد نفسه ، بالشدة ، ولا يكتفى بمجرد التضييق عليه ، بل اودعه السجن هو وبعض أصحابه ومنهم :

(١) تحفة الأعيان – ص ٧٦

(٢) المصدر سالف الذكر – ص ٧٧

(٣) بلاذرى : الانساب ج (٧) – ص ٣١٨

(٤) الشماخى : السير ٩ ص ٧٥ – الحارثى : العقود الفضية – ص ١٠٤

ضمام بن السائب ، وأبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى وصحار العبدى وغيرهم (١) ٠

وهكذا أدخل جابر بن زيد وصحبه الى سجن الحجاج ، وبذلك بلغ الحجاج أقصى ما يمكن أن يبلغه من العداء لجابر بصفة خاصة ولقبيلة الأزد بصفة عامة ٠٠

ومع ذلك فما لبث الحجاج أن أطلق سراح جابر بن زيد وصحبه من السجن ٠٠ ولا يمكن تحديد سبب هذا الافراج الا باستقراء الحوادث ، ولعل ذلك يرجع ـ فيما نرى ـ الى سببين ظاهرين :

ـ فهو يرجع أولا الى مكانة قبيلة الأزد ومالها من قوة وعصبية ولم يجد الحجاج مما يخدم سياسته أن يظل على عدائه لتلك القبيلة وكان من الطبيعى أن يقدر أن اطلاق سراح جابر ـ بعد سجنه ـ يخفف من توتر علاقات الحجاج بتلك القبيلة ٠

ـ والسبب الثانى فيما نرى هو تلك المكانة التى كان يحتلها جابر فى العراق كواحد من كبار الفقهاء والعلماء والمحدثين ، لان سجن من هو فى مقامه يثير الكثيرين ، ويدعو الى كراهية الحاكم ٠٠ ولعله اذ يفرج عنه يبدو فى نظر المسلمين فى صورة من يقدر أهل العلم ، ويحترم الفقهاء فتخف حدة سخط العامة عليه وضيقهم بقسوته ٠ وأيا ما كان الداعى الى اطلاق سراحه هو وبعض أصحابه فان الحجاج لم يأذن لجابر بالاقامة فى البصرة ٠٠ بل نفاه الى عمان ٠٠

وقد أتاح له ذلك النفى أن يعود الى وطنه ـ وأهله وعشيرته ـ وكانت تلك فرصة لجابر لأن ينشر دعوته ـ وهو بين ذويه ـ وأن يجمعهم اليه ، فيصيروا تابعين له ، مناصرين لدعوته حتى لقد انتشر فى كل أرجاء عمان ووجد من العمانيين من صاروا فيما بعد حملة العلم الى الأمصار ٠

ومن الثابت أن جابر بن زيد قد عاد بعد فترة من منفاه الى البصرة ٠٠ غير أن حياته بعد ذلك لم تظل اذ كانت وفاته ـ كما هو الراجح ـ فى عام ٩٣ هـ

(١) الشماخى : السير : ص ٧٦ وما بعدها ٠

ومع ذلك فيمكن أن نقرر أن جابرا كان قد حقق فى تلك الفترة من حياته الكثير :

ـ أرسى مذهبه ، وبين أسسه وأصوله ·

ـ اكتسب له الأنصار والمؤيدين ·

ـ رسم أسلوب الدعوة للمذهب ·

ـ أصبحت الدعوة الى امامة الظهور هى الهدف الذى ينبغى الوصول اليه ،

على أن الصورة لا تكتمل ملامحها مالم نعرض لعلاقة جابر بعبد الله بن أباض

**٣ ـ بين جابر بن زيد وعبد الله بن أباض :**

كان جابر بن زيد ـ كما تبين بجلاء مما سلف ـ هو زعيم الدعوة الاباضية لمكانته فى الناحيتين الفقهية والتنظيمية ·· وكان له الفضل الأكبر فى تثبيت دعائمها ، وتوسعة نطاقها ، وتكثير أنصارها وأتباعها ·· ومع ذلك فقد نسبت الدعوة الى عبد الله بن اباض ·· فلماذا حدث ذلك ؟ ومن يكون عبد الله بن اباض ؟ وما هو دوره فى الدعوة الاباضية ؟ وما هى صلته بجابر بن زيد ؟

تلك هى الأسئلة التى تثيرها هذه النقطة وهى التى نحاول فيما يلي أن نجيب عليها :ـ

**( أ ) لماذا نسبت الدعوة الى ابن اباض :**

تشير معظم المراجع الى أن « الاباضية » انما سميت بهذا الاسم نسبة الى عبد الله بن اباض الذى ينتمى الى قبيلة تميم ، وعاش بالبصرة معظم حياته ·· وكان معاصرا ـ حسب أرجح الأقوال ـ لجابر بن زيد وان كان أصغر منه عمرا (١) ·

وهناك حقيقتان مؤكدتان فى هذا الشأن :

أولهما : أن هذه الجماعة لم تطلق على نفسها اسم « الاباضية » بل كانوا يسمون أنفسهم « أهل الدعوة » أو « جماعة المسلمين » ·

الثانية : أن تسمية الاباضية انما اطلقها على هذه الجماعة مخالفوهم فى فترات تالية ·· وربما كان الأمويون ـ كما يرى البعض ـ هم الذين أطلقوا عليهم هذا

(١) ابن قتيبة : المعارف ـ ص ٦٢٢ ـ الكامل للمبرد : ج (٢) ص ٢٧٥

الاسم ، نسبة الى عبد الله بن اباض لأن الأخير كان من علمائهم وشجعانهم والمناظر باسمهم ، كما أن الأمويين لا يريدون نسبة هذه الفرقة الى جابر حتى لا يجذبوا اليه الأنظار ، ولا يبدوا فى حياة جابر المشرقة ، فتميل اليهم النفوس ، فنسبوهم الى عبد الله بن اباض وهو أقل منزلة من جابر فى العلم ، وان كان لا يقل عنه فى التقوى والورع والصلاح (١) .

وفضلا عما تقدم فان المصادر الاباضية الاولى ، لم تشر الى هذا الاسم اطلاقا ، بل كانت تصفهم بأنهم المسلمون أو جماعة المسلمين أو أهل الدعوة (٢) .

وهناك تعليل لهذه النسبة أورده الدرجيني ، اذ عرف عبد الله بن اباض بأنه امام أهل الطريق ، وجامع الكلمة لما وقع التفريق ، فهو العمدة فى الاعتقادات ، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات ، والمؤسس للابنية وهى مستندات الاسلاف .. وكان رأس العقد ورئيس من فى البصرة وغيرها من الأمصار ، والمتقدم فى حلبة الفضل بين أولئك الأخيار قعد عن اللحاق فاشتراه من غير انكار ، وقلى ما اعتقده ابن الأزرق فى المحمدية ، وعدل عن طريق النجدية وسلك محجة العدل ، وكان قدوة لأهل الفضل ، فاليه النسبة اليوم فى العقائد ، معدولا بها عن اسم الوليد الى اسم الوالد ، طلبا للتخفيف ، واختصاص الأشهر ، وذلك فى الحق معروف لا ينكر (٣) ..

والرأى عندنا ، هو أن هناك جملة أسباب لهذه التسمية ولعل من أهمها ما يلى :ــ

ــ ان اطلاق الاسماء لا يأتى عادة الا فى وقت لاحق على نشوء الدعوة ، وأن لا يكون الا بعد ظهورها ، واشتهار أمرها .

ــ ان أغلب المذاهب ــ وبصفة خاصة جماعات الخوارج ــ انما نسبت الى من عرفهم الناس كزعماء لها .. كالنجدات والصفرية والازارقة .. اذ هى منسوبة الى من ذكرنا من قبل زعماء الخوارج .

ــ ان جماعة الاباضية كانت حريصة على التخفى والتستر ، ولم تبد كجماعة

(١) محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ــ ج (٢) ــ ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩

(٢) د. عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ــ ص ٨١

(٣) الدرجينى : طبقات المشايخ الجزء (٢) ــ ص ٢١٤

خارجة ·· وكان أول ظهور لها عندما راح عبد الله بن اباض يتحدث باسمها ، ويبعث برسائل الى الأمير الأموى عبد الملك بن مروان ـ كما سنذكر فيما بعد فكان من الطبيعى أن تنسب هذه الجماعة الى من ابدأ للخليفة نفسه على أنه صاحب الرأى والكلمة ··

ـ ومما أكد هذه التسمية قبول زعماء الجماعة لها ، وعدم انكارهم اياها لما كان يتمتع به ابن اباض من مكانة وما كان يتصف به من تقوى وصلاح ·· وبذلك ارتضوها فصارت اسما للجماعة وعلما عليها بعد ما كان لكل طائفة لقب معروف ·

ـ وفى ذلك يقول العلامة الاباضي نور الدين السالمي فى منظومته : كشف الحقيقة (١) :

فما الأباضيون الا علما ... لخلفاء الحق منا فاعلما
ان المخالفين قد سمونا ... بذاك غير أننا رضينا
وأصله ان فتى اباض ... كان محاميا لنا وماضى
مدافعا أعدائنا بالحجة ... وحاميا اخواننا بالشوكة
قد كان فى المنعة من عشيرته ... ولا يطاق بأسه لسطوته
فأظهر الحق على رغم العدا ... والكل من أعدائه قد شهدا
قد كان فى أيام عبد الملك ... مع شدة الأمر وضيق المسلك
ناقشه وبين الصوابا ... ولم يكن لبأسه قد هابا
وكان لا يدعوه الا باسمه ... تعززا بحقه وعلمه
فصار معروفا مع الجميع ... لما حوى من شرف رفيع
ونسبوا من كان فى طريقته ... اليه لاشتهار حسن سيرته
ونحن الاولون لم يشرع لنا ... نجل اباض مذهبا يحملنا
فنحن فى الأصل وفى الفروع ... على طريق السلف الرفيع
فنأخذ الحق متى نراه ... لو كان مبغض لنا أتاه

ـ وفى ثنايا هذه الأبيات اشارة الى سبب آخر يضاف الى ما أوردناه من أسباب ·· فعبد الله بن اباض ينتمى الى قبيلة تميم (٢) ·· وقد كانت واحدة من

(١) منظومتى أنوار العقول وكشف الحقيقة للعلامة نور الدين السالمى ·
(٢) الحارثى : العقود الفضية ص ١٢١

أهم قبائل البصرة وكان الولاة يحرصون على عدم اثارتها ، أو الاساءة اليها لمكانتها ومنعتها ٠٠ ومن هنا كان فى نسبة الجماعة اليه اعلاء لمكانتها ٠

**(ب) دور ابن اباض فى الدعوة :**

وعبد الله بن اباض ـ كما أشار العلامة السلامى فى منظومته ٠٠ لم يكن هو منشىء المذهب ، ولا فقيهه ٠٠ وانما كان ذلك هو دور جابر بن زيد ٠٠ بل ان المصادر التاريخية لم تحرص كثيرا على تناول حياة ابن اباض بالتفصيل المناسب ، على أن استقراء الحوادث يدل على أن ابن اباض كان فى مطلع شبابه على زمن معاوية ابن أبي سفيان ، فقد ذكر فى رسالته التى وجهها الى عبد الملك بن مروان عن معاوية قوله « فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا عن صنعته ، غيرْ أنا قد أدركناه ، ورأينا عمله وسيرته فى الناس ولا نعلم أحدا أترك للقسمة التى قسم الله ، ولا لحكم حكمه الله ولا أسفك لدم حرام منه (١) ٠٠ ـ ودلالة هذه الفقرة أن ابن اباض قد أدرك معاوية وأنكر عليه أشياء مما يفهم منه أنه كان فى السن التى تسمح له بتقييم الأمور ٠٠ وقد عاش حتى أدرك عبد الملك بن مروان ، وراسله ، وكانت بينهما الرسالة التى أشرنا اليها ـ وربما سواها مما ضاع مع الأيام ٠

وقد وردت اشارة الى دور ابن اباض فى الدفاع عن الكعبة ٠٠ عندما انضم ـ كما فعل عدد آخر من المحكمة ـ الى جيش ابن الزبير ضد الجيش الأموى بقيادة الحصين بن النمير ـ كما أشرنا الى ذلك من قبل ـ وقد كان دافع هؤلاء الى الاشتراك فى تلك الحرب هو الرغبة فى الدفاع عن البيت الحرام وحماية حرمته ضد العسف الأموى ٠٠ وقد كان لهؤلاء بعد ذلك موقف مع ابن الزبير اذ حاولوا أن يناقشوه فى مبادئه وأن يبينوا له خطأ رأيه وأن يحملوه على تغيير موقفه ٠٠ فلما تعذر الاتفاق بينهم ـ أى بين المحكمة ـ وبين ابن الزبير غادروه عائدين الى البصرة ٠٠ وكان من بين هؤلاء المحكمة نجدة بن عامر الحنفى الذى اتجه على رأس جماعة من أصحابه الى اليمامة حيث بايعه أصحابه فيما بعد اماما لهم ، وسموا لذلك بالنجدات ، ومضوا فى تطرفهم وخروجهم على نحو خالفوا فيه المحكمة الذين آثروا القعود

(١) الحارثى : العقود الفضية ـ ص ١٣٣

فى البصـــرة (١) ٠

وكان من هؤلاء القعدة عبد الله بن اباض وابن الصفار وابن الأزرق ، وبعد أن استقر بهم المقام فى البصرة راحوا يتناقشون فيما يمضون اليه من أمر بعد ذلك ، وقد اتفقوا على الخروج ٠٠ ومع ذلك تروى المصادر أنه « لما جن الليل ، سمع عبد الله دوى القراء ، ورنين المؤذنين ، وحنين المسبحين ٠٠ فقال لأصحابه : أعن هؤلاء أخرج معهم ؟ فرجع ، وكتم أمره ، واختفى مؤثرا البقاء وعدم مفارقة الجماعة » (٢) ٠

وعلى ذلك فلم يكن عبد الله بن اباض ممن خرجوا ، بل كان على رأس القعدة الذين آثروا الاعتدال ، وعدم مفارقة الجماعة ، والذين لـم يستحلوا ما اسـتحله الأزارقة من استحلال دماء المسلمين وأموالهم واستعراضهم ووصفهم بالكفر ، وعدم جواز مناكحتهم وموارثتهم ٠٠ لم يستحل ابن اباض شيئا من ذلك بل كان على رأس من آثروا القعود ايمانا منهم بأن المسلمين ـ أهل قبلة ـ وان اختلفت مذاهبهم فدماؤهم حرام ، وأموالهم حرام ، ولا يجوز التعدى عليهم الا ردا لعدوان أو دفعا لخطر ٠٠ وقد سبق أن أشرنا الى رسالة ابن الأزرق ـ بعد خروجه ـ التى بعث بها الى ابن اباض والتى تلقاها هو وعبد الله بن صفار يدعوهما الى اللحاق بالأزارقة والخـــروج معهما ٠٠ وقد استجاب لها ابن صفار ، ومضى وبضعة ممن يرون رأيه ٠ أما ابن اباض فقد قال : قاتله الله ٠٠ أى رأى رأى صدق نافع ابن الأزرق ٠٠ لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به ٠٠ ولكنه كذب ، وكذبنا فيمـا يقول ان القوم كفار بالنعم والأحكام ، وهم براء من الشرك ، ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام (٣) والدماء لا تحل لنا الا ان بدأونا بالعدوان ٠

على أنه منذ أن كانت رسالة عبد الله بن اباض الى ابن الأزرق وما آثره من القعود من جماعة المسلمين ٠٠ فان النشاط العلنى لابن اباض وغيره أصبح غـير معروف ، لما كان تؤثره القعدة من التخفى والستر ٠٠ وان كان الشاعر عمران بن

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ١٧ ـ ص ١٤

(٢) الحارثى : العقود الفضية ص ١٢٢ وذلك نقلا عن البرادى ٠

(٣) الطبرى : المصدر المذكور : ج (٧) ـ ٥٨

حطان قد برز من بعد كمتحدث باسم هذه الجماعة ، ومدافع عنها ، فان الأمر لم يأخذ صورة الخروج على السلطة القائمة أو التحدى لها ٠٠ بل استمرت الجماعة على اعتدالها ، وميلها الى الهدوء ، وانصرف زعمائها ـ وعلى رأسهم جابر بن زيد الى تنفيذ أسس المذهب وتأصيله ملتمسين الهدى من كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام ٠

واذا كانت لابن اباض فى هذه الفترة بعض الآراء أو الأقوال فقد كان يصدر فى كل أفعاله وأقواله عن جابر بن زيد (١) ٠

وقد بدأ دور ابن اباض يبرز بالتدريج ـ وبصفة خاصة بعد سـجن عمران ابن حطان ثم ما أعقب اطلاقه من تركه للبصرة ـ وكان من الواضح أن ابن اباض قد أصبح هو المسئول عن الدعوة والدعاة حتى سموه رئيس القعدة ٠٠ ولعل مرجع هذه الشهرة عنه هو ما عرف عن جابر بن زيد من رغبته فى التخفى وعدم اعلان صلته بهذه الجماعة أو سواها ٠٠ فاكتفى جابر بأن يكون « الزعيم » الروحى وفقيه الاباضية ومفتيهم ، فهو الذى بلور الفكر الاباضى بحيث أصبح متميزا عن غيره من المذاهب الاسلامية (٢) ثم ترك لسواه المهام التنفيذية والعملية ٠

**( ج ) صلة ابن اباض بجابر بن زيد :**

قدمنا أن جابرا كان ذا علاقة وثيقة بحركة ( القعدة ) منذ وقت مبكر وأصبح أحد مفكريها البارزين ، وقد اكتسب ثقة الجماعة لما يتميز به من سعة الأفق وغزارة العلم وقوة الارادة وان كانوا أخفوا صلته بالجماعة ، وقدموا سواه الا أنهم ما كانوا يعملون الا وفق رأيه ومشورته ، وكان هو الزعيم الحقيقى للجماعة ٠٠

وفى ذلك يقول الرقيشي : « فقد بلغنا أن أبا بلال مرداس بن حدير وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون الا بأمر امامهم فى دينهم جابر بن زيد العماني ومشورته ، ويحبون ستره عن الحرب لئلا تموت دعوتهم ، وليكون ردءا لهم (١) » ٠٠

كما يقول الشماخى : « كان ابن اباض المجاهد علنا ، المناضل علنا فى سبيل

(١) الشماخى : السير ـ ص ٢٧٧

(٢) د٠ عوض خليفات ـ نشأة الحركة الاباضية ـ ص ٨٠

(٣) الرقيشى : مصباح الظلام ـ ورقة ٢٠

تحقيق الحقائق ، وتوضيح قضايا المعقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع من الزور والافتراء فى شريعة ربنا ، وكان شـديدا فى الله تعالى ، وله مناظـرات مع أهـل التنطس والتفلسف ٠٠ كان الحجة الدامغة التى يخنس أمامها كل ثرثار ، وله كلام مع عبد الله بن مروان يهضم نفس كل حائر جبار ، تغلب على المسلمين ـ أصحابه ـ الذين يقولون بقوله : الاباضية ، وتسمى المذهب باسمه على هذا المعنى ، وانما كان الامام القائد والوسيلة الراشد ، أس المذهب وحاميـه ، ومرجع الفضـل فى تدوينه وتشييد مبانيه ، هو جابر بن زيد رضى الله عنه (١) ٠

على أنه من الواضح أن الدعوة وان سارت مسارها ذاك السير المعتدل وقد آثر دعاتها التخفى والتستر ، الا أنه حدث بعد فترة انقدموا ابن اباض ليدافع عنهم ويتحدث باسمهم ٠٠ بل وحدث ذلك على نحو لافت للنظر اذ كان الخليفة عبد الملك بن مروان نفسه طرفا فى ذلك كله ، وكانت رسالة ابن اباض اليه تتحدث عن المذهب فى تفصيل ووضوح تامين ٠٠

ولعل مرجع ذلك هو ما رأت الجماعة أن تدفعه عن نفسها من تهم هى بريئة منها ، بل هى تنكرها على سواها من الخارجين ، فقد كان بعض المحكمة الذين مالوا الى التطرف ، وخرجوا على السلطة على صلة بالجماعة فى فترة من الفترات ٠٠ ولعل هذه الصلة السابقة ، وقد تقطعت أوصالها ، على أثر ما حدث من اختلاف فى المنهج وتباين فى الاسلوب بين القعدة ( الاباضية ) من ناحية ، وبين الخوارج من الصفرية والأزارقة من ناحية أخرى ٠٠ ولعل فى هذا الاختلاف ما دفع الاباضية الى اعلان معتقداتهم حتى يتبين للجميع الأمر على حقيقته ، ويتضح ، لهم الى أى مدى هم معتدلون وقد برءوا من ( الخوارج ) وتطرفهم ٠٠

والحـق أن الآراء التى استقرت كأسـاس للفقـه الاباضى ـ والتى بلورتها رسالة ابن اباض للخليفة ـ تدعو الى تفضيل الجهر بها والدعوة اليها ، لما تتصف به من الارتباط بصحيح الفهم لمبادىء الاسلام وأسسه المتينة المنبثقة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأ جماع الأمة ٠

(١) المؤرخ علي يحى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ ح (١) ص ١٥٠ ـ ١٥١

ولعل اختيار ابن اباض ليكون هو المتحدث باسمهم كان من بين أسبابه انتماؤه الى قبيلة تميم احدى أهم قبائل البصرة فى ذلك الوقت ، وبالتالى فهو كان يتمتع بحماية قبيلته ويكتسب قوة من قوتها ..

وقد كانت الرسالة التى أشرنا اليها والموجهة الى الخليفة عبد الملك ابن مروان تحمل خلاصة المذهب وتفسير الجماعة لكل ما مر بالمسلمين من احداث وما تراه من آراء ..

ومن الطبيعى أن تكون هذه الرسالة ـ وقد حملت خلاصة المذهب وجملة آرائه ـ من عمل كل فقهائه وعلى رأسهم جابر بن زيد .. وان ذيلت باسم عبد الله ابن اباض فما كان ذلك الا لما أشرنا اليه من أسباب ..

هذا ، وسوف نعرض مقتطفات لهذه الرسالة بما هى جديرة به من دراسة وتأصيل فى « الباب الثالث من هذه الرسالة بأذنه تعالى ..

# الفصل الثالث

## أتباع جابر بن زيد

## وانتشار المذهب الاباضي

**تمهيد :**

نجح جابر بن زيد فى برهنة أسس المذهب ، وبيانها بوضوح واقامته على دعائم قوية ، وبث الدعوة له ليس فى البصرة وحدها ، وانما فيها ، وفى غيرها من الأمصار فكان للمذهب بذلك أنصار فى مختلف أقطار العالم الاسلامى : فى الحجاز ، وعمان ، واليمن ، وفى مصر وفى بلاد المغرب العربى .

هكذا لم يودع جابر دنياه الا وقد أصبح للمذهب الاباضى شأنه ، ودعاته وأنصاره .

ويطول بنا المقام فيما لو مضينا نتقصى أمر هؤلاء الدعاة الذين نشروا المذهب الاباضى فى مختلف بقاع الأمة الاسلامية ، ولذلك فاننا نقتصر فى هذا المقام على الحديث عن جهود علم من هؤلاء الأعلام الذين عاصروا الامام جابرا وكان لهم الفضل

الاكبر فى دعم الدعوة الاباضية ونشرها وهو أبو عبيدة مسلم بن كريمة التميمى ، لنخلص من ذلك الى عرض مختصر لمدى انتشار تلك الدعوة فى الجزيرة العربية وعمان من ناحية ، ثم فى شمال أفريقية من ناحية أخرى ٠

**منهـــاج :**

وعلى ذلك فسوف ينقسم هذا الفصل الى مباحث أربعة هى :ـ

ـ المبحث الأول : دور أبي عبيدة مسلم بن أبى كريمة فى نشر المذهب الاباضى ٠

ـ المبحث الثاني : انتشار المذهب الاباضى فى الجزيرة العربية وانتصاره ٠

ـ المبحث الثالث : انتشار المذهب الاباضى فى عمـــان ٠

ـ المذهب الرابع : انتشار المذهب الاباضى فى شمال أفريقيا ٠

وبذلك نكون قد أوضحنا الى أى مدى أثمرت دعوة جابر بن زيد وانتشر فقهه وكثر أتباع مذهبه ، كما نكون قد مهدنا فى ذات الوقت لعرض أسس المذهب الاباضى والمسائل التى يختلف فيها عن سواه من المذاهب الاسلامية الاخرى ٠

# المبحـث الأول

## دور الامام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي فى نشر المذهب الاباضي

**تمهيـــد :**

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة هو مولى بنى تميم (١) ٠٠ عاش فى البصرة وأخذ العلم عن جابر بن زيد وصحار العبدى وجعفر بن السماك وضمام ابن السائب العبدى ، وهم أشهر علماء الاباضية فى مرحلة الكتمان (٢) ٠٠

وقد اشتهر بالتقوى والورع والزهد ـ قال أبو سفيان محبوب بن الرحيل : شهد رجلان على شهادة أبي عبيدة عند قاضى البصرة ـ قال ، فقال المشهود عليه : أصلحك

(١) الحارثى : العقود الفضية ـ ص ١٣٩

(٢) الشماخى : السير : صفحات ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣

الله ان اللذين شهدا عندك على شهادة فلان ـ قال : ويحك انى به عارف ، ولو جاز لى أن أحكم برجل واحد لحكمت بشهادته (١)

وقد ذكر الشماخى عنه انه اشتهر ( القفاف ) توفى فى ولاية أبى جعفر المنصور بعد وفاة حاجب تعلم العلوم وعلمها ، ورتب روايات الحديث وأحكمها ، وقد ثبت وجوده عام ثمانية وخمسين للهجرة ، وموته فى خلافة أبي جعفر المنصور سنة خمس وثلاثين ومائة ، وروى أنه أدرك من أدركه جابر من الصحابة ، ولعله أدرك بعضا منهم ·· وقد روى عنه قوله : من لم يكن له استاذ من الصحابة فليس هو على شيء من الدين (٢) ، وقد من الله علينا بعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن سلام ، وهم الراسخون فى العلم ، وعلى آثارهم اقتفينا ، وبقولهم اقتدينا ، وعلى سيرتهم اعتمدنا ، وعلى مناهجهم سلكنا ·

**أبو عبيدة وتنظيم الدعوة :**

وهكذا نرى أن أبا عبيدة كان على قدر كبير من العلم ، وأنه يعتبر أحد علماء الاباضية البارزين ، وفقهائها الأعلام·

غير أن دوره فى نشر المذهب ، والدعوة له لم يقف ـ فى الحقيقة عند ذلك الحد ـ فقد كان لأبى عبيدة جهد كبير فى تنظيم أمر الدعوة والدعاة ، وكان له أكبر الفضل فى انتشار هذا المذهب فى مختلف الأمصار ، حتى تسنى له آخر الأمر أن ينتقل من مرحلة الدعوة السرية التى تتم طي الكتمان الى الدعوة الى امامة الظهور ، بل واقامة هذه الامامة بالفعل ·

وكانت وسيلة أبي عبيدة الى ذلك أولئك الدعاة الذين دربهم فأحسن تدريبهم ، وأعد منهم رسله الى مختلف الأمصار ، ليبثوا الدعوة ، وينشروها ، وقد عرف هؤلاء بحملة العلم ·· أى الذين يحملون أسس المذهب عن دعاته الكبار وفقهائه المبرزين ، لنشره فى مختلف البقاع وقد اتجه دعاته من البصرة الى حضرموت واليمن وعمان والحجاز ومصر وبلاد المغرب (٣)

(١) الدرجينى : الطبقات سالف الذكر ـ ص ٢٣٩

(٢) يقصد من كان فى وقت الصحابة رضوان الله عليهم·

(٣) الشماخى : سير ـ ص ٨٣ بتصرف ·

**مجـال الدعـوة :**

وقد استحدث أبو عبيدة لتنظيم أمر الدعوة أساليب عديدة ٠٠ لعل من أهمها المجالس التى كانت تنعقد ، وتضم كبار علماء المذهب وفقهائه ، ودعاته ، وأنصاره ، للتشاور فى أمورهم ، ومتابعة كل ما يجد من أحداث ٠٠ وكانت هذه المجالس على أنواع يضم كل منها فئة أو فئات من القادة والاتباع ٠٠

ـ فكان منها المجالس التى تضم كل من دخلوا المذهب وشايعوه ، ومع ذلك فقد كانت تلك المجالس تعقد سرا وفى أحد بيوت المشايخ ـ بل فى سراديب أعدت لذلك ـ وفى هذه المجالس كان يجرى شرح أصول المذهب ، ودراسة أمور الدين ، وتلقى دروس فى الفقه ٠٠ ورغم ذلك فقد كان حرصهم شديدا على اخفاء أمر تلك المجالس والتخوف من أن يعرف سواهم أمرها ومكانها حتى ليروى عن أبى سفيان ما معناه : ( كانوا يأتون المجالس ويغيرون ملابسهم العادية ويحملون قرب الماء والمتاع ليظهروا أمام الناس وكأنهم فقراء وبياعون (١) ٠

ـ وكان منها أيضا مجالس المشايخ ، وهذه يقتصر حضورها على كبار أئمة المذهب وحدهم ٠٠ وكان اجتمـاعهم لاعداد ووضـع ما يمكن أن يسـمى بالخطـط والسياسات العامة لنشر المذهب ، ولمتابعة جهود حملة العلم فى الأمصار ، ومواجهة كل ما قد يجد من مشاكل فى سبيل الدعوة ٠٠ وكانت اجتماعات هؤلاء يراعى فيها أقصى درجات التقية والحذر والحيطة (٢) وكان خلف ذلك كله متابعة شديدة منهـم لتنفيذ ما تقره اجتماعاتهم المباركة ٠

ـ وكان منها أيضا ما يعتبر كمراكز أو مدارس لتدريب الدعاة ـ وهم المعروفون بحملة العلم ـ وكان هؤلاء يأتون من مختلف الأمصار حيث يتلقون ما يلزم من الفقه والدراسات ، ويلقنون أسس المذهب وأصوله ، ويتم تدريبهم على أساليب الدعوة ، وكان أبو عبيدة هو الذى يتولى هذه النواحى بنفسه ٠٠ وقد اتخذ لذلك سردابا أرضيا لا يعرفه غير أتباعه وشيوخه ٠٠ وقد تظاهر أبو عبيدة بأنه يصنع القفاف ، ولذلك

(١) نشأة الحركة الاباضية ص ١٠٧ بتصرف ـ الدرجينى ورقة ١٠٥
(٢) الشماخى : السير : ص ٩٠ ـ ٩١

دعى بالقفاف (١) وقد وضعوا على مدخل السرداب سلاسل من الحديد فاذا سمعوا صلصلتها هو واتباعه اشتغلوا بصنع القفاف (٢) ٠

وكان اختيار هؤلاء الدعاة يتم من بين أهل الأمصار نفسها التى يرسلون اليها ، وكان أبو عبيدة فى ذلك يأخذ بعين الاعتبار أن أهل الأمصار أكثر معرفة بأحوالها ، وبطباع الناس فيها ، كما أنهم مرتبطون بهم ارتباط أهل البلد الواحد ومن ثم يكونون أقوى أثرا ، وأيسر عملا ٠٠ يقول أبو سفيان : أخبرنى بعض بنى يسر ٠٠ قال : قدم الينا أبو عبيدة مرة حاجا ، ومعه أمرأة من المهلبيات ٠٠ قال : فلما فرغوا من حجهم ، قالت : يا أبا عبيدة انى أريد المقام بمكة ٠ قال : لاتقيمى ، الخروج أفضل لك ٠ قال ابن مسروق فقلت : وأنا أخرج معكم يا أبا عبيدة ـ قال : أما أنت فأقم ـ قال : فقلت : تأمر هذه بالخروج معك ، وتامرنى بالقيام ؟ قال : لأنك أنت قريب من مكة ، ونحن بعيد منها (٣) ـ ولعله راعى فى ذلك أن الداعية من أهل مكة ـ أو ممن يجاورها ـ هو الذى يقيم فيها ويمضى فى دعوته ٠٠ أما المرأة ، وهى ليست من أهل مكة ، فعليها أن تعود الى مصرها وأسرتها ٠

**الافادة من مواسم الحج وجهود التجار :**

وفضلا عن هذه التنظيمات الدقيقة التى هيأت للدعوة سبيل الانتشار ، ونظمت العلاقة ما بين الدعاة فى مختلف الأمصار وبين مركز الدعوة فى البصرة فقد حرص أبو عبيدة على الافادة من أمور أخرى ، اتخذها سبيلا لنشر المذهب ، وتكثير أتباعه والمؤيدين له :

ـ وكان من أهم ذلك مواسم الحج السنوية حيث يلتقى المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها ٠٠ فكان أبو عبيدة يحرص على حضورها بنفسه ، حيث يجمتع بمن يأنس فيهم ميلا ، فيتحدث اليهم ، وينشر بينهم الدعوة ٠٠ واذا لم يحضر بنفسه موسم الحج عمد الى اختيار نفر من كبار فقهاء المذهب ودعاته وارسالهم للنهوض بهذه المهمة ٠٠ ويروون أن منازل هؤلاء المشايخ وخيامهم كانت بمثابة مدارس متنقلة لنشر المذهب الاباضى ، وملتقى لأهل الدعوة من مختلف الأمصار (٤) ٠

(١) الحارثى : العقود الفضية ـ ص ١٨٨ ـ الشماخى ـ السير ـ ص ٩٠ ـ القفاف ) الذى يصنع أشياء من سعف النخل ٠

(٢) الاباضية فى موكب التاريخ جـ (١) ص ١٥٧

(٣) الدرجينى : الطبقـات ـ ص ٢٤٥

(٤) الشماخى : سير ص ١٠٧

ـ وكذلك كان للتجار دور فى نشر الدعوة ·· وكان هؤلاء التجار يجوبون مختلف البلاد فى شرق وغرب ·· وبعضهم ممن دخل فى هذا المذهب وكان من أتباعه ، ومن ثم حرص على أن يكون ممن يساهمون فى نشره وتثبيت الدعوة اليه حيث يصلون بتجاراتهم وقد كان لهؤلاء التجار أثر كبير فى نشر الاسلام فى بعض مناطق أفريقية جنوب الصحراء (١) ·

وبذلك كله عرفت الدعوة الاباضية فى شرق وغرب وكان لأبى عبيدة وجهوده و « تنظيماته » كبير الأثر فى نفوس الناس ·

**سياسة السرية والأخذ بالتقية :**

على أننا نود أن نشير الى أن سياسة أبي عبيدة مع أنصاره وأتباعه كانت تقوم على أساسين :ـ

ـ **الأول** : العمل على نشر هذه الدعوة وتكثير أنصارها وأتباعها فى مختلف الأمصار ·

ـ **الثانى** : أن يتم ذلك كله فى هدوء وسرية ، دون أن يقترن بأى مظاهر العنف أو العلانية ·

ولعل الدافع الى ايثار أبي عبيدة لهذه السياسة يرجع الى الأسباب الآتية :

ـ كان قد حدث فى أوائل القرن الثانى الهجرى وعلى زمن يزيد بن عبد الملك أن برزت جماعة متطرفة تنتسب الى الاباضية ·· وتمكن قائدها يزيد ابن المهلب الذى كان قد هرب من السجن عقب وفاة الخليفة السابق عمر بن عبد العزيز ·· من هزيمة والى البصرة واستيلائه عليها واخراج أهله وذويه من السجن (٢) ، ثم راح يبث الدعاية لنفسه ، وانتشر أمره فى مختلف أنحاء العراق ·· وكان من الطبيعى أن يبادر الخليفة الى قمع هذه الحركة ، بل وأن يبالغ فى التنكيل بالقائمين بها ، فأمكن لجيشه ـ الذى أرسله من الشام ـ أن يهزم هؤلاء الثوار ، وأن يقتل يزيد بن المهلب نفسه ، ويتفرق باقى الأنصار والأتباع ··

(١) الشماخى : سير ـ ص ١١٤
(٢) البلاذرى : الانساب (ج) (٢) ـ ص ٢٠٨

ورغم أن أبا عبيدة لم يكن ممن شاركو فى هذه الحركة ، فقد كان لما أسفرت عنه من نتائج أثرها على تفكيره وخططه وسياساته ، وبخاصة بعد أن شدد الأمويون قبضتهم ، وتعقبوا الاباضية أينما كانوا ٠٠ فزاد ذلك كله من دعوة أبى عبيدة الى ضرورة الأخذ بالتقية ، والتمسك بالسرية المطلقة ٠٠ بل لقد حرص على أن يقاوم كل ما ثار لدى بعض جماعته من رغبة فى الانتقام من بنى أمية لما حاق بهم ٠٠ ومازال بهم حتى اضطرهم الى التمهل والانتظار لأن الوقت لم يكن قد حان بعد اعلان الخروج ، ومقاومة الظلم (١) ـ قال أبو سفيان : قيل لأبى عبيدة : ما يمنعك من الخروج ، ولو خرجت ما تخلف عندك أحد ؟ قال : ما أحب ذلك ، ولو أنى فعلت ما أحببت ، ولا أحب أن أقيم ما بين الظهر والعصر مخافة الأحكام (٢) ٠

وهكذا وأخذا بسياسة أبي عبيدة ظل الاباضية طوال خلافة يزيد بن عبد الملك على هدوئهم وسكونهم ، مؤثرين السرية ، مندمجين فى المجتمع ، غير مبدين خروجا ، مكتفين بانتشار الدعوة فى سرية الى مختلف الأمصار على أيدى حملة العلم اليها ٠٠

**خطوات للتمهيد لامامة الظهور :**

ولم يكن الا فى فترة لاحقة عندما رأى أبو عبيدة أن الوقت قد حان للعمل على اعلان امامة الظهور ٠٠ ومع ذلك فقد كانت خطواته الى ذلك متئدة ورزينة وتتسم بالتقية والحذر :

ـ فقد كانت خطته هى تجنب البصرة ، بل وسائر العراق ، والاتجاه الى الاطراف النائية من الدولة الاسلامية حيث يكثر أنصاره وفى ذات الوقت تقصر دونهم يد السلطة المركزية فى حواضر الدولة الأموية ٠٠ ومن هنا فقد أذن لدعاته فى تلك الأمصار البعيدة أن يجمعوا جهودهم ، وأن يتجنبوا المناسب من الفرص للوصول الى غايتهم ٠

ـ راح يوصى أنصاره وأتباعه بان لا يقدموا على أية خطوة ، وأن لا يقوموا بأية حركة ، مالم تكن استعداداتهم لها كافية ، وعدتهم كاملة ، وأنصارهم كثيرة غالبة ٠

(١) الشماخى : السير ـ ص ٨٤ ـ ٨٨

(٢) الحارثى : العقود الفضية ص ١٤٢

ـ وفى سبيل تحقيق ذلك حرص على أن يوجد ما يسميه بعض الكتاب العصريين « بالمجتمع المغلق » (١) الذى يقتصر على الانصار والاتباع ـ أو يضم « جماعة المسلمين » ـ كما كانوا يطلقون على أنفسهم ـ فقد رأى أبو عبيدة أن فى داخل المجتمع الذى لايضم سوى الأنصار والأتباع والمؤمنين بالدعوة خطرا عليها حتى لقدحذر أصحابه وأتباع دعوته من التعامل مع الولاة والحكام وعدم قبول أى منصب (٢) ففى مثل هذا المجتمع يمكن أن تزداد أواصر الترابط ، وأن يتجنب الدعاة أسباب الفرقة ، كما يمكن تنظيم الصفوف واستكمال العدة ، وتقوية العقيدة ٠

ـ وفى نفس الوقت كانت دعوته بأن يسود هذا المجتمع الحب والاخاء ، وأن تجلله روح التضحية والفداء ، وأن يجمع أفراده التعاون والتضامن ٠٠ بل وأن تكون له موارده التى تغذى ما يمكن اعتباره بيت مال الجماعة ٠٠ (٣) وكانت هذه الموارد تغذيها فريضة فرضها على اتباع الدعوة القادرين يؤدونها عن طيب خاطر للمشرف على بيت المال ، وهو ـ حاجب الطائي الذى كان له ـ كما يروى الدرجينى ـ مهمة الاشراف على الأمور المالية وشئون الدعوة وسواها ٠٠ كما أن كبار التجار والأثرياء من أتباع المذهب كانوا يقدمون لبيت المال الكثير من الصدقات التى أتاحت للدعوة كامل عدتها من المال ٠٠

ـ ولم يغفل أبو عبيدة دعاته فى الأمصار ، وما فتىء يمدهم بالمال والعتاد ، وبالنصح والتوجيه ، ومازال كذلك حتى أثمرت دعوته ونجح الدعاة فى اقامة امامة الظهور فى أنحاء متفرقة : فى الجزيرة العربية كحضرموت واليمن وعمان وغيرها على النحو الذى نورد بعض معالمه فى المباحث التالية :ـ

(١) د٠ عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ص ١١٣

(٢) الشماخى : سير : ص ١١٣

(٣) الشماخى : سير : ص ١٠١

## المبحث الثاني

## انتشار المذهب الاباضي في الجزيرة العربية
## حضرموت ـ اليمن ـ الحجاز وانتصاره

**عبد الله بن يحي ·· طالب الحق :**

كان عبد الله بن يحي بن عمر الكندى من حضرموت ·· وكان مجتهدا عابدا ·· وكان قاضيا لابراهيم بن جبلة عامل القاسم بن عمر على حضرموت ، وهو عامل مروان على اليمن (١) ··

وكان عبد الله ممن اعتنقوا المذهب الاباضى ·· بل كان من « حملة العلم » فقد اتصل بأبى عبيدة ، وأخذ عنه ، وكان على رأس دعامة المذهب فى اليمن ·

وقد اشتد جور الولاة على أهل اليمن ، الى الحد الذى يصفه عبد الله ابن يحي ـ فيما يروى عنه (٢) ـ بقوله : « رأيت باليمن جورا ظاهرا ، وعسفا شديدا ، وسيرة فى الناس قبيحة » ·· وقد أفزع ذلك الظلم عبد الله فقال لأصحابه : ما يحل لنا المقام على مانرى ·· وبادر عبد الله فكتب الى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ـ مولى بنى تميم ـ والى غيره من الاباضية فى البصرة يشاورهم فى الخروج ··

ويروى أن أبا عبيدة كتب اليه يقول : « ان استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل ، فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، ولست تدرى متى يأتى عليك أجلك ، ولله خيرة من عباده يبعثهم اذا شاء لنصرة دينه ، ويخص بالشهادة منهم من يشاء » ·

وكانت تلك هى بداية تغير مسار الحركة الاباضية ، وانتقالها من مرحلة الدعوة السرية الى مرحلة الظهور ·

ولعل الذى دعا أبا عبيدة الى ذلك يتركز فى الأسباب الآتية :ـ

ان الحركة الاباضية كانت تجد لها أنصارا وأتباعا عديدين فى اليمن وكانوا ذوى عدة وقوة ·· وكان دعاتها ذوى نشاط واسع ومكانة مؤثرة ··

ـ ان اليمن كانت تقع على أطراف الدولة ، وتبعد الى حد ما عن حواضرها ·

(١) الحارثى : العقود الفضية ـ ص ١٨٧
(٢) الحارثى : المرجع المذكور ـ ص ١٨٨

- ان تلك الفترة شهدت ضعف الدولة الأموية ، وشيوع الفرقة بين البيت الأموى نفسه ، فضلا عن وقوع مؤثرات مختلفة فى أمصار عدة ، فقد حدثت ثورة فى الشام ، كما ثار العباسيون فى مناطق أخرى .

- ان أهل اليمن أنفسهم كانوا قد ضاقوا بعسف الولاة الأمويين ، ولقوا من الجور والظلم ، ولم يجدوا منهم الا سوء المعاملة (١) ..

- وفضلا عن ذلك فقد كان عبد الله بن يحي من أقوى الدعاة وأكثرهم نشاطا وأوسعهم مكانة ، وهو ينتمى الى قبيلة كندة ، ومن الطبيعى أن يحظى بمؤازرتها ومساندتها .. وكان من علماء الاباضية وفقهائها المشهورين فى اليمن أيضا فى تلك الفترة وائل الحضرمى وهو من تلاميذ أبي عبيدة المعروفين .

**موافقة أبي عبيدة :**

وعلى ذلك أذن أبو عبيدة لعبد الله بن يحي باعلان حركته والخروج على الامام الظالم .. بل وأرسل اليه المدد والذخيرة من البصرة .. أمده بالرجال والسلاح والمال .. وكان على رأس من قدموا الى عبد الله بن يحي بحضرموت أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى أحد بنى سليمة ، وبلج بن عقبة (٢) وهما من عمان .

وقد حمل أولئك المناصرون الى عبد الله بن يحي كتابا من أصحابه بالبصرة يحمل اليه وصاياهم ويقول : اذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا ، واقتدوا بسلفكم الصالحين ، وسيروا سيرتهم فقد علمتم أن الذى أخرجهم على السلطان العبث فى اعمالهم » (٣) .

**الانتصار في حضرموت :**

وما أن وصل الكتاب والمدد الى عبد الله بن يحي حتى دعا أصحابه ، وأعلنهم بالأمر وما انعقد عليه العزم ، وتشاوروا وبايعوه اماما لهم (٤) .. وكان بذلك أول امام ظاهر لجماعة من الاباضية .. وقد عرف منذ ذلك الوقت بطالب الحق ..

(١) البلاذرى : الانساب - (ج ٢ ص ٢٧٣ - المختار وبلج من بلدة (مجز ) الواقعة فى الناحية الشرقية من ولاية صحار .

(٢) الحارثى : العقود الفضية - ص ١٨٨

(٣) الحارثى : المرجع المذكور ص ١٨٨

(٤) البلاذرى : الانساب (ج) ٢ - ص ٢٧٢ - والحارثى : نفس المرجع - ص ١٨٨

ومن المرجح أن ذلك كان فى عام ١٢٩ هـ حيث مضى بجيشه الى حضرموت ، فمكنه الله منها وقبض على واليها ـ ابراهيم بن جبلة ـ وسجنه. ثم ما لبث أن أطلق سراحه ، وتركه يلحق بالقاسم بن عمر الثقفى فى صنعاء (١) . ولعله بذلك أراد اظهار سماحة الاباضية ، وكسب ود قبيلة كندة التى ينتمى اليها كل من الوالي .. وطالب الحق نفسه ..

وبذلك تهيأت الفرصة لطالب الحق للدعاية لمذهبه ، وتجميع الأنصار حوله ، وانضم اليه بالفعل عدد كبير من الناس ، وجمع كثير (٢) ..

**الانتصار في صنعاء :**

وقد سار طالب الحق بعد ذلك الى صنعاء ـ بعد أن كاتب من بها من أنصاره وأتباعهم ودعاهم الى أخذ عدتهم والنهوض لنصرته ـ واستخلف عبد الله ابن سعيد الحضرمي ، وسار طالب الحق على رأس الفين من أتباعه ومناصريه الى صنعاء (٣) .

وقد خرج اليه الوالي الثقفي على صنعاء ليلقاه خارج صنعاء .. والتقى الجيشان جيش طالب الحق .. وجيش القاسم ، ودارت الدائرة على جيش الثقفي ، فهزم شر هزيمة ، وفر الثقفي مع بعض جنده الى بلاد الشام ، واستولى الاباضية على صنعاء (٤) .

ويروى أن طالب الحق عندما دخل صنعاء أخذ الضحاك بن زبل ، وابراهيم ابن جبلة ، فحبسهما ثم قال لهما : حبستكما خوفا عليكما من العامة ، وليس عليكما مكره ، فأقيما حيث شئتما أو اشخصا .. فخرجا (٥) .

ومما يروى أنه جمع الخزائن والأموال وأحرزها ، ثم مضى فوزع معظم ما بها على الفقراء ، باعتبار أنه يجهل أربابها المأخوذة منهم ، وكل مجهول ربه ، فمرجعه الى الفقراء قياسا على اللقطة (٦) التى لم يعرف صاحبها .

(١) البلاذرى : الانساب (ج) ٢ ـ ص ٣٧٣
(٢) د. عمر خليفات : نشأة الحركة الاباضية ـ ١٢٠
(٣) البلاذرى : الانساب ـ (ج) ٢ ـ ص ٢٧٣
(٤) المرجع المذكور : ص ٣٧٤
(٥) الحارثى : العقود الفضية ، ص ١٩٢
(٦) الحارثى : المرجع المذكور ـ ص ١٩١

## خطبة طالب الحق :

هذا ، وقد خطب طالب الحق فى الناس فى أول عهده بدخول صنعاء ٠٠ فحمد الله عز وجل ، وأثنى عليه ٠٠ ثم قال :

- انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه واجابة من دعا اليهما الاسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن امامنا - رضينا بالحلال حلالا لا نبغى به بديلا ، ولا نشترى به ثمنا قليلا ، وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ٠

- ندعو الى فرائض بينات ، وآيات محكمات ، وآثار مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، وعدل فيما حكم ، وندعو الى توحيد الرب ، واليقين بالوعيد والوعد ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، والعداوة لأهل عداوة الله ٠

- ثم دعا الناس الى اتباعه وذكر أن من يتابعونه « يكون لهم من الأجر ما لأفضلهم ، ومن قسمة الفىء ما لبعضهم ٠٠ » هذا ان شاركوا فى الجهاد ٠٠ أما من قال بقولهم ، ولم يجاهد معهم فعليه أن يدعو الى هذا الرأى بقلبه ولسانه ٠٠ ثم قال « ومن كرهنا فليخرج بأمان الله الى ماله وأهله ، ويكف عنا يده ولسانه ، فان ظفرنا لم يكن عرض لنا نفسه ، ولم يحملنا على سفك دمه » (١) ٠

ولعل هذه الخطبة توضح منهج الاباضية فى الدعوة :

- فهم يدعون الى العمل بالكتاب والسنة ٠
- وهم يوالون كل من والاهم ٠
- وهم لا يتعرضون بأذى لكل من لا يحاربهم ٠
- وذلك كله ايمان منهم بأن أهل القبلة كلهم مسلمون لا يجوز تكفيرهم ، ولا تحل أموالهم أو دماؤهم الا ردا لعدوان ٠

## السير الى مكة والحجاز :

وكان من الطبيعى أن يفكر طالب الحق فى أن يوسع نطاق دعوته ، وأن يرنو

(١) البلاذرى : أنساب : ص ٣٧٤ - والحارثى : المرجع المذكور ص ١٩٢

الى سائر أنحاء الجزيرة ، وبخاصة لأن له اتباعا وأصحابا فى مختلف أجزائها ٠٠

وعندما حان موسم الحج ، أوفد طالب الحق صاحبه - القائد المشهور المختار ابن عوف الازدى ، وهو المعروف بأبى حمزة الشارى ، وبصحبته آخرين ، ومعهم نفر كثير وهدفهم دخول مكة نفسها ٠٠ وهنالك انضم اليهم أتباعهم بالحجاز وعلى رأسهم أبو الحر علي بن الحصين ومن معه ويقدرون بأربعمائة رجل ٠

وكان والي الحجاز هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ٠٠ وقد فوجىء بأمر هؤلاء الدعاة ، ولم يكن لديه من وسيلة لمواجهتهم ، والوقوف تجاه الحق ، فلم يجد بدا من التفاوض مع أبي حمزة الشارى وتم الاتفاق بينهما على ألا يتشابك الفريقان حتى تتم أداء مناسك الحج على أن يترك عبد الواحد مكة ويخليها لأبى حمزة فور ذلك ٠٠ وقد نفذ الفريقان ما اتفقا عليه ، وأخليت مكة ودخلها أبو حمزة الشارى بدون قتال (٢) ٠٠

ومن مكة مضى أبو حمزة الى الطائف حيث دخلها دون قتال وأعلن لمن بها أنه لن يتعرض لأى منهم باذى الا اذا بدؤهم بالعدوان (٣) ٠

وكان من الطبيعى أن تثير هذه الانباء الخليفة الأموى - مروان الثانى - فما أن وصلت اليه رسالة عبد الواحد تخبره باستيلاء الاباضية لمكة حتى بادر الى عزله ، واعداد جيش كبير قوامه - فيما يروى - ثمانية آلاف رجل ٠٠

غير أن هذا الجيش رغم ضخامته لم يفلح فى ايقاف « الاباضية » عندما التقى بهم فى معركة « قديد » اذ انتهت تلك المعركة بهزيمة جيش الخليفة شر هزيمة ، ودخول أبى حمزة الى المدينة (٤)

## هزيمة الاباضية :

وكانت تلك هي ذروة انتصارات أصحاب طالب الحق اذ أصبح بذلك وهو المسيطر على الجزيرة العربية ٠٠ وقد أصبح للاباضية دولة وامامة تمتد من حضرموت

(١) الشماخى : سير : ص ١٠٠ - ١٠١
(٢) البلاذرى : الانساب - ج (٢) - ص ٣٧٥
(٣) المرجع المذكور ج (٢) - ص ٣٧٨
(٤) البلاذرى : الانساب (ج) ٢ - ص ٣٨٠

الى صنعاء الى مكة الى المدينة المنورة ·· دولة يقيم فيها الاباضية سياستهم ، سياسة الحق والعدل والعمل بالكتاب والسنة واجماع الأمة ·

غير أن الأمر لم يدم طويلا ·· فما لبث الخليفة الأموى أن أعاد تنظيم صفوفه ، وجيش جيشا آخر بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى القيسى وسار به الى الحجاز ·· حيث تقابل مع الاباضية فى وادى القرى ، والحق بهم هزيمة كبيرة ·

وكانت تلك الهزيمة هى الأولى فى سلسلة هزائم لحقت من بعد بالاباضية ·· وسار جيش عبد الملك يسترد كل الاماكن التى استولى عليها الاباضية ، فاستردوا مكة ، فى معركة قتل فيها أبو حمزة الشارى نفسه · كما وصل الجيش الى اليمن ·· وهزم الامام طالب الحق وتمكن من قتله ، واسترد بذلك كل مدن الحجاز واليمن ·· وتولى قيادة الاباضية يحي بن عبد الله وتجمع حوله أصحابه ، الا أن جيش الأمويين ما زال بهم يطارد فلولهم حتى قضى عليهم وقتل قائدهم وامام دفاعهم يحي بن عبد الله (١)

**مقتل قائد الجيش الأموى :**

ورغم هذه الانتصارات التى حققها الجيش الأموى الا أنه لم يتمكن من القضاء على الاباضية نهائيا ·· اذ أنه وقد تحقق له النصر ، واسترداد المدن التى سبق للاباضية الاستيلاء عليها فلم يتمكن من القضاء على المذهب الاباضى من تلك البلاد ·· فقد ظل أتباعه على تمسكهم به ، وان كانوا قد انسحبوا الى المناطق الداخلية من حضرموت ، واختاروا عبد الله بن سعيد الحضرمي ليكون امام دفاع لهم (١) ·· ومع ذلك فما لبث عبد الملك بن عطية أن علم بأمرهم فتتبعهم بجنوده ·· غير أنه لم يتمكن هذه المرة من الحاق الهزيمة بهم ، فاضطر الى عقد صلح مع أهل حضرموت والاباضية تعهد فيه بأن « يستعمل عليهم رجلا منهم » وبالفعل ولى حضرموت رجلا من أهلها رضوا عنه ·

ولكن الاباضية لم ينسوا ثأرهم عند عبد الملك ·· فعندما سار الى مكة فى

(١) المرجع المذكور (ج) ـ ص ٣٨٢
(٢) البلاذرى : الانساب ـ ج ٢ ـ ص ٣٨٢

العام التالى ، لحق به بعض الاباضية فى الطريق ، وتمكنوا من قتله هو وصحبه ثأرا لما فعل باخوانهم وأهل دعوتهم (١) .

وقد أثار ذلك السلطة الحاكمة ، ومضى رجالها يتتبعون الاباضية وأصحابها ويأخذونهم بالقسر ، كما تمكنوا من قتل الامام الذى أقامه الاباضية امام دفاع لهم – وهو عبد الله بن سعيد الحضرمي .

وبذلك تمكنت الدولة الأموية من القضاء على الامامة الاباضية الظاهرة ..

واضطر الاباضية بعد ذلك الى العودة الى الكتمان والعمل فى سرية والنشاط الى الدعوة وجمع الأنصار لها ..

ورغم أفول نجم امامتهم الا أن الاباضية بقيت كمذهب يتبعه أغلبية السكان فى اليمن عامة – وحضرموت وصنعاء بصفة خاصة (٣) .

## المبحث الثالث

## انتشار المذهب الاباضي في عمان وانتصاره

**تمهيد :**

كانت عمان من أوائل الدول التى وصل اليها الاسلام ، ودخلت فيه على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام – وقد أسلم أهلها منذ ظهور الدين الجديد وحسن اسلامهم ، وشارك العمانيون فى كل الفتوحات الاسلامية ..

ومن عمان كان جابر بن زيد زعيم المذهب الأباضى والربيع بن حبيب – صاحب المسند – وغيرهما من أئمة الفقه وعلماء الاسلام .

ومنذ دخول أهل عمان الاسلام ، وأمرها الى بنيها من أول أن أقر أبو بكر جيفرا وأخاه عبدا ابني الجلندى على ملكهما بعمان .. وقد خلف من بعدهما أولاد لهما وعمانيون آخرون ساروا فى حكمهم بما يرضى الله ورسوله ..

ومن الطبيعى أن يكون لكل ما يقع فى الدولة الاسلامية من خلافات صداه فى عمان .. وكل ذلك على النحو الذى تقدم ذكره .

(١) المرجع المذكور – ص ٣٨٣

(٢) المسعودى : مروج الذهب (ج) ٦ – ص ٦٧

## مناهضة عمان لمتطرفي الخوارج :

وقد حدث أن نجدة بن عامر الحنفى ـ وهو من متطرفى الخوارج ـ وكان قد تمكن من السيطرة على منطقة اليمامة وجزء من شرقى الجزيرة العربية ـ فقد أرسل نجدة قائده عطية بن الاسود الحنفى لضم عمان اليه ٠٠ وكان يلى عمان فى ذلك الوقت عباد بن عبد الله بن الجلندى ـ ويساعده ولداه سعيد وسليمان ٠

واذ تمكن جيش عطية من دخول عمان واضطر حكامها الى الانسحاب الى المناطق الداخلية ، فان ذلك لم يكن ليحقق النصر النهائي لجيش الخوارج ، اذ ما لبث العمانيون أن أعادوا تنظيم صفوفهم ، وكروا على أولئك الذين غلبوهم على أمرهم ، فأجلوهم عن عمان وعاد الأمر الى عباد بن عبد الله الجلندى وولديه سعيد وسليمان (١)

## تأييد عمان للقعدة :

ومن ذلك يتضح أن أهل عمان لم يشايعوا الخوارج ، بل حاربوهم وأجلوهم عن بلادهم ٠٠

أما الصلة الحقيقية فقد قامت بين أهل عمان ، وبين من عرفوا بالقعدة أول أمرهم ٠٠ وهم جماعة المسلمين الذين اشتهروا بالاباضية ، فقد دخل المذهب الاباضي عمان منذ وقت مبكر ، حيث وجد له أنصاره وأتباعه ، وحيث انتشر فى مختلف أنحاء عمان ٠

ولعل مرجع ذلك الى تلك الصلة التى كانت قائمة بين العمانيين والقبائل التى هاجرت وأقامت فى البصرة ، وكثرة تردد العمانيين على البصرة ، ووجود عمانيين كثيرين بها ممن مضوا اليها فى طلب العلم ، والفقه بالدين ، ومن الطبيعى أن تظل الصلات قوية بين العمانيين وأهليهم حتى وان هاجروا وبعدوا ، واننا لنجد كثيرين من العمانيين الذين حضروا الخلاف فى البصرة كانوا من القعدة الذين آثروا الاعتدال ولم يجيزوا الخروج بالسيف ولم يوافقوا على استعراض الناس وأنكروا انتهاك حرمات الأموال وتكفير مخالفيهم ٠٠ ولم يثبت بحال من الاحوال أن أيا ممن كانوا من أصل عمانى قد انضم الى الخوارج المتطرفة أو شاركهم فى خروج أو استعراض بالسيف أو تعرض للمخالفين ٠

(١) البلاذرى : أنساب (ج) ١١ ـ ص ١٢٤ ـ ١٢٥

وقد سبق أن أشرنا الى أن الشاعر عمران بن حطان الذى آلت اليه زعامة القعدة ، وهو الشاعر المعروف ، مضى على أثر اطلاق الحجاج بن يوسف لسراحه يتنقل بين مختلف القبائل حتى انتهى به المطاف الى عمان ·· ويروى أنه نزل فى عمان فى قبائل الازد هناك ووجدهم يعظمون أبا بلال مرداس بن أدية ، ويعتنقون آراءه ، فأظهر أمره بينهم ، وبقى هناك حتى مات (١) ·

وقال عمران بن حطان فى ذلك :

نزلنا بقوم يجمع الله شملهم
وليس لهم عود سوى المجد يقتصر

نزلنا بحمد الله فى خير منزل
تسر بما فيه من الانس والخضر

من الازد ، ان الازد أكرم معشر
يمانية طابوا ، اذا انتسب البشر

فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر
أتونى فقالوا : من ربيعة أو مضر

أم الحي قحطان ، فتلكم سفاهة
كما قال لي روح ، وصاحبه زفر

وما منهما الا يسر بنسبة
تقربني منه وان كان ذا نفر

فنحن بنو الاسلام ، والله واحد
وأولى عباد الله بالله من شكر

ولابد من أن يكون عمران قد نشر بين القوم آراءه ودعا الى مذهبه ، وبخاصة وأنه قد وجدهم يعتنقون آراء أبي بلال مرداس بن أدية ·· وهو من أوائل من دعا بدعوة الاباضية وبرهن أسسها ·

ومن هنا نرى أن العمانيين ـ بصفة خاصة قبائل الازد ـ وصلت اليهم دعوة

(١) الدرجينى الطبقات ص ٢٣٠

الاباضية فى وقت مبكر ، فاعتنقوها ، ودخلوا فيها ، وتشيعوا لها ، ومنهم انتقلت الى سواهم من القبائل الاخرى ٠

ولعل ما يزيد هذه الصلات بين العمانيين والاباضية ما عرف عنهم من أنهم أهل تجارة لا تنقطع رحلاتهم الى العراق وسواها من الأمصار ، كما أن مواسم الحج كانت تجمع بين المسلمين من مختلف الامصار ، وفيها يتبادلون الآراء ، ويناقشون فى مختلف الامور ٠٠ وعن طريق التجارة ومواسم الحج كانت الدعوات الى مختلف المذاهب تجد صداها وتجذب اليها الانصار والاتباع ٠٠

واننا لنعلم أن جابر بن زيد الذى جلى أسس المذهب الاباضى ووضح مبادئه وفقهه ، ونظم دعاته ، حتي قويت الدعوة واشتدت ، انما هو جابر الازدى العمانى ٠٠ ومن الطبيعى أن يتجه بدعوته الى قومه ، فهم أولى الناس بالاستجابة له ، والدخول فى مذهبه ٠٠

كما نعلم أن الحجاج قد نفى جابرا فى فترة طويلة من حياته الى عمان ٠٠ وما كان لجابر وهو الداعية ــ زعيم المذهب ــ وقد وجد بين قومه ، الا أن يستمر فى الدعوة ونشر تعاليمه ، وجمع ذويه حوله ، لتكون له منهم عصبة يؤازرونه ٠

واننا لنجد أن كثيرين من أئمة الاباضية وفقهائهم ــ ممن كان لهم دور فى نشر المذهب والدعوة له انما هم من أصل عماني : نذكر منهم : المختار ابن عوف الازدى العمانى المعروف بأبي حمزة الشارى ، وبلج بن عقبة الازدى ، وصحار العبدى ، وهلال بن عطية العمانى ، والربيع بن حبيب الفراهيدى ، وأبا سفيان محبوب بن الرحيل ٠٠ وقد تزعم الاخيران حركة الاباضية فى البصرة بعد موت الامام ابى عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١) ٠

واننا لنتذكر ــ بالاضافة الى ما تقدم ــ أن ولاة عمان منذ دخولها الاسلام كانوا من أبنائها ، وكانوا فى أغلب الاحوال من الازد ــ منذ عهد بعيد قد اعتنقت مذهب الاباضية ــ فلا غرو أن يكون الولاة من هذا المذهب ، حتى وان أخفوا حقيقة معتقدهم أخذا بالتقية ، الا انهم ولا شك أعانوا على نشر المذهب وهيئوا المناخ المناسب لدخول

(١) الدرجينى : الطبقات ــ حيث أورد ترجمة لكل من المذكورين ، تحدث عن كل منهم ، وأثبت أصله ونشأته وقبيلته ٠

الناس فيه ٠٠ وقد عقدت الامامة فى فترة من الفترات للجلندى بن مسعود وهو من كبـار الاباضية (١) ٠

وعمان ـ منذ كانت ـ بلد ذات موارد كافية ، يمكن لها أن تعتمد فى حياتها على مواردها ، واهلها اهل عمل وزراعة وصـيد وتجارة ، وعـلى ذلك فهى تحرص على استقلالها ، وتعتمد فى حياتها على دخلها ، وبالتالى فانها لا ترتبط بالحكومة الاموية أو العباسية الا ارتباطا شكليا ٠

من كل ذلك وجد المذهب الاباضى أرضا صالحة فى عمان لغرس شجرة عقيدته ، فانتشر فيها ، وأصبح من عمان الكثيرون من دعاته ومناصريه ، ممن اتصلوا بقادة المذهب أو كانوا هم أنفسهم أولئك القادة ٠٠ ولعلنا ٠ نذكر أن الساعد الايمن لطالب الحق فى حركته وحربه وانتصاراته كان أبا حمزة الشارى العمانى ٠

**امامة الجلندى ( الاباضي ) فى عمان :**

ومن هنا ، فانه على أثر انهزام الاباضـية فى الجزيرة العربية ، فى الحجـاز ثم فى حضرموت وصنعاء ، ومتابعة الأمويين لقادتهم ، وأخذهم للاباضيين بالشدة والعسف سواء في العراق أو سواها من أنحاء الجزيرة العربية ٠٠ لم يبق للاباضية من حصن سوى عمان ٠٠ ففي عمـان :

- يجدون الأمن والأمان ٠
- وفيها يجدون الأنصار والمؤيدين ٠
- وفيها يلقون النصر والعون والمؤازرة ٠
- وفيها يمكن لهم أن ينادوا بمذهبهم ، ويعلنوا معتقدهم ٠

ومن هنا كان من الطبيعى أن يرى قادة المذهب فى البصرة أنه قد آن لعمان أن تعلن الامامة ٠٠ ولعل مما ساعد على ذلك سقوط الدولة الاموية فى ذلك الوقت ـ سنة ١٣٢ هـ ـ وقيام الدولة العباسية ، وما شاع فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية من ثورات واضطرابات ٠٠

وقد أعلن العمانيون مبايعتهم للجلندى بن مسعود كأول امام ظهور لهم ٠٠ بل واعتبروه هو خليفة المسلمين ، ودعوا بقية المسلمين لمبايعة الجلندى خليفة لهم (٢) ٠

(١) السالمى ، تحفة الاعيان ـ (ج) ١ ـ ص ٨٨ ,

(٢) الحارثى : العقود الفضية ص ٢٥٣ السالمى : تحفة الاعيان (ج) ١ ص ٨٨ ـ ٩٢

ويروى السالمى فى التعريف بالجلندى ورواية البيعة له ما ياتى :-

هو أحد بني الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة ابن شمس ·· وأن سبب امامته أن أبا العباس المعروف السفاح ، ولى أخاه أبا جعفر المنصور على العراق ، وولى المنصور على عمان جناح بن عبادة بن قيس الهنائى ، ثم عزله ، وولى ولده محمد بن جناح ـ فلان للمسلمين ، ووافقهم على ما يحبون حتى صارت ولاية عمان لهم ، فعند ذلك عقدوا الامامة للجلندى ابن مسعود ·· فكانت سببا لظهور الاسلام وقوة شوكته ، وكان عادلا مرضيا ·· وكان الجلندى ممن حضر بيعة عبد الله بن يحي طالب الحق ·

وقد سار الجلندى فى عمان خير سيرة ، فأظهر الحق ، وعمل به ، وأخذ الدولة من يد أهل الجور ، وبرىء من الجبابرة وأشياعهم ، ودان بقتال أهل البغى ولم يستحل مع ذلك غنيمة ، ولا سبى ذرية ، ولا استعراضا بالقتل من غير دعـوة (١) ·

## سـيرته فى الامامة :

وقد دامت امامة الجلندى سنتين وشهرا ·· وكانت سيرته حسبما يذكره التاريخ ويثبته مثـلا يحتذى ·

يروى السالمى فى هذا الصدد أن منير بن النير وصف سيرة الجلندى فى الامامة ومن معه من بوارع القوم فقال : لم يأخذوا الصدقة بغير حقها ، ولم يضعوها فى غير موضعها ، ولم يستحلوها من الناس على غير الاثخان فى الارض ، والحماية ، والكفاية ، والمكافحة عن حريم المسلمين ، بل أخذوها بحقها بعد احكام الامور التى تعينهم فى دين الله ، وحفظ الرعية ، ثم وضعوها فى موضعها ، وقسموها على أهلها بحكم القرآن « فريضة من الله ، والله عليم حكيم » ·

ـ قال : ولا يولون أمرهم ، ولا يبعثون فى حوائجهم ، ولا يستعملون على صدقاتهم وأهل رعيتهم ، ولا يستقضون على أهل ولا يتهم الا أهل الثقة ، وأهل العلم والفهم والورع والنزاهة المعروفين بالفضل ، الموصوفين بالخير من أهل البيوتات من قومهم غير سقاط ولا أدعياء ولا متهمين ولا مقترفين ··

(١) السالمى : المصدر السابق ـ ص ٨٨ ـ ٨٩

ـ قال : ولا يتعلق عليهم بالسباب ، ولا يلجأ اليهم القبيح ، ولا يتهمون فى دينهم ، مرضيون فى اخوانهم ، متبع رأيهم ، معروف فضلهم ، معروفون به ، قد أحكمت آراؤهم فى قوة الحق ، واحكام أمور الدين ٠

ـ وقال : وعلى كل مائتين من الشراة الى ثلاثمائة الى أربعمائة قائد من أهل الفضل والحجا والبصيرة والثقة والمعرفة والعلم والفقه والحزم والقوة ٠٠ وعلى كل عشرة من أصحابه مؤدب من أهل الفقه يعلمهم الدين ، ويؤدبهم على المعروف ، ويسددهم عن الزيغ ، ويقيمهم على الطريقة ، ويهديهم سبيل الرشاد ، ليست الدنيا من ذكرهم ، ولا جمع المال من شأنهم ، ولا الشهوات من حاجاتهم ٠٠

ـ قال : وكان المرء منهم يرزق فى الشهر سبعة دراهم فى غلاء من السعر فيصبر على القوت اليسير ، رغبة فى الآخرة والثواب من عند الله ٠٠

ـ قال ، وكانوا أهل فقه ، وأهل علم وحلم وتؤدة وتودد ووقار وسكينة ولب وعقل وبر ومرحمة وصدق ووفاء وتخشع وعبادة وورع وتحرج وصلة ونصيحة ظاهرة مقبولة ، لا يطمعون بمطامع السوء ، ولا يتعاطون من الناس الحقوق ، ولا يدخلون فى خصومات الناس ولا يجتعلون على استخراج الحقوق ، ولا يسترشون على طلب الحوائج التى تعنيهم من أمر الرعية ، ولا يستفضلون فى الرزق على الشبعة ولا يغتاب بعضهم بعضا ٠٠ يحرصون على آدابهم فى الدين ، ومع أهل الدين ، ويكرهون العيوب ، ويهجرون أخلاق الفجور والمعاصى ٠٠

تلك هى صفاتهم ومسلكهم ومناهجهم فى الحكم وسياسة الناس ، وتلك كانت سمات امامتهم التى قامت ظاهرة لمدة سنتين كاملتين وشهر واحد فى النصف الأول من القرن الثانى لهجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

**استمرار الاباضية رغم غلبة العباسيين لهم :**

وقد أمكن للعباسيين بعد هذه الفترة أن يبعثوا بجيشهم وعلى رأسه خازم بن خزيمة التميمى ٠٠ وقد اتجه هذا الجيش أول الأمر لحرب الصفرية فى جزيرة ابن كاوان فهزمهم ٠٠ ثم ظل يراقب سواحل عمان فترة قبل أن يمضى الى اقليم « جلفار » من عمان وأرسل الى الجلندى يطلب اليه الطاعة للخليفة العباسى ، فلما

رفض كانت الحرب بين الفريقين ، وقد تمكن الجيش العباسى من هزيمة الجلندى وجيشه ، واعادة ضم عمان الى الدولة العباسية .

ورغم ذلك الانتصار ، فان الاباضية ظلـوا أصحاب الأمر فى عمـان ، وبدت آثار ذلك فيما يأتى :ـ

ـ ظلت الثورات ضد الحاكم العباسى ـ ومـن تلاهم ـ تنشب بـين الوقت والآخـر ..

ـ كما أن الاباضية لم يتوقفوا عن نشر دعوة مذهبهم ، بل ظلوا حريصين على نشر المذهب ، والدعوة اليه حتى انتشر فى كل أنحاء عمان .

ـ وقد أفلح الاباضية فى نهاية الأمر أن يعلنوا الحركة من جديد ويعيدوا تأسيس الامامة نحو عام ١٧٧ هـ ـ ومنذ ذلك التاريخ استمرت الامامة فى عمان أو فى بعض مناطقها لمدد طويلة (١) .

ـ وأيا ما كان أمر الامامة ، فان المذهب الاباضى منذ دخوله الى عمان وهو السائد ، ومازال يكتسب أتباعا ومؤيدين ، وهو الذى يتبعه أغلب العمانيين حتى وقتنا الحاضر ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

## المبحـث الـرابع

## انتشار المذهب الاباضي في شمال أفريقيا

**تمهيـد :**

وفى زمن أبي عبيدة ، وعلى أيدى حملة العلم الذين أعدهم ، ولقنهم أصول الدعوة ، وأسس المذهب وصلت الدعوة الاباضية الى شمال أفريقيا حيث وجدت قلوبا تفتحتلها ، وتلقتها بقبول ، ثم دانت بها ودافعت عنها ، وحاربت من أجل نصرتها وانتشارها .

وفى الحقيقة أن الفضل فى وصول الدعوة الى شمال أفريقية ثم انتشارها بعد

(١) د. عوض خليفات ـ نشأة الحركة الاباضية ـ ص ١٣٢

ذلك يرجع الى شخصيتين هامتين : أولهما سلمة بن سعد الحضرمى ـ وثانيتهما : أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر ٠٠

**سـلمة بن سعد الحضرمى :**

اما أولهما : وهو سلمة بن سعد الحضرمى ، فقد بعثه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ـ امام الاباضية فى البصرة ، وكان ذلك فى أواخر القرن الاول الهجرى ٠٠ مضى ذلك الداعية الى شمال افريقيا يدعو للمذهب ، ويجمع حوله الأنصار ، ويروى عنه انه كان يقول : « وددت أن يظهر هذا المذهب بأرض المغرب يوما واحدا من غدوة الى الزوال ، فما أبالى أن ضربت عنقى » (١) ٠

بهذا الايمان ، وهذه العقيدة مضى ذلك الداعية ٠٠ وقد استقر فترة طويلة فى جبل نفوسة فى منطقة طرابلس حيث تسكن قبائل هوارة البربرية ٠٠ وقد أمكن له تحقيق أمرين :

ـ الامـر الأول : نشر المذهب ، ودخول كثيرين فيه ٠

ـ الامر الثانى : ارتحال عدد من أهل جبل نفوسـة ممن اعتنقوا المذهب الى البصرة ليتلقوا اصول الدعوة من امامها أبى عبيدة ٠٠ وكان أحد هؤلاء هو ابن مغيطر الذى أشرنا اليه (٢) ثم تتابع من بعده كثيرون ٠٠ كلهم مضى الى البصرة قاصدا أبا عبيدة وقد حرصت مختلف القبائل على أن يكون من بينها من يحظى بتلقى العلم من أبى عبيدة ٠٠ وقد سمى هؤلاء بحملة العلم الى المغرب ٠

وقد بقى هؤلاء فى البصرة أعواما طويلة ، يصحبون أبا عبيدة وصحابته ، ويتزودون منهم العلم ، ويتلقون على أيديهم أصول الدعوة ٠٠ فلما تم لهم ما أرادوا عادوا الى بلادهم لنشر المذهب بين أهليهم ٠٠ وقد أنشأ هؤلاء ـ بعد عودتهم ـ مجالس سرية خاصة لتعليم المذهب فى بلادهم ، ومازالوا كذلك حتى برز من بينهم فقهاء ودعاة

(١) الشماخى : السير ـ ٩٨

(٢) على يحى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ : الحلقة الثانية ـ القسم الاول ـ ص ٢٧

لهم جهدهم ومكانتهم ، وقد عرفوا بأنهم تلاميذ حملة العلم (١) ٠

**ابن مغيطـــر :**

قد أسلفنا أنه كان من أوائل من توجهوا الى البصرة وتلقوا العلم عن أبى عبيدة مسلم وأصحابه ، وقد عاد الى وطنه بعد أن ازداد تفقها فى الدين ، ودراية بالمذهب ٠٠

وكان هو الذى حرص على اختيــار الرجال المخلصــين للمذهب وايفادهم الى البصرة ـ من بعد ـ للتزود بالعلم والتفقه فى الدين ٠٠ وكان له الفضل ـ كما يذكر المؤرخون (٢) ـ فى ايجاد الصلة بين مشرق الأمة ومغربها ، ودعا الى تطبيق أحكام الله ، وتنفيذ أوامره ٠٠ وكان شديدا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠٠ ووقف حياته يدافع عن الحق ، ويعلى كلمته ، فضلا عن نشر مذهبه ، والدعوة اليه ٠٠

**انتصار المذهب الاباضي :**

وهكذا أثمرت جهود هذين الرجلين وجهود حملة العلم ، وجهود تلاميذ حملة العلم فى استمالة أعداد كبيرة من البربر ـ وبخاصة فى منطقة طرابلس ـ الى هــذه الدعوة ٠٠ ومضوا يكثفون دعوتهم ، وزاد عدد الدعاة الذين راحوا يجوبون المنطقة من برقة شرقا الى الســوس الأقصى غربا ٠٠ وأمروا عليهم شخصــا منهم ، عارفا بالمذهب ، مخلصا له ، ومتحمسا فى سبيل نشره ، واتخذ ذلك الشخص لقب الرئيس ٠٠ وهو عبد الله بن مسعود النجيبي (٣) ٠

وقد حدث أن والى طرابلس الياس بن حبيب من قبل أخيه عبد الرحمن بن حبيب الذى كانت له ولاية افريقية ٠٠ هذا الوالى أراد أن يرهب الاباضية ، فعمد دون سبب معقول أو مبرر الى قتل رئيسهم عبد الله بن مسعود النجيبي (٤) ٠

وقد أثار ذلك أصحابه ، بل ودفعهم الى الثورة العلنية ضد الحكم القائم المتمثل بالاسرة الفهرية التى يتزعمها عبد الرحمن بن حبيب ٠٠ ولم تفلح محاولات عبد الرحمن

(١) د٠ عمر خليفات : نشأة الحركة الاباضية ـ ص ١٣٧
(٢) الشماخى : سير ـ ص ١٤٢
(٣) على يحى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة الثانية القسم الاول ص ٢٩
(٤) على يحى معمر الاباضية فى موكب التاريخ ـ ص ٣٣ ـ (ج) ٢ ـ القسم الاول ٠

فى التخفيف من أثر مقتل عبد الله بن مسعود ، فقد أعلن عدم رضاه عما فعله أخوه ، وعزله ، وولى مكانه آخر ٠٠ الا أن ذلك لم يخفف من حدة الثورة ، وقد تولى قيادتهم الحارث بن تليد الحضرمى يعاونه عبد الجبار ابن قيس المرادى ـ فقد اختاره له قاضيا ومشيرا وصديقا ٠٠٠

وقد التقى جيش الاباضية بجيش والى طرابلس ـ حميد بن عبد الله العكي ـ وكان النصر فى جانب الاباضية ، وتفرق جيش العكي ، وألقى الاباضية القبض على العكي ٠٠ وعادوا فأطلقوا سراحه ، وخيروه بين البقاء له حقوق المسلمين وواجباتهم ، أو السفر آمنا ، فاختار السفر ٠٠٠

والتف الناس حول الحارث لعدله واستقامته وسـيرته الرضـية ، واهتم لذلك عبد الرحمن بن حبيب ، وصار يرسل الجيش تلو الجيش للقضاء على هذه الامامة التى انتزعت جزءا كبيرا من شمال أفريقيا من الحكم الظالم ، ولكن جميع هذه الجيوش كانت تعود اليه منهزمة (١) ٠٠٠

ومع ذلك فما زال عبد الرحمن يوالى ارسال الجيوش ، ومعاودة الهجوم حتى تمكن آخر الامر من هزيمة الاباضية ، وقتل كل من الحارث وعبد الجبار ٠٠ كما تمكن من اشاعة الفرقة بين الاباضية أنفسهم ٠ وذلك لفترة طويلة قبل أن يعيدوا جمع صفوفهم، ويسلموا أمرهم الى امام دفاع اختاروه عنهم هو أبو الزجار اسماعيل بن زياد النفوسى ٠

وانه ليطول بنا الأمر فيمالو حاولنا تتبع سير الحوادث فى شمال افريقيا ، وما طرأ على الاباضية من أحداث وما شاركوا فيه من حوادث ، وجملة ما يمكن أن يقـال :ـ

ـ ان مذهبهم كتب له الانتشار فى مناطق عديدة من شمال أفريقيا : فى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ٠٠ وما يزأل له أتباع عديدون بتلك البلاد ومنهم فقهاء أجلاء وعلماء كبار ٠ سجل التاريخ لهم صورا مشرقة على جبين الدهر ٠ محفوظة فى السنة الناس ٠ وبين صفحات التاريخ ٠

(١) على يحى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ (ج) ٢ ـ ص ٤٤ ـ ٤٦

ـ ان الاباضية تمكنوا فى مراحل عديدة من تحقيق انتصارات باهرة ، وتولى الامر ، وتحقيق امامة الظهور ·

ـ الاباضية ظلوا على ايمانهم الخالص يدعون الى الاسلام الصحيح الذى يستند الى الكتاب الكريم والسنة المطهرة ·· وان دعوتهم ـ هى دعوة الاسلام ، دعوة أهل الحق والاستقامة ·

ـ ان الاباضية لم يكفروا سواهم من المسلمين ـ ولم يستحلوا دماءهم ، بل عاشوا فى سلام ووئام الا أن يروا ظلما أو يتعرضوا لعدوان ، هنالك ينهضون للدفاع عن الحق ، ورد الظلم ، وسلاحهم الايمان الصادق ، والقلوب المؤمنة الطاهرة المطهرة ·

[illegible]

[illegible]

[illegible]

# الباب الثالث

## أصـول المذهب الاباضي ومصـادرها

**تمهيـد :**

ورد الحديث عن بعض أصول المذهب الاباضى فى ثنايا الفصول السابقة وقد رأينا حتى تكتمل عناصر البحث ، ولنعطى صورة واضحة لأثر الجهود العلمية والفقهية التى كانت لجابر بن زيد ـ أن نخصص هذا الباب لأصول المذهب الاباضى ، نعرض لها بشيء من التركيز ، فى نظرة شاملة تحيط بالأصول والأسس العامة ·

ونود الاشارة الى أننا سوف نعمد الى عدم تناول تفاصيل المذهب ، ولن نعرض للجزئيات ، وسيكون حرصنا فى المقام الأول على أن نحدد ملامح المذهب ، وأن نحلل ما يدعو اليه من عقائد · ولعلـه من الممكن أن نؤكد منذ الآن أنـه لم يدع الا الى الاسلام ، والتمسك بمبادئه السليمة مستقاة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ·

ومن هنا فان حديثنا وان كان يأتى مركـزا وموجزا ، الا أنـه سوف يتنـاول الأصول ، وما تستند اليه ، وسوف نعرض بالدراسة والتحليل لتلك الأصول ليبرز تفردها ، وعمقها ومدى توافقها مع المفهوم الصحيح للدين الحنيف وكونها التطبيق للشريعة الغـراء ، دون تغـال فى تعصب ، ودون الانحراف عن الجـادة ، ودون تفريط أو خروج أو زيغ ·

واننا لندعو الله ، ونحن نتناول أصول المذهب ، أن يكون عوننا فى جلاء وجه الحق ، والاسهام فى الكشف عن جوهر المذهب ، وندفع عنه ما قيل بشأنه فى بعض الفترات من أقوال لا ترعى حرمة البحث العلمى ، ولا وجه الحق ، وانما تلقى جزافا اما عن جهل أو عن غرض ، وكلاهما من شر الآفات التى ابتلى بها بنو الانسان ·

**خطـة ومنهـاج :**

وتناول أصول المذهب الاباضى على النحـو المركز الشامل الذى أشرنا اليـه

يقتضى منا أن نبرز أهم المسائل التى أدت الى قيامه ، والاصول العامة التى تميزه ٠٠ حتى اذا ما أوضحنا ذلك كان علينا أن نعرض لمسألة هامة تناولها الكثيرون بالبحث من قبل ولم يرعوا فيها وجه الحق ، ونعنى بها صلة الاباضية بالخوارج ، وسوف يتبين لنا بعد استعراض الحقائق التاريخية الثابتة أن الاباضية غير الخوارج الذين تطرفوا واستحلوا ما حرم الله ، بل سوف يتضح أن الاباضية كانوا ممـن قاوموا الخوارج وبينوا خطأهم وانحرافهم ٠

وبذلك يكون علينا أن نعرض لأهم ما يقوم عليه المذهب من أصول فى الناحية السياسية ثم فى ناحية العقيدة الاسلامية الصحيحة ٠

ومن هنا ، فسوف نقسم هذا الباب الى فصول أربعة على النحو التالى :ـ

الفصـل الأول : نظرة عامة لأصول المذهب الاباضى ٠

الفصل الثاني : الفرق بين الاباضية والخوارج ٠

الفصل الثالث : الاباضية والقضايا السياسية ٠

الفصل الرابع : الاباضية والعقيدة الاسلامية الصحيحة ٠

## الفصـل الأول

## نظرة عامة لأصول المذهب الاباضي

**تمهيـد :**

أشرنا فى غضون فصول هذه الدراسة لمـا قام به جابر بن زيد من جهد لتأسيس هذا المذهب ، وتوضيح أصـوله ٠٠ وقد كان دور جابـر فى هـذا الشأن عظيمـا وملحوظا ٠٠ ولعل خير ما يلخص هذا الدور ما ذكر مؤخرا فى أحد المؤلفات الحديثة حيث نجد النص الآتى (١) « ان كانت نشأة الاباضية عقائديا وسياسيا بعد السنوات الاولى من خلافة عثمان ( حوالى سنة ٢٩ هـ ) ، أو حين قبل علي بن أبي طالب التحكيم، وبايع الخارجون عن التحكيم عبد الله بن وهب الراسبي أمير للمؤمنين فى سنة ٣٧ هـ ،

(١) النص للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف فى مقدمتها لكتاب ازالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء لمؤلفه الشيخ بن حمود ٠ ص ٢ ـ ٣ بتصرف ٠

الا أن جابر بن زيد يعتبر زعيم المذهب والفكر الاباضى ، وبالرغم من أن أبا الشعثاء قضى معظم حياته العلمية فى البصرة ، وفى عصر سلطان الامويين ، حيث كانت يد الحجاج الحديدية تبطش بكل مناوىء للدولة ، غير أنه التزم برسالته العلمية ، وألف جابر موسوعته العلمية النفيسة التى عرفت باسم « ديوان جابر » وذلك فى النصف الثانى من القرن الاول الهجرى ، ولم يقتصر نشاط جابر بن زيد على التفقه والاستزادة من العلم ، أو على التعليم والتأليف ، بل كان يعمل للرجوع بالدولة الاسلامية الى نهج أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وعثمان فى مطلع خلافته ، وعلي بن أبى طالب قبل التحكيم ٠ وكان يحض تلاميذه على العمل فى قيام الامامة العادلة المبنية على الأصول الصحيحة للاسلام » ٠

واننا لنضيف الى ما تقدم ما قام به من جهود لوضع أسس الدعوة ، وأساليب لاعداد الدعاة ، ونشر الدعوة فى مختلف الامصار ، مما يعتبر هو الأساس لكل الجهود التى أثمرت فيما بعد ، ونقلت الدعوة من مرحلة الكتمان الى مرحلة الظهور ، حيث قامت الامامة الاباضية فى مناطق عدة ، تعلي كلمة الحق ، وتحكم بما أنزل الله ٠٠

وان القاء نظرة عامة على المذهب الاباضى من حيث النشأة والتطور والاصول لتستوجب منا أن نبرز النقاط الآتية :ـ

١ ـ أصالة المذهب الاباضى ٠

٢ ـ استناد المذهب الى صريح الكتاب وصحيح السنة ٠

٣ ـ خلاصة ما يدعو اليه المذهب الاباضى ٠

٤ ـ وسوف نفرد مبحثا لكل نقطة من هذه النقاط ٠

# المبحث الأول

## أصالة المذهب الاباضي

**تمهيد :**

تتضح هذه الاصالة من أصالة مصادره ، وسابقة علمائه ، وشدة اخلاص مؤسسيه ومن تبعهم من فقهاء عالمين ومن مجاهدين صادقين ٠٠

فقد كان جابر بن زيد تابعيا صادقا واماما من أئمة السنة ٠٠

وكان أبو عبيدة مسلم بن كريمة عالما فقيها مخلصا ٠٠

وكان الربيع بن حبيب ـ صاحب المسند ـ من أئمة الحديث وأصدق الرواه ٠٠

وعن هؤلاء أخذ الفقه واصول الدين ، والاحاديث الصحيحة ، وبفضلهم صححت مفاهيم عديدة ، وسلمت العقائد من الزيغ والانحرافات ٠

وكان عبد الله بن اباض ـ الذى نسب المذهب اليه ـ ممن حمل لواء المذهب ، ودافع عنه ، وعمل على نشره ، حتى واجهه الخليفة الأموى فى صراحة بالغة اذ بعث اليه رسالته المشهورة ردا على رسالة الخليفة اليه ٠٠

ولعل فى استعراض بعض الجوانب الفقهية لهؤلاء ما يجلى وجه الحق فيما نحن بصدده ٠

**١ ـ سابقة جابر بن زيد كواحد من أئمة السنة :**

فى استعراضنا لسيرة جابر بن زيد ذكرنا أن الثابت عنه أنه قد روى عـن ابن عباس ، وابن عمر ، وعبد الله بن عمر وأبي هريرة وعائشة أم المؤمنين وغيرهم ٠

وبذلك فان جابر بن زيد أحد التابعين وأحد أئمة أهل السنة ، بل أنه كان الاسبق على غيره من أئمة السنة ، ذلك لأن المؤلفين للسنة انما جاؤا بعده بفترات طويلة ، فقد أخذ جابر بن زيد حظه قبلهم ، وألف وصنف وحقق ودقق وأفاد واستفاد ، وله فضل السبق ٠ والفضل دائما للمتقدم (١) ٠

ولعل صحة ما ذكرنا تتضح عندما نذكر أن الامام جابر بن زيد انما قد توفى فى العقد الأخير من القرن الأول الهجرى ٠٠ بينما أن أبا حنيفة قد ولد فى سنة ٨٠ هـ وتوفى فى سنة ١٥٠ ـ وكان أشهر من دون مذهبه تلميذه أبو يوسف ( ١١٣ـ١٨٣ ) (٢) وولد الامام مالك فى سنة ٩٣ وتوفى فى سنة ٩٧٩ (٣) وكان مولد الامامين الشافعى وأحمد بن حنبل بعد ذلك (٤) ٠

(١) الشيخ سالم بن حمود السيابى ( الفقيه العمانى ) ازالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء ـ ص ١٤
(٢) ابن خلكان ـ وفيات الاعيان (ج) (١) ـ ص ٢١٨
(٣) المرجع السابق (ج) ١ ـ ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦
(٤) ازالة الوعثاء الهامش ص ١١٥

وقد سبق أن ذكرنا « أن أبا الشعثاء قد ألف ديوانه ، الذى كان حمل بعير ـ فيما يروى ـ وكان يذكر بالسنة النبوية المطهرة ، منقولة عن مصادرها الموثقة ، وسلسلتها الذهبية ٠٠ فهو بذلك أول من ألف ودون فى السنة النبوية ٠٠ وكان الامام جابر ـ كما ذكرنا ـ قد تلقى العلم عن الصحابة وبلغ فيه مبلغا كبيرا ، حتى أن ابن عباس كان يقول : اسألوا جابر بن زيد ، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمــه » (١)

ولذلك فقد أقبل نقلة السنة على الأخذ عنه ، فروى عنه البخارى ومسلم فى صحيحهما أحاديث معروفة ، وشهد له الكثير من أهل العلم بالضبط والفطانة والأمانة فنقلوا آثاره فى مؤلفاتهم ، واحتجوا بأبو ابه فى أحكامهم (٢) ٠٠ كما انتفع بعلمه كثــيرون ، وفى مقدمتهم تلامذته ، أبو عبيــدة مسلم والــربيع بن حبيب وأتباعهما وأصحابهمـا ٠٠

وقد عاش جابر بن زيد كما عاش غيره من كبار التابعين يجاهد لاحياء ســنة رسول الله بالقول والعمل ، ويدعو سرا وعملا الى أن الأمة الاسلامية يجب أن تحافظ على شريعة الله لتكون خير أمة أخرجت للناس (٣)

وكان الاباضية يصدرون عن رأيه فى جميع أمورهم ، كما كان يصدر عنه كثير من غيرهم من المسلمين ٠

وقد نقل العلامة السالمي بعض ماورد من أقوال عن جابر بن زيد ، وانها فى جملتها لتكشف عن معدنه النفيس ، وأنه كان العالم الفقيه ، السابق ، الى الفضل ، البالغ درجة عظمى من الكمال ، زعيم المذهب بعلمه وفقهه وسعة أفقه ٠

ـ يقول صاحب العرى الوثيقة فى شرح كشف الحقيقة : كان جابر بن زيد عالما عظيما من أجلة العلماء ، فكان شيخه ابن عباس رضى الله عنهما ، يعرف له أشياء طالما أحال اليه أمثالها ، ولولا فضيلة الصحبة لكان جابر بن زيد فى الجبهة العلمية أول من يحمل العلم الفقهى بين نبغاء الأمة ٠٠ ولذلك روى عنه أكثر أهل المذهب

(١) الدرجينى : الطبقات ـ ص ١٠٥

(٢) على يحيى معمر الاباضية فى موكب التاريخ ـ الحلقة الاولى ـ ص ١٤٣ وما بعدها ٠

(٣) السيابى ازالة الوعثاء ـ ص ٢٧ ـ ٣٢

ووثقه جميعهم ، واعتمدوا على نقله ، وعولوا على ثقته وأمانته ، فكان جابر اذا أشكل عليه شيء من أمر الدين رفع الى أساتذته الاجلاء وأخصهم العبادلة الثلاثة ( عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ) فيبينوا له المنفذ ويوضحوا له الحق من مصدره الصحيح ، فلا يبقى لديه ريب أو شك فاذا تلقى أبو الشعثاء عن أولئك الاعلام مما يتعلق له بأحكام الشريعة ، ولم يظهر له فهم أسراره ، وروح معناه ، عرضه على ترجمان القرآن ، وحبر الأمة ابن عباس وعلى السيدة الجليلة أم المؤمنين ٠٠ والا جاء الى أنس بن مالك ٠٠ أو غيره ٠٠

ويشهد لهذا كله روايته فى المسند عنهم رحمهم الله ورضى عنهم فهو ممن أوتى الحكمة وفصل الخطاب ٠

ـ قال العلامة التنوخى فى مقدمة فتاوى الامام الخليلى رحمه الله تعالى : جابر بن زيد تلميذ ابن عباس الذى كان يقول فيه لمن يأتيه من أهل البصرة مستفتيا : تسألوننى وفيكم جابر بن زيد (١) ٠

وفى تاريخ البخارى عن جابر بن زيد قال : لقينى ابن عمر فقال : جابر بن زيد من فقهاء البصرة ٠

قال : ومذهب الاباضية مبنى على مسند الربيع بن حبيب وأحاديثه مروية عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد عن الصحابة ٠٠

الى أن قال : « وكان العمانيون أحرى أن ينتسبوا فى مذهبهم الى جابر بن زيد ٠٠ وفى حفظى (٢) ـ أى حفظ التنوخى ـ ان عبد الله بن اباض كان يصدر فى كل رأيه عن جابر بن زيد ٠

**٢ ـ اتباع جابر أخذوا عنه وساروا على نهجه :**

وكان أتباع جابر سواء ممن عاصروه أو صاحبوه ، وكذلك من تتلمذوا عليه ، أو تتلمذوا على أتباعه ٠٠ كان كل هؤلاء قد ساروا على الدرب وأخذوا عنه العلم وتفقهوا فيه ٠٠

(١) الفتح الجليل : من أجوبة الامام ابى خليل ـ ص ( و ) ٠
(٢) اى محفوظاته ٠

– كان أبو عبيدة مسلم ممن أخذ العلم عن جابر ، واصبح بعده مرجع الاباضية دون خلاف ·· وقد تولى التدريس – كما أشرنا الى ذلك من قبل – وعنه أخذ العلم خلق كثير ، وقد اضطر لما كان يلقى من عنف واضطهاد الى التستر والتخفى ·· ومع ذلك فلم يسلم من سجن الحجاج ·· وأبو عبيدة هو من وصفه الشماخي بقوله : « تعلم العلوم وعلمها ، ورتب روايات الحديث وأحكمها ، وهو الذى يشار اليه بين اقرانه ، ويزدحم اليه لاستماع ما يقرع الاسماع من زواجر وعظة (١) ·

– وقد حمل العلم عن أبى عبيدة كثيرون الى المشرق والمغرب وهم الذين تحدثنا عنهم وقد عرفوا بحملة العلم · وهم الذين نشروا المذهب ونقلوه ودافعوا عنه فى حضرموت وصنعاء والجزيرة وشمال افريقيا كما ذكرنا ·· كما كان منهم أيضا حملة العلم الى عمـان ··

– وكان من أتباعه أيضا الربيع بن حبيب – وهو الفقيه المشهور ، وصاحب المسند الصحيح ·· وقد أدرك الربيع جابر بن زيد ، وصحب أبا عبيدة ·· وتتلمذ عليه ·· وقد روى الربيع مسنده عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد ·· أو عن ضمام عن جابر بن زيد عن الصحابة ، وأكثرهم رواية عن ابن عباس رضى الله عنه ·

– وقد حمل عن الربيع من أهل عمان العلم من البصرة ونقلـوه الى عمان المشايخ الخمسة المشهورون وهم : أبو المنذر بشير بن المنذر – ومنير بن النير الجعلاني – وموسى بن أبي جابر الأزكوى – ومحبوب بن الرحيل – ومحمد بن المعلى الكندى ·· وقد انتشر بفضل هؤلاء الخمسة العلم فى عمان ، وازدهرت فيها حركة علمية كبيرة وكان الربيع يقول : اخذت الفقه من ثلاثة أبي عبيدة وأبي نوح وضمام بن السائب (٢) ·

ومن هنا « شبهوا العلم بطائر طار من المدينة ، وفرخ بالبصرة ، وطار الى عمان فكانت مقره » ·

وكان عبد الله بن اباض – الذى نسب اليه المذهب – هو المجاهد علنا – المناضل فى سبيل تحقيق الحقائق ، وتصحيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع

(١) الاباضية فى موكب التاريخ – الحلقة الاولى – ص ١٥٨
(٢) ازالة الوعثاء – ص ٤١

من الزور والافتراء ، وكان شديدا فى الله تعالى ، وله مناظرات مع أهل التفلسف كانت الحجة الدامغة (١) ‥ وقد ظل عبد الله بن اباض هو المدافع عن الحق ، المناضل لأهل السوء ، المعترض للباطل عن الانتشار والاشاعة له فى بلاد المسلمين ، المحامى عن أهل الحق ، المناصر لهم ‥ وكان هو المدافع عن « المسلمين » اذ كان جمهورهم فى العراق آن ذاك كجابر بن زيد ، والربيع بن حبيب ، والخليل بن أحمد ومن هم من أضرابهم من أهل العلم كأبى عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، وضمام بن السائب، وكلهم أئمة علم ، وحملة لشريعة الاسلام .

٣ ـ الخلاصـــة :

ومما تقدم يمكن لنا أن نخلص الى الحقائق الآتية :ـ

ـ ان المذهب الاباضى انما قد أخذ أصوله ، وبنى قواعده وعقائده على أقوى الاسس وامتنها ، مأخوذة من القرآن الكريم والسنة الثابتة المطهرة .

ـ ان امام الاباضية فى ذلك هو جابر بن زيد الذي تلقى العلم وحفظه ، والذى تفقه فى الدين ، وأفتى ، وقد أخذ ذلك كله عن الصحابة الأجلاء وأخصهم العبادلة الثلاثة .

ـ ان آراء الاباضية وقد بنيت على هذه الأسس السليمة القوية وقد استمدت أصـولها من تلك المنابع الصـافية لتبـدوا خالصة لوجـه الله ، متوافقة مع شرعه لاتحيـد عنـه .

المذهب الاباضى يكون بذلك « أول المذاهب المعتدلة الصحيحة ، وأول مذهب ثبت الأصول الثابتة نشأة ، وأقربها الى عصر النبوة .

(١) الشماخى السير ـ ص ٥٠

## المبحث الثاني

## استناد المذهب الى صريح الكتاب وصحيح السنة

**١ - الاباضية والكتاب والسنة :**

يقول علماء الاباضية فى أكثر من موضع (١) : نحن على هذا من أول العهد ، نعرف بالاباضية معرفة تمييز ، ونحن أهل الاستقامة وأهل الحق فى الاسلام تحقيقا على قواعد الكتاب العزيز ٠٠ وأكثر علمائنا فى الصدر الاول الامام أبو الشعثاء ٠٠ الا أننا لا نتحيز لمذهب خاص ونترك ما سواه بل مذهبنا مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومذهب ابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدرى ، وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومذهب الخلفاء الراشدين ٠

فان كان لهؤلاء مذهب خاص فهو مذهبنا - والا ، فمذهبنا القرآن والسنة حلالهما حلالنا ، وحرامهما حرامنا ، لانبغى بهما بديلا ، ولا ننهج عنهما سبيلا ، ولا نقلد غيرهما اذا لزم التقليد ، هما اللذان أوصانا نبينا عليه الصلاة والسلام باتباعهما ٠

**٢ - طبقات تسلسل ما عليه المذهب الاباضى :**

وقد أورد العلامة السالمي - فى كتابه تحفة الاعيان ٠٠ السلسلة التى يقول بها الاباضية ، ويرفعون المذهب الاباضى على أسس من حلقاتها ٠٠

يقول رحمه الله فى ذكر من أخذوا عنه دينهم الصحيح (٢) :

« من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل الثقات الفضلاء ٠٠ أخذوا ذلك عن أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ ابن جبل وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي ذر ، وسلمان ، وصهيب ، وبلال وأبي بن كعب ، وزيد بن صوحان ٠٠ ولأصحابنا فى آثارهم أخذ كثير عن غيرهم ٠٠ ومن بعدهم عبد الله بن وهب الراسبي وأصحابه الذين جاهدوا

(١) راجع على سبيل المثال : تحفة الاعيان للسالمى ، والكشف والبيان للقلهاتى - والذهب الخالص للشيخ محمد بن يوسف اطفيش ٠

(٢) تحفة الاعيان - ص ٨٥

معه يوم النهروان حتى استشهدوا ـ رحمهم الله ـ على الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ثم من بعدهم فروة بن نوفل الأشجعى ، ووداع بن حوترة الأسدى ، ومن شهد معهما يوم النخيلة ، ثم قريب والزحاف ، ثم عروة ومرداس ابنا حدير وأصحاب مرداس الذين دعوا الى دين الله حتى استشهدوا عليه ، ثم جابر بن زيد ، وصحار بن عباس ، وجعفر بن السماك ، وعبد الله بن اباض ، وأبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ٠٠ ثم عبد الله بن يحي الامام طالب الحق والمختار بن عوف وأبو الحر علي ابن الحصين ومن استشهد معهم ، ثم الربيع بن حبيب وضمام بن السائب ٠٠٠ الخ » ٠

وانه ليتضح مما تقدم حرص السالمي على ايراد جميع من أخذ أو روى عنهم المذهب الاباضى حتى وان لم يكونوا من الفقهاء الكبار ٠٠

٣ ـ الخلاصـــة :

على أنه يمكن لنا أن نلخص من كل ما تقدم الى ما يأتى :ـ

ـ ان جابر بن زيد فى ايضــاح أسس المذهب انما كان مســتندا الى القــرآن الكريم ٠٠ وكان حريصا على العمل به ، وبث ذلك بين أتباعه وتلاميذه، وان مدرسته قامت على حسن فهم الكتاب الكريم والعمل به والالتزام بأحكامه نصا وروحا ٠

ـ تلـقى جابر الأحـاديث النبـوية الكـريمة عن أوثق مصــادرها ٠٠ عن أكرم الصحابة وأكثرهم فقها ٠٠ وان جابرا بعقليته الممتازة ، وروحه السمحة ، وما أفاض به الله عليه من الهام استوعب ذلك كله وتشربه ، وراح ينشره ، لتلاميذه ويلقنه لاتباعه فكان أولئك أعلاما فى الفقه والدين ٠

ـ ان حملة العلم الذين حملوا المذهب الى مختلف الأمصار كانوا ممن تربوا فى مدرسة أبي عبيدة وهو تلميذ جابر الفقيه ٠٠ وكانوا بالتالي أهل فقه وعلم ودين ٠٠

ـ المذهب الاباضى قام على اسس واضـحة ومتينة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وانه بالتالي قد برىء من النزعات المنحرفة ، والآراء الضالة ٠٠

ـ المـذهب ـ معنـاه هـو الفهـم الصـحيح للاسـلام والتطبيـــق الواضـح لأسسه ومبادئه وقيمه ٠

ولعل ذلك يدعونا الى أن نورد خلاصة لـما يدعو اليه المذهب مستمدة مما كتبه علمــاء الاباضية ٠

# المبحث الثالث

## خلاصة ما يدعو اليه المذهب الاباضي

ننقل هذه الخلاصة عن المصادر الاباضية ، اذ هم أولى بعرض معتقداتهم ، وذكر ما يدعو اليه ، واننا اذ نورد بعض هذه النصوص ، فاننا سوف نتبعها تلخيص ما يدعون اليه ، وما يقوم عليه المذهب من معتقدات ··

**١ ـ ما أورده صاحب الكشف والبيان :**

حرص الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد الازدى القلهاتي فى ذكره للفرق الاسلامية على أن يورد انقسام كل فرقة الى فرق عديدة ·· وقد أورد كل تلك الفرق و « احتجاجاتها وقولها والحجة عليها من كتاب الله وسنة نبي الله صلى الله عليه وسلم واجماع الأمة » ·

ـ وقد قدم لدراسته بقوله : اجتمعت العلماء والاحبار ورواة الاخبار ونقلة الحديث على صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم : افترقت المجوس على سبعين فرقة ، واليهود على احدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة ، والناجية من جميع الفرق فرقة ، ولقد قيل له : يارسول الله ، صف لنا الفرقة الناجية · فقال صلى الله عليه وسلم : الناجي من اتبع كتاب الله وسنتي ، أما قرأتم كتاب الله حيث يقول : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر (١) ··

(١) هكذا أورد القلهاتى الحديث فى مؤلفه ( ص ٣٢٣ ) ـ وقد ورد الحديث فى مسند الامام الربيع ـ يراجع الجزء الاول من شرح الجامع الصحيح ( ص ٦٦ ) بالصيغة الآتية : عن أبى عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهن الى النار ما خلا واحدة ناجية ·· ويذكر الشارح أن حديث افتراق الامة أخرجه أبو داود والترمذى ، وقال حسن صحيح وابن ماجه عن أبى هريرة رفعه : افترقت اليهود على اثنتين وسبعين فرقة والنصارى كذلك وتفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة ـ قالوا من هى يا رسول الله ، قال : ما أنا عليه وأصحابى ·

ـ وبعد استعراض القلهاتي لمعتقدات كل الفرق ، يورد فى الختام ـ وكأنه يشير بذلك الى أن تلك هي الفرقة الناجية التى تحدث عنها الرسول الكريم ٠

وفى هذا يقول القلهاتي :

« وهي الفرقة المحقة التى هى على الكتاب والسنة والاجماع » ٠

وقد أورد القلهاتي بعد ذلك ما يقوم عليه المذهب الاباضي من معتقدات ٠٠ فذكر (١) :

ان الايمان قول وعمل واتباع سنة ، وانه ليس فيه اعتلال على أحد بالجنات ، ولا ميلولة الى هوى ، وانما هو اتباع سبيل التقوى والايمان ، أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره ووعده ، ووعيده ، والبعث ، والحساب ، واليوم الآخر ، وتصديق ما جاء به الانبياء من ربهم ، وأن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،وأن لله ثوابا لا يشبهه ثواب ، وعقابا لا يشبهه عقاب ، وأن نؤمن بالقدر خيره وشره ، وأن الله خالق كل شيء ، ولا خالق سواه ، وأنه لا يخلف وعده ولا يبطل وعيده ، وأنه صادق فيما قال ، وأن كل ما جاء به محمد بن عبد الله من عند الله فهو الحق المبين ، لاشك فيه ولا ارتياب ، وأن الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، ولا تحويه الأقطار ، وهو الله لا اله الا هو الواحد القهار ٠٠

والاسلام من الايمان وهو شهادة أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وأن ما جاء به محمد بن عبد الله فهو الحق المبين لا ريب فيه ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور (٢) ٠

وأن مالا يتم الاسلام به أمور عدة هي :

ـ الصلاة بحدودها وفرائضها وسننها والعلم بوجوبها ، والطهارة والوضوء لها ، واقامتها لوقتها ، وعلى البقعة الطاهرة واستقبال القبلة بها ، والمواظبة عليها ٠٠

(١) القلهاتى : المصدر المشار اليه ـ ص ٤٧١ ـ ٤٧٧

(٢) المصدر المشار اليه ص ٤٧١ ـ ٤٧٢

ـ والزكاة فيما أوجب من صنوف الاموال التى تجب فيها الزكاة ·

ـ وصيام شهر رمضان ··

ـ والحج الى بيت الله الحـرام ·

ـ وصلة الأرحام ، وبر الوالدين والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر المخوف ، والجهاد فى سبيل الله ، وايتاء ذى القربى حقوقهم والجار وابن السبيل ، وأداء الأمانة والقيام بالشهادة ، والقيام بالقسط ، والعمـل بالحق ، وغض النظـر عن المحارم ، وحفظ الفروج ، وترك القول بالزور ، وترك العمل بالفجور ، وترك الخيانة ·

ـ وترك الحرام ، واستحلال الحلال وطاعة ذى الجلال والانتهاء عما نهى الله عنـه ورسـوله ·

ـ وقتال المحاربين الممتنعين عن الحق حتى يؤخذوا بما وجب عليهم أو ينفوا من الأرض ، واقامة الحدود ··

ـ وتحريم عقوق الوالدين ، والوفاء بعهد الله على طاعته ، ونقض كل عهد على معصية ·

ـ والولاية لأهل طاعة الله لله وفي الله ، ومفارقة أعداء الله لله وفي الله ، والولاية لجميع أولياء الله ، والبراءة من جميع أعداء الله ·

ـ ولين الجانب وحسن الصحبة ··

ـ وتحريم الحسد والبغى فيما يعرف حله من حرامه ، وتحريم أكل الربا ، وتحريم القول بغير علم ··

ـ والولاية لكل من عمل بالحق ، والبراءة ممن أثبت الايمان لمن لا يجتنب محارم الله ، وانتهكها ، وعمل بمعاصيه ، وشك فى وعد الله ووعيده ··

ـ وقـد اسـتعرض بعـد ذلك آراء الاباضـية فى البراءة ( ممـا سـنعرض له فى الفصل الأخير من هذا الباب ) ·

وقال : فهذه سنن وفرائض ، نقلها الينا صادق عن صادق ، ولم نقلد ديننا أهل الضلال ، ولا رضينا بحكومة الرجال ، ولا نأخذ ديننا عن السفهاء الجهال ، لأننا سمعنا رب العالمين يقول فى محكم كتابه المبين : « يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله ، وكونوا

مع الصادقين » ، ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، ـ فاتبعنا الصادقين الذين عرف صدقهم وشهرت عدالتهم ، بلغ فى العلم والعمل ، الاتقياء الابرار ، الفضلاء الأخيار ، فى الورع والنزاهة ، والعقل والنباهة ٠٠ المتنافسون فى قواعد الدين وحقائقه ، والمتغلغلون فى غوامضه ودقائقه ، الذين أوضحوه للناس ، ونزهوه عن الادناس ، وتناقلوه سلفا عن سلف ، وحملوه خلفا عن خلف ، فقفوناه على الحقيقة ، ووجدناه أفضل طريقة ، نشهد لمتحليه بالفوز والخلاص ، ونحكم لمعتقديه بالسلامة يوم القصاص ٠٠ والله سبحانه وتعالى نسأله السداد ، وهو ولى التوفيق والاسعاد » (١) ٠

**٢ ـ ما أورده صاحب تحفة الاعيان :**

تحدث الشيخ السالمى عن عقائد الاباضية فى أكثر من موضع ٠٠ بل ان منظومته « أنوار العقول » تضمنت كل عقائد الاباضية ٠٠ كما أن هناك ٠٠ كتابه الكبير : مشارق أنوار العقول ـ فى شرح هذه المنظومة شرحا مفصلا مطولا الى جانب شرحه ( لهذه المنظومة بكتابه بهجة الأنوار ) ٠

كما أنه قد تعرض فى كتابه تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان لذكر عقيدتهم التى هى العقيدة الصحيحة ٠٠

وقد آثرنا أن ننقل عن هذا الكتاب الأخير بعضا مما أورده من تلخيص فى شأن عقيدة الاباضية ٠٠ وسوف نعتمد على ما أورده فى كتابه الآخير الى جانب مصادر أخرى عندما نتعرض لبعض جوانب العقيدة بالتفصيل فى الفصل الاخير من هذا الباب ٠

يذكر الشيخ السالمي فى كتابه تحفة الأعيان (٢) أن الاباضية من أهل عمان ، على السبيل الأول ، لم يبدلوا ولم يغيروا ٠٠ والاباضية هم أهل الطريق القويم ، وأهل الصراط المستقيم ، الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ودعا العرب والعجم اليه ، وجاهدهم عليه ، حتى دخلوا فيه رغبا ورهبا ، وعليه لقى ربه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليه مضى الخليفتان الراضيان حتى لقيا ربهما ، وعليه مضى عثمان بن

(١) المصدر السالف الذكر ـ الجزء (٢) ـ ص ٤٧٧

(٢) السالمى : تحفة الاعيان ـ ص ٧٩ ـ ٨٤ (ج) ١ ببعض تصرف ٠

عفان فى صدر خلافته ·· وعليه مضى علي بن أبي طالب عندما قاتل أهل الفتنة القائمين لقتاله حتى قتل منهم ألوفا ، حتى رجع ، وحكم الرجال على حكم أمضاه الله ليس لأحد أن يحكم فيه برأيه ··

فاعتزله المسلمون عند ذلك ، وقدموا على أنفسهم اماما وهو عبد الله بن وهب الراسبي ، فسار اليهم علي فقاتلهم بالنهروان ·· فبقى من بقى منهم فى الأمصار والنواحى ، وهم خلق كثير ، فبقوا متمسكين بما وجدوا عليه أسلافهم عاضين على وصية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، فنصبوا على ذلك الائمة ، واذهبوا فى رضا الله الانفس ·· فأظهروا للناس معالم الاسلام ، وذكروهم بسيرة النبى عليه الصلاة والسلام · فأمرنا تبع لأئمة المسلمين قبل نزول الفتنة ، ورأينا اليوم تبع لرأيهم ، وتأويلنا القرآن تبع لتأويلهم ، لسنا ممن يزعم أنه قد أفاد اليوم علما فى القرآن والسنة حتى غلبهم ··

وقد أورد بعد ذلك تلخيصا لعقائدهم بما لا يخرج عما ذكره القلهاتي ·

٣ ـ خلاصة :

وانه ليتبين بجلاء ان الاباضية انما تقوم عقيدتهم على الفهم الصحيح للاسلام مأخوذا من موارده ومنابعه الاولى ··

ـ فهم يعتبرون أنفسهم الفرقة الناجية التى ذكرها رسول الله عليه الصلاة والسلام فى حديثه ، لأنهم أهل الاستقامة الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله · صلى الله عليه وسلم ·

ـ وهم يأخذون بسنة خليفتى رسول الله الراشدين أبي بكر وعمر ·· كما يأخذون بسنة عثمان وعلي فى صدر خلافتهما الأولى حتى غير وبدل ، والثانى حتى قبل التحكيم ··

ـ والاباضية بعد ذلك لم يأخذوا شيئا عمن ولي الأمر من الامويين وانما كان لهم امامهم : الراسبي ، ثم جابر بن زيد ، ثم أبو عبيدة ومن خلفه ·· وكلهم يأخذون بالسنن المحمدية على النحو الذى ذكرنا ··

ـ والاباضية لذلك قد فارقت كل الفرق الاخرى : لما يراه الاباضية من أن تلك

الفرق وان اتفقت معهم فى أمور الا أنهم يخالفونهم فى أمور أخرى ٠٠ والاباضية لا يرون الا العودة الى كتاب الله وسنة نبيه والتمسك بهما دون خروج أو تحريف أو تبديل ٠٠

والاباضية يرون أن الايمان قول وعمل ونية واتباع سنة ، وأنه ايمان بالله وملائكته ورسله والغيب واليوم الآخر ٠٠ وايمان بأن الله متفرد فى ذاته وصفاته ٠٠ وأن الايمان يوجب العمل بأركان الاسلام كما أنزلت والتمسك بأحكامه كما وضعت ـ والتخلق بأخلاقه سلوكا وعملا ٠٠

ـ والاباضية يوالون كل من يعمل بالحق ويبرأون من كل من لا يتجنب محارم الله ٠٠

ـ تلك هى أسس العقيدة عند الاباضية ٠٠

على أن ذلك اجمال لا يغنى عن تفصيل فى بعض الأمور التى انفرد فيها الاباضية بآراء استمدوها من الكتاب والسنة ، وخالفوا فيها ما قالت به بعض المذاهب الأخرى مما سنعرض له بشيىء من التفصيل فى الفصلين الأخيرين من هذا الباب ٠

## الفصل الثاني

## الفرق بين الاباضية والخوارج

ينسب البعض الاباضية الى الخوارج ، فيذكرون أن الاباضية احدى فرق الخوارج ٠٠ وتثبت الحقائق التاريخية والدراسات الفقهية أن الاباضية ليسوا من الخوارج ٠ وان كنا قد عرضنا لذلك فى ثنايا هذه الدراسة فى أكثر من موضع ، الا أننا نرى أن مقتضيات البحث تستلزم أن نفرد هذا الفصل لدراسة تلك القضية ، فنجلى وجه الحق فيها ٠

واننا سنبين أول الأمر ماذا يعنيه اصطلاح الخوارج ٠٠ واذا ما خلصنا الى تحديد ذلك كان لنا أن نتساءل ما هى الشبهة التى دفعت البعض الى القول بأن الاباضية من الخوارج ؟ لنمضى من بعد نفند هذه الشبهة وندفعها وندحضها بما هو ثابت من الوقائع التاريخية ومن صحيح أقوال زعماء المذهب وسلوك أئمتهم وقادتهم ٠

# المبحـث الأول

## ماالمقصـــود بالخـــوارج ؟

**مفهـوم الخـــروج :**

ربما كان مفهوم الخروج ـ أول الأمر ـ يدور حول معنى سام ولا يدل على ما انتهى اليه على يد بعض من وصفوا بالخوارج ٠٠

فقد كانت فكرة الخروج من الأفكار التى قيل بها فى مجال الثبات على المبدأ بعمق ووفاء ، والحرص على طبع الواقع الاجتماعى الاسلامى بطابع أخلاقى يكاد يكون مطلقا (١) ٠٠

وللخروج معنى قرآني اسلامى ، فانه يطلق على الجهاد فى سبيل الله قال الله تعالى : ( ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت ، فقد وقع أجره على الله ) (٢) ٠٠ وقال : ( ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم ، فثبطهم ، وقيل اقعدوا مع القاعدين ) (٣) وفيه أيضا قوله تعالى : ( فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عـدوا ) (٤) ، ويقابل الخـروج التخلف والقعود ـ ويقابل الخوارج : القاعدون والخوالف ، والخالفون ـ قال تعالى : ( فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ) (٥) ، وقوله : ( انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ) (٦) وقوله ( رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع على قلوبهم ، فهم لا يفقهون ) (٧) ٠

على أن هذه المعانى الكريمة ليست هى المقصودة دائما عندما نطلق كلمـة الخوارج ٠

(١) د٠ عمار طالبى : آراء الخوارج الكلامية ـ ص ١٥ ـ ١٨
(٢) سورة النساء آية ١٠٠
(٣) سورة التوبة آية ٤٦
(٤) سورة التوبة آية ٨٣
(٥) سورة التوبة آية ٨١
(٦) سورة التوبة آية ٨٣
(٧) سورة التوبة آية ٨٧

## من هم الخــوارج ؟

سمى الخوارج بهذا الاسم بسبب خروجهم من الكوفة الى النهروان وكان ذلك فى أول أمرهم ‥ ولم يكن خروجهم فى ذلك الوقت خروجا عن الدين أو مروقا عن الجادة أو الأمة ‥ بل لعل العكس هو الصحيح ، فمن الثابت ـ كما ذكرنا من قبل ـ أن الامام علي بن أبي طالب، لما سئل عن هؤلاء ووصفوا امامه بالكفر، والمروق قال كرم الله وجهه بل من الكفر فروا ونفى عنهم النفاق ، ولما سئل : أهم منافقون ـ قال : ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا ، وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلا (١) ٠

ولسنا فى مقام تحليل هذا القول والرد عليه ، انما نقصد من ايراده الى اثبات أن الخروج فى هذه المرحلة كان مقصودا به التعبير عن واقعة معينة فى ظروف معينة ولم يقصد به الخروج عن الدين بحال من الاحوال ‥ بل وصف المذكورون بأنهم من الكفر فروا ‥

غير أنه من الثابت بعد ذلك افتراق أمر هؤلاء الخوارج ‥ لأنه بعد واقعة النهروان عمد البعض منهم الى سلوك طريق لا يتفق مع الأصول الصحيحة للشريعة الغراء ، وأحدثوا فى الاسلام حدثا كبيرا بما استحلوا من استعراض المسلمين بالسيف ، وتكفير أهل القبلة الذين لايذهبون مذهبهم ‥ وتفرق هؤلاء الخارجون الى فرق عديدة كان منها الازارقة والصفرية والنجدات ‥ وهؤلاء هم الذين أصبحوا يعرفون بالخوارج ، ويعنى وصفهم بذلك أنهم خارجون على الدين ومارقون ، بما استحلوا من المحرمات وما خالفوا فيه الأحكام الصحيحة للاسلام ٠

أما الاباضية ـ وهم عرفوا بجماعة المسلمين أهل الحق والاستقامة ـ فهم لا يرون رأى هؤلاء الخوارج ، بل يرونهم مارقين خارجين عن الدين ‥ ورغم أنهم يوالون المحكمة الأولى ـ وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبى ـ الا أنهم لم يوافقوا الازارقة ومن والاهم من بعده ، بل تبرأوا منهم ، ولم يذهبوا مذهبهم ٠

وعلى ذلك ، فالخوارج ، بهذا المعنى هم غير الاباضية ‥ ولا يمكن اعتبار الاباضية احدى فرقهم ، والا فكيف نجمع بين النقيضين فى صعيد واحد ؟ وكيف نصفه

(١) الكشف والبيان الجزء (٢) ـ ص ٢٥٢

من يتمسك بصحيح الاسلام ولا يكفر أصحاب القبلة ولا يستحل دماء المسلمين ولا أموالهم الا دفعا لبغى أو ردا لعدوان ·· كيف نصف هؤلاء بأنهم من الخوارج الذين أبو الا مفارقة الجماعة والخروج عليهم واستعراض المسلمين بالسيف واستحلال دمائهم وأموالهم بغير حقها وذهابهم الى تكفير هؤلاء ؟

ان الحقيقة الواقعة ان الخوارج فى ناحية ·· والاباضية فى ناحية أخرى ·· وكلا الفريقين على طرفى نقيض ·· واذا كان الاباضية قد ولوا المحكمة الاولى الا أن ولاءهم لم يكن لمن خرج من بعد ذلك على الدين وكان سلوكهم مروقا وعصيانا ·

## المبحث الثاني

### لماذا قيل بأن الأباضية احدى فرق الخوارج ؟

لماذا قيل بأن الاباضية احدى فرق الخوارج ؟

ـ يجيب العلامة أبو اسحاق على ذلك بقوله (١) :

« اطلاق لفظ الخوارج على الاباضية أهل الحق والاستقامة من الدعايات الفاجرة ـ التى نشأت عن التعصب السياسى أولا ، ثم عن المذهبى ثانيا ، لما ظهر غلاة المذاهب ، وقد خلطوا بين الاباضية ، والازارقة ، والصفرية ، والنجدية ·· فالاباضية أهل الحق لم يجمعهم جامع بالصفرية ، والازارقة ، ومن نحا نحوهم الا انكار الحكومة بين علي ومعاوية ، وأما استحلال الدماء والاموال من أهل التوحيد والحكم بكفرهم كفر شرك ، فقد انفرد به الازارقة والصفرية والنجدية ، وبه استباحوا حمى المسلمين ·· ولما كان مخالفونا لا يتورعون ، ولا يكلفون أنفسهم مؤنة البحث عن الحق ليقفوا عنده ـ خلطوا بين الاباضية ـ أهل الحق ـ الذين لا يستبيحون قطرة من دم موحد بالتوحيد الذى معه ، وبين من استحلوا الدماء بالمعصية الكبيرة حتى قتلوا الأطفال تبعا لآبائهم ، مع أن الفرق كبير جدا كالفرق بين المستحل والمحرم ·· فماذا بعد الحق الا الضلال ؟

ـ وعلى ذلك فان السبب الاول هو ما ذهب اليه من يتولاهم الاباضية من

(١) السالمى : تحفة الاعيان ـ ص ٦ ـ هامش ـ الجزء الاول

المحكمة الاولى من انكار التحكيم ٠٠ فان الخوارج الآخرين قد شاركوا فى انكار التحكيم ، فكانت ـ من ثم ـ شبهة الجمع بين كل منكرى التحكيم فى صعيد واحد ٠

ـ أما السبب الثانى فان تسمية الخوارج لم تكن معهودة فى أول الأمر ، وانما هى انتشرت بعد استشراء أمر الأزارقة ، ولم تعرف هذه التسمية فى أصحاب علي المنكرين للتحكيم والراضين به ، ولعل أول ما ظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الامر لمعاوية والاستقرار (١) ٠٠ فان الامويين أطلقوا هذه التسمية على كل من يعارض « ملكهم العضوض » ، ولم يفرقوا فى ذلك بين من هم على الحق والاستقامة ( الاباضية ) وبين سواهم من متطرفى الخوارج كالأزارقة ٠٠ ويكفى أن كل هؤلاء لم يكونوا من المؤيدين المتحمسين لبنى أمية ٠٠

ولعلنا بعد ذلك يصبح فى امكاننا أن نرد الشبهة وندفع التهمة عن الاباضية فهم ليسوا احدى فرق الخوارج بالمعنى الذى يسلكهم مع سواهم بل الاباضية فى ميزان العدالة ٠

## المبحث الثالث

## دفع شبهة الخارجية عن الاباضية

فى دفع هذه الشبهة سوف نعرض لبعض الوقائع ، ثم نعرض لتحليل آراء الخوارج ـ وبصفة خاصة الازارقة ـ

**١ ـ بعض الوقائع التاريخية :**

ـ من الثابت أن الاباضية لم يسلوا السيف على أحد من أهل التوحيد قط ، ولم تقع منهم حرب ضد أحد من المسلمين ، وحتى عند اشتداد الازمة من الحجاج ابن يوسف الثقفى ، وزياد بن أبيه ، اللذين اشتد فى مطاردة « المسلمين » لمجرد الظنة ، فانهم صمدوا وصبروا ٠

ـ من الثابت أن نافع بن الازرق خرج من البصرة الى الاهواز ، فغلب عليها

(١) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش : الفرق بين الاباضية والخوارج ـ ص ٩

وعلى من والاها من بلاد فارس وكرمان ، وتابعه البعض ، وكانت خيله ـ فيما يروى (١) ـ ثلاثين ألفا ـ وقد خاف أهل البصرة على أنفسهم وعجزوا عن حرب الخوارج ، فاستجاروا بالمهلب بن أبي صفرة الازدى العمانى القائد العظيم المشهور ، فخرج الى حرب الازارقة وانتصف منهم ، وقتلهم ، واستولى على جميع ولايتهم ٠٠ ومن الثابت تاريخيا أن أسرة آل المهلب كانوا اباضية ، وكانوا على اتصال وثيق بالامام جابر بن زيد الازدى ، ولم يبذل المهلب فى قتال الخوارج والقضاء عليهم ما بذل الا لعلمه بعدم العلاقة بينهم وبين الاباضية وبالفرق الكبير بين منهج الطائفتين ٠

ـ من الثابت أيضا أن قتال الامام الجلندى بن مسعود لشيبان الخارجى ، وهو من الصفرية ، عندما قدم فى جيش الى عمان هاربا من السفاح ـ الحاكم العباسى ـ ودارت معركة بين جيش الامام الجلندى وبين شيبان وأصحابه ، وأسفرت المعركة عن مقتل شيبان وجنوده (٣) ٠

ـ ومما يروى أن هلال بن عطية الخراسانى الذى صار القائد الأول فى جيش الامام الجلندى بن مسعود كان على المذهب الصفرى ، ثم اعتنق المذهب الاباضى ، ولم يقبل منه الاباضية الانضمام اليهم الا بعد أن يرجع الى الذين دعاهم الى مبادىء الخوارج ، ويعلمهم ببطلان تلك المبادىء والآراء التى دعاهم اليها ، ثم عاد الى عمان فكان قائدا ووزيرا للامام الجلندى بن مسعود (٤) ٠

## ٢ ـ أراء الأزارقة وغيرهم من فرق الخوارج :

ـ لقد حرص ابن اباض فى رسالته الى عبد الملك بن مروان أن يقرر رأيه بصراحة فى ابن الأزرق ٠٠ فذكر فيها قوله :

« انا براء الى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه ٠ لقد كان حين خرج على

(١) القلهاتى الكشف والبيان جـ (٢) ـ ص ٤٤٣

(٢) مقدمة رسالة ( الفرق بين الاباضية والخوارج ) للشيخ ابى اسحاق ص (٢) ٠

(٣) السالمى : تحفة الأعيان ـ ص ٩٤

(٤) مقدمة الرسالة للشيخ اطفيش المشار اليها ـ ص ٣

الاسلام فيما ظهر لنا ، ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد اسلامه فنبرأ الى الله منهم » . (١)

ـ وقد عرض القلهاتي بالتحليل لآراء الأزارقة :

« الازارقة امامهم أبو راشد نافع بن الأزرق ، وهو أول من خالف اعتقاد أهل الاستقامة ، وشق عصى المسلمين ، وفرق جماعتهم ، وانتحل الهجرة وسبى أهل القبلة وغنم أموالهم ، وسبى ذراريهم ، وسن تشريك أهل القبلة ، وتبرأ من القاعد ولو كان عارفا لأمره تابعا لمذهبه ، واستحل أعراض الناس بالسيف ، وابتدع اعتقادات فاسدة ، وانتحل الهجرة وحرم مناكحتهم وذبائحهم وموارثتهم ، وابتدع اعتقادات فاسدة ، وآراء حائدة خالف فيها المسلمين أهل الاستقامة فى الدين » (٢) .

ـ وقد عرض كذلك لسائر فرق الخوارج الأخرى فقال :

« وجميع أصناف الخوارج ـ غير أهل الاستقامة ـ اجتمعوا على تشريك أهل القبلة ، وسبى ذراريهم ، وغنيمة أموالهم ، ومنهم من يستحل قتل السريرة والعلانية ، واعتراض الناس بالسيف على غير دعوة ، ومنهم من يستحل قتل السريرة وهم مختلفون فيما بينهم ، يقتل بعضهم بعضا ، ويغنم بعضهم مال بعض ، ويبرأ بعضهم من بعض ، وانتحلوا الهجرة ، وحرموا موارثتهم ، ومناكحتهم ، وأكل ذبائحهم » .

**٣ ـ وقفة وتحليل :**

تلك هى آراء الخوارج .. وهم لم يقفوا عند حد ابتداء تلك الآراء ، بل اتبعوا القول بالعمل ، وذلك بالصورة التى أشرنا اليها فيما سبق .

واننا هنا لموردون تحليلا لهذه الآراء ثم نتبعه بتلخيص لما ذهب اليه الاباضية من قول وعمل .

ـ وفى نقضنا لآراء الخوارج ، فاننا نعمد الى الاباضية أنفسهم ، لنقرأ صريح قولهم ، وصادق آرائهم بالنسبة لما قال به الخوارج .

يقول القلهاتي :

ـ أما انتحالهم الهجرة فكذب على الله ورسوله وتحريف لتأويل القرآن وخلافه

(١) البرادى ـ الجواهر المنتقاه ( رسالة ابن اباض ـ ص ١٥٦ ـ ١٦٧

(٢) القلهاتى : الكشف والبيان ج (٢) ص ٤٢٣

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ فقد قال الرسول عام الفتح « لاهجرة بعد اليوم » فهذا يدل على خطأ الخوارج ٠

ـ وأما نقض ما احتجو به من تشريك أهل القبلة واستعراضهم بالسيف ، فان الله سبحانه وتعالى حكم فى أهل القبلة خلاف ما حكم فى المشركين ، وانه لم يحكم فى أهل البغى السبى والغنيمة ، وانما حكم فيهم بدمائهم ، وأحلها ان بدأوا بعدوان فعلى الآخرين أن يدافعوا عن أنفسهم ٠

ـ وأما تشريكهم أهل القبلة وتحريم مناكحتهم وموارثتهم ـ فان « جماعة الدعوة بعد قتل عثمان بن عفان بثلاثين سنة أو ماشاء الله من ذلك أمرهم واحد وكلمتهم جامعة ، وسيرتهم مرضية ، لا ينقمون على قومهم الا ما أحدثوا من الجور ، ولا يعيبون عليهم شيئا ما تمسكوا بالعدل ، يناكحونهم ، ويوارثونهم ، ويصلون معهم ، ويحجون معهم ، ويأكلون ذبائحهم ويؤدون اليهم الأمانات ، ويعلمون أن الله لا يقبل منهم شيئا من أحداثهم حتى يعلموا بحكم كتاب الله ، وسنة نبيه ، ويستكملوا جميع حق الله ، ويفيئون الى أمر الله ، ويعرفون أنه ليس بمنزلة حرب رسول الله من أهل الأوثان ، لانهم لو كانوا يرونهم تلك المنزلة ، ما ناكحوهم ، ولا وارثوهم ٠

ـ ومما أضل الله به ( الخوارج ) وأعمى أبصارهم أنهم يشهدون على أنفسهم أن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ، وأنهم مشركون مالم يخرجوا ، وأنهم اذا خرجوا استعرضوا الناس بالسيف ، واستحلوا منهم ما حرم الله عليهم من الدماء والاموال والفروج ٠٠ ويتأولون لذلك قوله تعالى : ( ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاؤلئك أتوب عليهم وانا التواب الرحيم (١) ، وفى هذا نورد رأيا لكاتب حديث ممن عنوا بدراسة المذهب الاباضى وجعلوه موضوعا لدراسات جامعية وهو الدكتور عمار طالبى فقد ذكر فى هذا الشأن فى رسالته ما نصه

(١) سورة البقرة آية ١٥٩ وما بعدها ٠

ـ للاباضية رأى فى الخوارج وفى الخروج ، وذلك أن الاباضية رغم موالاتها للمحكمة الاولى ، وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبي ٠٠ فانهم يتصورون الخروج على أنه مروق من الدين وردة ، ولا يرون فى الخروج السياسي موجبا لتسمية من قام به خارجيا ٠٠ فلا يسمون من خرج عن عثمان ولا من خرج عن معاوية ٠٠ (١) خوارج ، وانما كان موقفهم من هذا كله موقفا خاصا لأنهم تمسكوا بنص الحديث ٠

فالخروج من الدين انما يكون بانكار أصل ثابت من أصوله أو بالعمل بما يتنافى مع تلك الأصول المقطوع بها ، لأن العمل بذلك هو الردة ، والانكار لما يجب أن يكون عليه سلوك المسلم الذى حدده القرآن ، ومن هنا ، فانهم يتصورون الفرقة التى ينطبق عليها مفهوم الخارجية الوارد فى الحديث وهو المروق من الدين ، انما هى فرقة الازارقة ، ومن كان على شاكلتها ، لما يقومون به ، ويعتقدونه من سفك دماء المسلمين ، وأخذ أموالهم ، وسبى نسائهم وأطفالهم ، مستحلين ذلك كله ٠

ـ وفى مقابل ذلك فان الدارس لتاريخ الاباضية يتبين أنهم يبتغون العدل وينشرون العمل بالكتاب والسنة ، والسير على مناهج السياسة التى سار عليها الخلفاء الراشدون ٠٠ وهم يجيزون المناكحة بينهم وبين سائر الموحدين بينما الخوارج لا يجيزون ذلك كما أسلفنا لأنهم ـ أى الخوارج ـ يرون كل من سواهم مشركين (٢) ٠

ـ وقد اتجه الاباضية منذ بدء أمرهم الى خدمة الاسلام علما وعملا منذ ابتدات الفتنة،فاشتغلوا بالتدوين،فكان أول من دون الحديث امامهم جابر بن زيد ـ كما ذكرنا ـ ثم تلاميذه من بعده ، وهم حملة العلم الى المشرق والمغرب ، بينما نجد أن الخوارج جنحوا الى اراقة الدماء ، واخافة السبل ، وتعطيل الأحكام ، ولم يذكر عن أحد من الخوارج أنه ألف كتابا أو كان صاحب فقه ٠٠ فالصفرية والأزارقة والنجدية لم تذكر لهم رواية ولا تدوين ٠٠ فهم قد جنحوا الى الحروب لا الى التأليف ورواية العلم ٠٠ بينما قد بلغ الاباضية فى تدوين العلوم مبلغا لا يدانى ، وعرفوا فى فقههم وعلومهم بالامانة والورع (٣) ٠٠

(١) د٠ عمار طالبى : أراء الخوارج الكلامية ص ٣٠ ـ ٣١

(٢) الشيخ اطفيش ـ الفرق بين الاباضية والخوارج ص ١٣

(٣) الرسالة المشار اليها ص ١٥ ـ ١٦ بشىء من التصرف ٠

ـ وعلى ذلك فان الاباضية قد انفردوا بالتمسك بمبادىء الاسلام ، وكان منهم أحد أئمة السنة ـ الامام جابر بن زيد ـ وهم لم يخرجوا على الاسلام فى كل تاريخهم وان كانوا قد عرفوا « بالشراة » لأنهم لم يبخلوا بأرواحهم فى سبيل نصرة الحق ورفع راية الاسلام فهم ليسوا من الخوارج بحال من الاحوال ٠٠ وكيف يكونون منهم وقد عارضوهم وحاربوهم بالقول والفعل ، وليس هناك أى لبس أو غموض فى عقائد الاباضية ، وتلك هى مؤلفاتهم ومعالم فقههم وآثارهم ٠٠ وكلها واضحة الدلالة فى أنهم منذ والوا المحكمة الاولى ، وأخذوا مذهبهم عن جابر بن زيد وهم أهل الحـق والاستقامة ٠٠ هم كما وصفوا أنفسهم ـ جماعة المسلمين الذين يأخذون دينهم من القرآن الكريم وسنة رسوله الامين صلى الله عليه وسلم واجماع الامـة ٠

ذلك هو وجه الحق فى هذه القضية ٠٠ والحق بين لمن يجعله طلبته ، ولا يصم اذنيه عن الكلمة الصادقة ٠ ولكن الهوى مـع بعض الناس يعمى القلـوب ويغلف الابصـار٠

## الفصـل الثـالث

## الاباضـية والقضـايا السياسـية

**تمهيـد :**

من الثابت أنه منذ وقعت الفتنة الكبرى بعد انقضاء الصدر الأول من خلافة عثمان بن عفان ٠٠ والامة الاسلامية تصطرع فيها الآراء ، وتثور بين أبنائها الخلافات، وقد استتبع هذه الاوضاع عرض لنـواح غير مطروقة من قبل سـواء فى الامور السياسية أو المعتقدات الدينية ، ٠٠ فقد راح كل فريق يحتج لمـا ذهب اليه بأسانيد من الكتاب والسنة ٠٠ وراح البعض يتأول بعض النصوص على النحو الذى يتفق مع دعاويهم حتى وان انحرفوا فى تأويلهم عن وجه الحق انحرافا بينا صريحا ٠٠

وان أغلب المشاكل التى اختلفت فيها الامة الاسلامية من بعد نشأت فى تلك الفترة ـ بعد انقضاء مالا يزيد عن ثلث قرن من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

ـ ولقد حصر العلامة الشهرستاني هذه المشاكل ، فى أربعة أصول كبار هى :

« الصفات والتوحيد ـ القدر والعدل ـ الوعد والوعيد ـ السمع والعقل والرسالة والامانة » (١) ٠

ـ وأنه ليمكن القول بأن ما أثير من هذه المشاكل فى تلك الفترة ـ فقد درسها الاباضية ، واتخذوا فيها مذهبهم ٠٠ ولكنهم كانوا فى دراستهم مستندين الى البراهين القاطعة ، والآيات الساطعة من كتاب الله ٠٠

« ومما اثير فى ذلك القرن ، مشاكل القدر والصفات ، والوعد والوعيد ، كما أن قضية الخلافة قد استنفذت جهدا كبيرا من رجال العلم والحكم فى ذلك العصر ٠

ـ وقد درس الاباضية ، وفى مقدمتهم الامام جابر بن زيد هذه المشاكل دراسة وافية ، وانتهوا فيها الى الرأى والمذهب الذى اقتنعوا بصحته وصوابه ، مما يوافق كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام » (٢) اى أنهم اقتبسوا أصول مذهبهم القويمة التى بنوا عليها عقائدهم وأعمالهم فى خير القرون (٣) حينما كانت بقية من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ينشرون الثقافة بعلمهم ويوضحون هدى محمد بمسلكهم ٠٠ وحينما كانت تحدث المشاكل ، كان جابر بن زيد ـ كما ذكرنا من قبل ـ يدرسها دراسة المؤمن ، فاذا لم يستبن له فيها رأى رجع الى أساتذته ومعلميه فعرضها على ابن عباس أو على أم المؤمنين أو ابن عمر ٠ أو سواهم من الصحابة الاولين ٠٠

ـ واذا كان الاباضية قد درسوا تلك المسائل منذ تلك الفترة ، وكونوا فيها آراءهم ، فان المذاهب الأخرى من معتزلة ومرجئة وسواها انما جاءت تالية لهم ٠٠ وبذلك تميز الفقه الاباضى بسمتين أساسيتين : سبقه كل المذاهب ـ واستناده الى أصول ثابتة ٠

**الاباضية والقضايا المختلفة :**

والقضايا التى أشرنا اليها تعرض لها المذهب الاباضى دراسة وتأصيلا ٠٠ واننا ـ استكمالا للبحث ـ سوف نعرض فيما يلى من صفحات لأهم هذه القضايا

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ـ ج (١) المقدمة الثانية ـ ص ٤

(٢) علي يحيى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ : الحلقة الاولى ص ٥٩ ـ ٦٠

(٣) يشير علي يحيى معمر الى ذلك قائلا : اذا فسر القرن بالمعنى الزمنى المتعارف عليه فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرنى ، ثم الذى يلونهم » ـ المصدر المذكور ص ٦٠ ـ هامش (٢)

التى عرض لها الاباضية ، وقالوا فيها بالرأى الصحيح ٠٠ الا أننا فى ذلك كله سوف نعمد الى التركيز والايجاز مرجئين التعمق والتفصيل والتأصيل الى فرصة قادمة،نأمل الله وندعوه أنييسرها لنا،وأن يعيننا على النهوض بها،خدمة للعلم والدين٠

وانه ليمكن لنا أن نصنف هذه القضايا الى طائفتين :ـ

ـ الأولى : القضايا السياسية ٠

ـ الثانية : القضايا العقائدية ٠

وسوف نخصص هذا الفصل للقضايا السياسية ، كما نخصص الفصل الاخير للاباضية والعقيدة الاسلامية الصحيحة ٠

وفى دراستنا للقضايا السياسية سوف نعرض لها من خلال رسالة عبد الله بن اباض ٠٠ وبعد عرضنا لتلك الرسالة سوف ينفسح أمامنا المجال لابراز الآراء السياسية للاباضية ٠

## المبحث الأول

## عرض رسالة ابن اباض

**تمهيد :**

كتب عبد الملك بن مروان ، فيما يروى ، كتابا أرسله اليه بيد سنان بن عاصم أحد رجاله ، طلب فيه من عبد الله بن اباض ، أن يكتب له بما عليه مذهبه ، وكان قد ذكر له عثمان بن عفان وان له قدم سبق ويد فضل فى الاسلام كما ذكر له معاوية وما قد تحقق له من نصر على خصومه ، وان ذلك ، دليل على أن الله قام معه ، وعجل نصره ، وبلغ حجته ، وأظهره على عدوه فى الطلب بدم عثمان ٠٠ ثم ان عبد الملك حذر ابن اباض من الغلو فى الدين ، وعرض له بالخوارج لأنهم يغلون فى الدين ٠٠ ثم قال له : أرجو نصحك ، وأقبل كلامك وأعمل بنظرك ، ولا تأل جهدا فى نصحي ٠٠ وان الله تعالى يقول : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (١) ـ ويقول تعالى : « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ، ولا

(١) سورة البقرة ص ١٥٩

تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس ما يشترون » (١)
وردا على رسالة الخليفة فقد بعث ابن اباض الي رسالته التى نعرض مقتطفات منها
فيما يلي (٢) ..

**رسالة ابن أباض :**

**١ ـ تبتدىء الرسالة على النحو التالي :**

من عبد الله بن اباض الى عبد الملك بن مروان . أما بعد : سلام عليك .. وقد جاءنى كتابك .. وانك كتبت الى أن أكتب اليك بكتاب فكتبته اليك ، فمنه ما تعرف ، ومنه ما تنكر ، ولكن الذى تنكره ليس عند الله بمنكر ..

٢ ـ تمضى الرسالة بعد ذلك فتذكر الرأى بالنسبة لعثمان بن عفان فيقول : « لقد كان عثمان كما ذكرت من قدمه فى الاسلام ، ولكن الله لم يجر العباد من الفتنة ، وذلك أن الله بعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنزل عليه الكتاب ، وبين فيه كل أمر .. قال تعالى « تلك حدود الله ، فلا تقربوها (٣) ، فعمل محمد بأمر ربه .. فعمر ـ صلى الله عليه وسلم ما شاء الله تابعا لما جاء به من عند الله .. ثم أورث الله عز وجل المسلمين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو كتابه الذى يهتدى من اهتدى باتباعه .. ثم قام من بعده أبو بكر .. ومن بعده عمر .. ( وكلاهما ) كان قويا على الأمر ، شديدا على أهل النفاق ، يهتدى بمن كان قبله من المؤمنين ، ويعمل بكتاب الله .. ثم تولى عثمان ، ففعل ما شاء الله بما يعرف الاسلام حتى بسطت له الدنيا ، وفتح له من خزائن الأرض وأحدث أمورا لم يعمل بها صاحباه قبله ، وعهد الناس يومئذ قريب منهم ، فلما رأى المؤمنون ما أحدث أتوه وكلموه وذكروه بكتاب الله وسنة من كان قبله ، وعندما سمع قولهم وتذكيرهم اياه وارشادهم لـه حسبما تمليه الرسالة شق عليه استجابتهم وامتثاله لهم ، فضرب من شاء منهم وسجن من شاء ، فاعتزلوه .. لأنهم رأوا أن طاعته لا تصح الا اذا رجع عما هو عليه ..

(١) سورة آل عمران آية ١٨٨
(٢) البرادى : الجواهر المنتقاه ـ ص ١٥٦ ـ ١٦٧ ، الحارثى : العقود الفضية ١٢٣ ـ ١٣٨ ـ السيابى : ازالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء : ص ٨٣ ـ ١٠١ د. عمار طالبى آراء الخوارج الكلامية : ص ١٩٧ ـ ٢٠١
(٣) سورة البقرة ـ ١٨٧

ومن جملة ما أنكروه عليه أن أمر أخاه على الناس ، وأنه جعل المال دولة بين الأغنياء ٠٠ الى أن قال : وقد خالف سبيل الله وسبيل صاحبيه ٠٠ فلما رأى المسلمون الذى أتى به عثمان ساروا اليه ، وذكروه بالله وأخبروه بالذى أتى ٠٠ فزعم أنه يعرف الذى يقولون ، وأنه يتوب الى الله عز وجل منه ٠ ويرجع الى الحق ، فقبلوا ذلك منه ٠٠ فلما تفرقوا عنه نكث عن الذى عاهدهم عليه (١) ٠٠

وقد وضحت الرسالة أشياء كثيرة تدور حول سيرة عثمان وتصرفاته فى أموال الدولة ومنعه أشياء يرى كتاب الرسالة أنه لا حق له فى منعها ومخالفا لما يتطلبه الوضع آن ذاك ثم يقول : ما معناه : أن ما اتخذه عثمان من منهج فى حياته واصراره عليه وابعاده خيار الصحابة ونفيه لهم وعدم قبوله نصحهم رضوان الله عليهم أجمعين كان هو السبب فى الفتك به والقضاء عليه ٠

٣ ـ وتعرض الرسالة بعد ذلك لأمر معاوية بن أبي سفيان فتذكر : « وأما قولك فى معاوية أن الله قام معه ، وعجل نصره ، وبلج حجته وأظهره على عدوه بالطلب لدم عثمان ٠٠ فان كنت تعتبر الدين من قبل الدولة والغلبة فى الدنيا ، فاننا لا نعتبره من قبل ذلك ، فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعلمون ، وظهر المشركون على المؤمنين ليبلى المؤمنين ويعلى الكافرين ٠٠ وانظر ما أصاب المؤمنين من المشركين يوم أحد ، وانظر كيف ظهر قتلة ابن عفان عليه وشيعته يوم الدار ، وظهر علي على أهل البصرة وهم شيعة عثمان ٠٠ فلا تعتبر الدين من قبل الدولة ٠٠ ثم ان معاوية انما اشترى الامارة من الحسن بن علي ، ولم يف له بما اشترطه عليه ٠٠ ولا تسأل معاوية عن صناعته غيرى ، لأنى قد أدركته ورأيت عمله ، وسيرته ، ولا أعلم من الناس أحدا أترك للقسمة التى قسمها الله ، ولا لحكم حكمه الله ، ولا أسفك لدم حرمه الله منه ٠٠ ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا لعينا شاربا للخمر فيكفيه ذلك ، فلا يخفى عمل معاوية ويزيد على كل عاقل ٠

٤ ـ وتنتقل الرسالة بعد ذلك الى دفع تهمة الغلو فى الدين ٠٠ فتذكر :

« وكتبت الى تعذرني الغلو فى الدين ٠ أعوذ بالله من الغلو ٠٠ وسأبين لك

(١) نكتفى من الرسالة بخطوطها الرئيسية ، ونجتزىء بذلك عما تضمنت من ذكر التفاصيل وايراد للآيات القرآنية والاحاديث النبوية المؤيدة لكل ما يورده صاحبها لان الادلة معروفة ٠

ما لغلو فى الدين اذا جهلت · والغلو فى الدين أن يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتاب الله الذى بين وسنة نبيه التى سن ··

فليس من غضب لله حين عصى ، ورضى بحكم الله ، ودعا الى كتاب الله ، والى سنة نبيه وسنة المؤمنين بعد بغال فى الدين ··

٥ ـ وتعرض الرسالة بعد ذلك لأمر المحكمة الاولى ·· فتذكر :

« وكتبت الى تعرض بالخوارج ( ويعنى بهم المحكمة الاولى كما يدل السياق ) وتزعم أنهم يغلون فى دين الله ، ويتبعون غير سبيل المؤمنين ، ويفارقون أهل الاسلام · وأنا أبين لك سبيلهم :

هم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من بدعة ·

وهــم الزبير وطلحــة حــين نكثــا وأصحــاب معاوية حــين بغى وعبد الله ابن قيس وعمرو بن العاص حين حكما ·· فهم فارقوا هؤلاء كلهم ، وأبوا أن يفروا حكم البشر دون حكم الله ، فهم لمن بعدهم أشد عداوة وأشد مفارقة ·· كانوا يتولون فى دينهم وسنة نبى الله ويرضون على ذلك كانوا يخرجون ، واليه يدعون ، وعليه يفارقون ، وقد علم من عرفهم ، وعرف حالهم أنهم كانوا أحسن عملا وأشد قتالا فى سبيل الله ·

٦ ـ ثم تتحدث الرسالة عن الأزارقة فتقول :ـ

« انا برآء الى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه · لأنه خرج عن مبادىء الاسلام فيما ظهر لنا وأحدث وارتد وكفر بعد اسلامه فنبرأ الى الله منهم » ·

٧ ـ ويختتم رسالته بأن يبين له المنهج الصحيح كما تراه جماعة المسلمين فيقول :

« وأنت كتبت الى أن أكتب اليك بجــواب كتابك ، واجتهد لك فى النصــيحة ، وذكرتنى بالله ·· فقد بينت لك ، وأخبرتك خبر الأمة ، وكان حقا على أن أنصح لك · فان الله لم يتخذنى عبدا لأكفر به ، ولا أن أخادع الناس بشىء ليس فى نفسى وأخالف الى ما أنهى عنه : أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتحل الحلال ، وتحرم الحرام ، ولا تظلموا الناس شيئا ، وأن يكون كتاب الله حكما بينى وبينكم فيما اختلفنا فيه · وأن نتولى من تولى الله وأن نبرأ ممن برأ الله منه ،

وأن نطيع من أمر الله بطاعته · ونعصى من أمر الله بمعصيته فى كتابه · فهذا الذى أدركنا عليه نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وان هذه الأمة لم تسفك دما الا حين ترك كتاب الله وسنة نبيه · وقد قال الله ـ عز وجل ـ ( وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله · ذلكم الله ربى ، عليه توكلت ، واليه أنيب ) (١) ـ والقرآن هو السبيل الواضح الذى هدى الله به من كان قبلنا محمدا والخليفتين الصالحين ، ولا يضل من اتبعه ، ولا يهتدى من تركه · قال تعالى : ( وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) (٢) فاحذر أن تتفرق بك السبل ، وتتبع هواك ، فان الناس انما يتبعون فى الدنيا والآخرة امامين : امام هدى وامام ضلالة ، فامام الهدى الذى يتبع كلام الله ، ويقسم بقسمة الله ويحكم بحكم الله ، قال عز وجل ( وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ) (٣) وهؤلاء هم الأئمة الذين أمر الله بطاعتهم ، ونهى عن معصيتهم ·

وأما أئمة الضلال ، فهم يحكمون بغير ما أنزل الله ، ويقسمون بغير قسمة الله ، ويتبعون أهواءهم بغير سنة من الله ، فهؤلاء الذين قال عز وجل فيهم ( وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ، ويوم القيامة لا ينصرون (٤) ، وفيهم قال : ( فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ) (٥) وقال : ( ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هـواه (٦) ·

**٨ ـ ثم يختم رسالته بقوله :**

« هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق · فماذا بعد الحق الا الضلال ، فلا تضربن عنك الذكر صفحا ، ولا تشكن فى كتاب الله · وقد كتبت الى بمرجوع كتابك ، فأنشدك الله لما قرأته وأنت مشغول حتى تتفرغ له وتتدبر معانيه ، وتنظر فيه بعين البصيرة ·· واكتب الى جواب كتابي ان استطعت ، وانزع الى الشواهد من كتاب الله والبينة

(١) الشورى ـ ١٠
(٢) الأنعام ـ ١٥٣
(٣) الانبيـاء ـ ٧٣
(٤) القصص ـ ٤١
(٥) الفـرقان ـ ٥٢
(٦) الكهـف ـ ٢٨

منه · فاصدق بذلك قولك ، ولا تعرض لى بالدنيا ، فانه لارغبة لى فى الدنيا ، وليست من حاجتنى ، ولكن نصيحتك لى فى الدين ولما بعد الموت ، فان ذلك أفضل النصيحة · والله قدير أن يجمع بيننا وبينك على الطاعة ، فانه لا خير فيمن لم يكن على طاعة الله ، وبالله التوفيق ، وفيه الرضا · والسلام عليك » ·

## المبحث الثاني

## الرسالة تعبير عن آراء الاباضية

**تمهيد :**

فى استعراضنا لتطور موقف الاباضية من الاحداث السياسية التى مرت بالأمة الاسلامية منذ الفتنة الكبرى ، تبين أنهم انما اتخذوا موقفا واحدا من الاحداث ثبتوا عليه ، ولم يتعدوه ··

وبمقارنة ذلك الموقف بالآراء التى بثها ابن اباض فى رسالته الى عبد الملك ابن مروان نجد أن القول قد وافق العمل ، أو بعبارة أخرى أن الرسالة كانت تعبيرا صادقا ـ وصريحا ـ عن موقف الاباضية من الاحداث السياسية ورويتهم لها ··
وان ذلك ليدعونا الى أن نتساءل :

ـ لماذا كتبت هذه الرسالة ؟

ـ وهل كانت من عند ابن اباض وحده ؟

ـ ولماذا اختير ابن اباض لكتابتها وتوجيهها وما مدى تعبيرها عن آراء الاباضية ومذهبهم ؟

**١ ـ دوافع كتابة هذه الرسالة :**

يبدو السبب الظاهر لكتابة هذه الرسالة وكأنها كانت جوابا على رسالة وجهها عبد الملك بن مروان الى عبد الله بن اباض ·· ولذلك نلاحظ أنها عرضت لكل النقاط التى طلب الرأى بشأنها ، والنصيحة فيها ··

غير أن مثل هذا القول لا يبدو مقنعا ولا معبرا عن الأسباب ـ والدواعى الحقيقية لتوجيه مثل هذه الرسالة ··وبخاصة لما كان معروفا عن الاباضية ـ حتى تلك المرحلة ـ

من حرصهم على التقية ، وتجنبهم الظهور ، وبعدهم عن السلطة الحاكمة وعدم تصادمهم بها ··

وهناك تعليل ساقه أحد الكتاب المعاصرين فيقول : يبدو أن الاباضية فى تلك المرحلة رأوا أنه لابد لهم من الافصاح عن آرائهم ومعتقداتهم ، وخاصة ما يتعلق منها بوجهة نظرهم نحو متطرفى الخوارج ، ونحو بقية المسلمين حتى لا يتعرضوا للسخط من بقية المسلمين الذين اعتبروا الخوارج المتطرفين ـ مثل الأزارقة ـ مارقين تجب محاربتهم والقضاء عليهم (١) ·

ومع أن هذا التعليل صحيح الى حد كبير ،· الا أنه لايمكن أن يكون الداعى الوحيد الى توجيه مثل تلك الرسالة ·· فمن المعروف أن الاباضية وان أخذوا بالتقية ، وحرضوا على تجنب الخروج على الجماعة الا أنه من المعروف عنهم صدق ايمانهم ، وعدم اجابتهم للممالاة ·· كما أنهم هم الشراة الذين يدافعون عن الحق ويفدونه بأرواحهم ، ولا يضنون بأنفسهم فى سبيل اعلاء كلمة الله ·· أفان وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام السلطة مطالبين بأن يكشفوا عن عقائدهم ويقولوا كلمتهم ·· فهل يمكن لهم الا أن يقولوا الحق والا أن يعلنوا ما يرونه الصحيح من الرأى ؟

أولئك هم الاباضية ـ كذلك كانوا وكذلك سوف يظلون ـ أهل الحق والاستقامة لا يخشون فى الحق لومة لائم ، وما كانت « تقيتهم » الا مرحلة حرصوا عليها حتى يقوى أمرهم ، ويشتد ساعد أنصارهم ·· وما كانت تلك غايتهم لأن « امامة الظهور » كانت هى الهدف ·· وحينما آن أوانها ، وهيئت لهم أسبابها ، مضوا الى أمرهم دون أدنى تردد ·· فأقاموا دولتهم ـ بل دولهم ـ فى شرق وغرب ·

**٢ ـ ابن أباض ·· هل هو كاتبها ؟**

ولعل طرح هذا السؤال يبدو ضروريا ·· وبخاصة لان الرسالة شاملة جامعة ، حاوية لكل آراء الاباضية واستدلالاتهم ، وقد عرضت لكل النواحى السياسية والقضايا المطروحة فى ذلك الوقت ، فبسطتها وأبدت الرأى الاباضى بشأنها ··

فهل كانت من اعداد ابن اباض وحده ؟

(١) د· عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ـ ص ٨٢

ربما كان الاقرب الى الواقع أن نقول انها كانت جميعا لما كان مستقرا من الاراء لدى الكثير من الاباضية ، وكانت ترديدا لما يتبادلونه بينهم من مبادىء مذهبهم ··

ومن المعروف ـ كما أشرنا الى ذلك من قبل ـ أن جابر بن زيد كان هو الامام والفقيه للمذهب ، والمفتى ، كان هو الشخص الذى بلور الفكر الاباضى بحيث أصبح متميزا عن غيره من المذاهب الاسلامية (١) ·· وكان وهو الفقيه المحدث ، وأحد التابعين الثقات ·· كان كما وصفه الرقيشي (٢) « أس المذهب وحاميه ، مرجع الفضل فى تدوينه وتشييد مبانيه » ·

كان جابر كذلك بالنسبة لأصحاب المذهب ·· ولكن دوره هذا كان خافيا على أهل البصرة ، فلم يعرف بينهم الا بأنه فقيه البصرة بعد الحسن البصرى ، وقد آثر جابر اخفاء دوره الحقيقى للمبررات التى أشرنا اليها من قبل ··

وكان عبد الله بن اباض هو المجاهد علنا فى سبيل تحقيق الحقائق وتصحيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع من الزور والافتراء ·· الا أنه « كان لا يصدر فى النوازل الا عن رأى جابر بن زيد ونظره » (٣) ·

ومن هنا يجوز لنا أن نقرر :

ـ ان هذه الرسالة كان عبد الله بن اباض هو الناطق بها لدوره الظاهر فى الدعوة ··

ـ انها تحوى بلورة للفكر الاباضى وأصول المذهب كما هو معروف بين جميع الاباضية ·

ـ جابر بن زيد هو الذى بلور هذا الفكر وبين أصوله وأوضح أسانيده ، وعلمه لأصحابه وأتباعه وتلاميذه من بعده ··

### ٣ ـ لماذا اختير ابن اباض :

واذا كان جابر بن زيد كما أسلفنا هو فقيه المذهب ، وزعيمه الروحى ومن برهن

(١) د· عوض خليفات : المرجع المذكور ـ ص ٨٠

(٢) الرقيشى : مصباح الظلام : ورقة (٢) ·

(٣) علي يحيى معمر الاباضية فى موكب التاريخ : الحلقة الاولى ـ ص ١٥٠ ـ ١٥١ وايضا الشماخى : سير ص ١٧٧

عن أصوله ، وأورد أسانيده ، فان عبد الله بن اباض كان هو المعروف لأهل البصرة على أنه الناطق باسم المذهب ، المدافع عنه ، وقد أسلفنا القول من قبل عن دواعى تقديم ابن اباض عمن سواه ، وذلك راجع الى أمور عدة لعل أهمها :ـ

ـ مكانة ابن اباض من قبيلة تميم احدى أهم قبائل البصرة آنذاك مما يجعله فى منآى من تعرض الولاة له بأذى خوفا من اغضاب قبيلته (١) ٠

ـ قدرته فى المناظرة والمجادلة ، وصدق ايمانه ، وقوة شجاعته حتى ليصفه الشماخى بقوله : كان المجاهد علنا ، المناضل علنا ، فى سبيل تحقيق الحقائق ، وتحصيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات من الزور والافتراء فى شريعة ربنا ، وكان شديدا فى الله تعالى ، وله مناظرات مع أهل التنطس والتفلسف كان الحجة الدامغة التى يخنس أمامها كل ثرثار (٢) ٠

## المبحث الثالث

## المعتقدات السياسية للاباضية

**تمهيد :**

ولعلنا ، وقد عرضنا لبعض صور من تاريخ الاباضية ، وبعض المواقف السياسية لهم ، ثم أوردنا خلاصة وافية لرسالة ابن اباض التى هى بلورة لآراء جابر بن زيد أو تعبير عنها ٠٠ يكون فى وسعنا أن نورد خلاصة لما ذهب اليه الاباضية بشأن ما ثار من مشاكل سياسية ، كان لها صداها ، وآثارها ، بل ربما كانت هى الدافع الى نشأة المذاهب المختلفة ٠٠ واذ نكتفى بالاشارة الى تلك الآراء من معتقدات كان لها اصالتها واسانيدها فى الفقه الاباضى كما أشرنا الى ذلك فى أكثر من موضع

**١ ـ الآراء السياسية للاباضية :**

ـ يروى الاباضية أن عثمان بن عفان حاد عن الطريق القويم فى الفترة الأخيرة من خلافته ، بما ارتكب من أخطاء ٠

(١) د٠ عمر خليفات : نشأة الحركة الاباضية ـ ص ٨٢

(٢) الشماخى : سير ـ ص ١٧٧ وما بعدها ٠

ـ وترتيبا على ما تقدم فان الذين ثاروا على عثمان بن عفان انما كانوا على حـــق ٠٠

ـ ان اختيار علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين لفضله بين الموجودين ولأنـه كان من رأى المناهضين لعثمان ٠٠ هذا الاختيار الذى كان موفقا ومن ثم فقد أصبح هو الخليفة الذى وجبت له الطاعة ، والانضمام اليه ، وموالاة من والى ، وحرب من حارب ٠٠ لأنه كان على الحق ، وحقت نصرته ٠

ـ وعلى العكس من ذلك ، فان الحق لم يكن فى جانب معاوية بن أبى سفيان ، وان المسلمين الأوائل من أهل الاستقامة ظلوا على موالاتهم لعلي بن أبي طالب الى أن قبل التحكيم ٠٠ فانه بذلك قد أخطأ عندما حكم الرجال فى أمر من أمور الله ، وخلع نفسه من منصبه الشرعى الذى بايعه عليه المسلمون ٠

ـ ان الخلافة ، وقد خلع علي بن أبي طالب نفسه منها بقبوله التحكيم يصبح أمرها شورى بين المسلمين ، يولونها لمن يرون أنه أهل لها ٠٠ وقد ولوها بالفعل لواحد منهم رأوا أنه أفضلهم ـ وهو عبد الله بن وهب الراسبى ٠

ـ ان الاباضية بذلك يرون ألا ترتبط الخلافة بجنس أو قبيلة ، انما كل ما يشترط فيها هو الكفاءة المطلقة : الدينية والخلقية والعملية والعقلية ٠٠ وهم بذلك لا يجعلون من شروطها « القرشية » كما كان ذلك سائدا ٠٠ ولعلهم بذلك أول من خالف هــذا الشرط وقد عرف الناس هذا الرأى لجابر بن زيد (١) ٠

ـ ولا يرى الاباضية أن فى ذلك خروجا على الحديث النبوى الشريف ( الأئمة من قريش » لأنهم رأوا انما يشترط فيها الكفاءة المطلقة ، لأن الله عز وجل أشار الى المقصود فيها بالذات بقوله : ( ان أكرمكم عند الله أتقاكم ) (٢) والمطلوب اذن الكرم بجميع معانيه ، والتقوى وهى الاصل الذى لا تصح بدونه خلافة ما أبدا ٠٠ فاذا لم يكن هذان الأصلان ثابتين ـ لم تغن القرشية وحدها ، وربما أغنت عنها التقوى ٠٠ وان حصلت الكفاءة المطلقة دينا وخلقا وعملا فقــد حصلت الخصــال

(١) د٠ علي يحيى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ ـ ص ٦٣ ح (١)
(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٣

المطلوبة فيها المشترطة لصحتها ، وقامت حجتها على المسئولين عنها الذين تلزمهم عند حصولها ·· وما القرشية أو الهاشمية أو العربية الا من وسائل الترجيح وهى كمالية فقط (١) ·· وان ثمة أحاديث أخرى عديدة تقدم ذكرها ·

**٢ ـ استناد هذه الآراء الى عقيدة ثابتة :**

على أن هذه الآراء السياسية انما تستند الى جملة عقائد يقوم عليها المذهب الاباضية ·· أى أن تلك الآراء كانت مظهرا لعقائد راسخة برهنها جابر بن زيد ·· وأورد الاسانيد عليها ·· ولعل من أهم هذه العقائد ما تعلق منها بمفهوم التكفير ، والولاية والبراءة والرؤية الالهية وانكار الشفاعة لاهل الكبائر الذين ماتوا قبل توبة ·· الى آخر هذه الامور التى نعرض لبعض منها فى الفصل التالي :ـ

## الفصل الرابع

## الاباضية والعقيدة الاسلامية الصحيحة

**تمهيد :**

تبدو أصالة المذهب الاباضى فى دراسة فقهية ، فى مختلف نواحيه سواء ما تعلق منها بالمعتقدات أو العبادات أو المعاملات ·· انه فقه أصيل ، يستند ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ، الى نصوص من القرآن الكريم ، وصحيح سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وما ثبت من اجماع الامة ·· وهم فى كل معتقداتهم وفقههم لا يتأولون الا ما يصح فيه التأويل ، ولا يتحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يقضون الا بعلم ، ولا يقلدون غير المعصوم ، ويقبلون الحق ولو جاء ممن يخالفهم ··

وفى ذلك يقول أحد علمائهم « نحن معاشر الأباضية ·· لا نوجب تقليد غير المعصوم ، ولا نمنع من المجاهدة فيه ، ولا من الاستماع الى غيره ، بل نأخذ الحق حيث وجدناه ·· ونرد الباطل على من جاء به كما قال صلى الله عليه وسلم » أقبل الحق ممن جاء به من صغير أو كبير وان كان بغيضا بعيدا ، ورد الباطل على من جاء به

(١) علي يحيى معمر : الاباضية فى موكب التاريخ حـ (١) ص ٧٤

من صغير أو كبير وان كان حبيبا قريبا » (١) ·

وقد أوضحنا دور جابر بن زيد فى بلورة هذا الفقه ، وتأصيله ، ثم فى تلقينه لأتباعه ، ونشره بينهم ·· وما تلا ذلك من جهود له فى شرق وغرب ··

ولسنا الآن بصدد عرض كل المسائل التى تناولها المذهب أخذا عن جابر بن زيد وانما سوف نقتصر على عدد من القضايا العقائدية نورد ما قاله المذهب بشأنها ·· ونحن فى اختيارنا لهذه القضايا انما نختار ما كان منها موضع جدل ، وكان رأى الاباضية فيها ظاهر التفرد والتميز ، ولكنه صحيح السند ، بين الحجة ، كشأنهم فى كل ما يقررون من أحكام ·

ونود الاشارة الى أننا انما نورد هذه القضايا كأمثلة لهذا الفقه المتعمق الأصيل ونعتذر سلفا عن تناولها باختصار ، مؤملين أن نجد فيما بعد السبيل ميسرا لعرض الفقه الاباضى مفصلا مؤصلا لنبين لقومنا حقيقة ما ينطوى عليه ذلك الفقه من خير كبير وكنز وفير ·

وفيما يلي تحديد لتلك القضايا التى سوف تدور حولها دراستنا :

ـ رؤية البارى ـ سبحانه وتعالى ـ وادلة نفيها ·

ـ الشفاعة وشرحها ·

ـ انقسام الكبائر الى كفر جحود وكفر نعمة ·

ـ الولاية والبراءة والوقوف ·

وسوف نعرض لكل قضية منها فى مبحث مستقل ·

(١) الشيخ : علي بن محمد المنذرى ـ رسالة الصراط المستقيم ـ ص ٦

# المبحث الأول
# رؤية الله ـ سبحانه وتعالى

## تمهيد :

يولي الأباضية هذه المسألة اهتماما كبيرا ٠٠ ويقولون بنفى رؤية الله عز وجل فى الدار الدنيا والدار الآخرة ، ويذهبون فى ذلك الى الحق مخالفين بذلك أقوال بعض المذاهب الاخرى سواء فيها تلك التى قالت بثبوت الرؤية فى الدار الدنيا أو تلك التى ذهبت بأنها سوف تتحقق فى الدار الآخرة للذين ذكرهم المولى سبحانه بقوله تعالى : ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) (١) ٠٠ ينفون ذلك نفيا باتا ٠٠ ويستندون فى نفيهم الى أدلة عديدة عقلية ونقلية ٠٠

ولقد أخرج الامام الربيع فى مسنده عن مسروق قال : (٢)

« كنت متكئا عند عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت : يا أبا عائشة ٠ ثلاث من تكلم بواحدة منهن ، فقد أعظم على الله الفرية ، فقلت : ما هن ، قالت : من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئا فجلست ، وقلت : يا أم المؤمنين ، انظرينى ، ولا تعجلينى ، ألم يقل الله عز وجل « ولقد رآه بالأفق المبين (٣) «وقال» ولقد رآه نزلة أخرى» (٤) فقالت : أنا أول هذه الأمة ، سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « انما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته متهبطا من السماء ، فصار أعظم خلقه ما بين السماء والأرض ، فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول ( لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ) ٠

ومن هذا الحديث وغيره من الآيات القرآنية الكريمة يقرر الاباضية أن القول برؤية الله تعالى فيه شبهة الفرية على الله عز وجل ٠٠

وان الباحث المدقق الذى يتعمق وجهة نظر الاباضية وتفنيدها لأدلة القائلين باثبات الرؤية لينتهى الى الاقرار للاباضية بأنهم على الحق ، وأنهم لم يهدفوا

(١) يونس آية ٢٦

(٢) مسند الامام الربيع ( بشرح السالمى ) الجزء الاول ـ ص ١٠١ ـ ط (٢)

(٣) سورة التكوير آية (٢٣) ٠

(٤) سورة النجم آية (١٣) ٠

من كل ما يقولون الا الى مرضاة الله تعالى واظهار العقيدة السليمة ٠

وعرض وجهة نظر الاباضية فى هذه القضية ، يقتضى منا أن نقدم لذلك بما يقررونه بشأن الرؤية وأدلتهم على عدم اثباتها ، ودحضهم لأدلة من يقول بامكانها ٠

## أولا ـ صفات الله ـ سبحانه وتعالى : (١)

ان الله سبحانه وتعالى مخالف لخلقه ذاتا وصفاتا وأفعالا ، فهو واحد فى ذاته ، وواحد فى صفاته ، وواحد فى أفعاله ، بمعنى أنه لا يشبه أحد فى شىء من ذلك كله ٠٠ وانما كان تعالى مخالفا لخلقه فى ذاته لان ذاته ليست بمتبعضة ، ولا بمقسمة ، ولا بحالة فى مكان ولا حادثة فى زمان وهذه الصفات لا توجد فى غيره تعالى ٠٠ وكان تعالى مخالفا لنا فى صفاته لأن مدلول صفاته الذاتية هو عين ذاته لا غيرها ٠٠ وانما كان تعالى مخالفا لنا فى أفعاله لان أفعاله تعالى لا بمحاولة ولا احتيال ولا بمزاولة ولا استعانة بالغير ، وانما تنفعل له الاشياء على ما أراد ، فاذا أراد شيئا قال له : كن فيكون ٠٠ وصفاته تعالى قسمان : ذاتية وفعلية ، والفرق بين صفات الذات وصفات الفعل هو أن صفات الفعل تجامع ضدها فى الوجود عند اختلاف المحل ٠٠ وصفات الذات كالعلم والقدرة والارادة لا تجامع ضدها فى الوجود ولو اختلف المحل ٠ وان صفات الفعل تنفى عن الله فى الأزل ، وصفات الذات لا تنفى عنه فى الأزل ٠٠ وصفاته تعالى الذاتية هى عين ذاته ، أى مدلول صفاته الذاتية هى ذاته العلمية ليس غيره عز وجل ٠٠ وهو تعالى عليم لا بعلم ، بل بذاته أى ذاته عز وجل منكشفة لها الاشياء انكشافا تاما ، فالذات موصوفة بأنها عالمة لانكشاف المعلومات لها ، لا لصفة زائدة عليها ، قائمة بها ٠٠ وهو سميع ـ لا بسمع ـ أى أن الله عز وجل سميع بذاته لا بسمع هو غيره ، أى ذاته تعالى مكافية فى انكشاف المسموعات لها انكشافا تاما غير محتاجة الى صفة معنوية حقيقية زائدة على الذات قائمة بها ٠٠ وهو تعالى بصير بذاته لا ببصر هو غيره أى ذاته عز وجل كافية فى انكشاف المبصرات لها انكشافا تاما غير محتاجة الى صفة زائدة عليها قائمة بها تسمى بصرا (٢) ـ والسمع والبصر راجعان الى العلم ، لان السمع

(١) تتناول كتب الفقه عند الاباضية هذه الصفات بالتفصيل٠٠وقد رجعنا الى العديدمنها.الا أن عمدتنا فى هذه المسألة كان كتاب مشارق أنوار العقول للشيخ نور الدين السالمى الاباضى ـ ص ١٧١ ـ١٨٨ وراجع أيضا من المؤلفات الحديثة السيابى : حلقات المذهب الاباضى ـ ص ٩٣ ـ ١٠٥ الى جانب بعض كتب التفسير والحديث ٠

(٢) وفى ذلك كله مخالفة لما يذهب اليه الاخرون من المشبهة الذين حاولوا اثبات صفات زائدة لله عز وجل ٠

فى حقه تعالى بالمسموعات والبصر فى حقه تعالى هو العلم بالمبصرات فهنا علم خاص ، والعلم بالاشياء كلها علم عام وعلى هذا فسر قوله تعالى : « اننى معكما أسمع وأرى » (١) أى أعلم ما تقولون وما تفعلون ٠٠ وهو سبحانه قدير ـ لا بقدره ـ أى قدير بذاته لا بقدرة فى غيره ، أى ذاته ـ عز وجل كافية فى ايجاد الأشياء وانفعالها لها ، وانعدامها غير محتاجة الى صفة زائدة عليها ٠٠ وكذلك القول فى سائر الصفات الذاتية :

مريد بذاته لا بصفة زائدة عليه ٠٠ وهو تعالى حى بذاته لا بصفة زائدة على ذاته تسمى حياة ٠٠ ومما يجب فى حقه تعالى من الصفات : الوجود ، والقدم والبقاء ٠

وان القول بأن صفاته الذاتية هى أمور اعتبارية ، انما يقصد منه معانى تلك الصفات أى المفهوم منها والمتصور فى الذهب انما هى أمور اعتبارية ٠٠ فلكل وصف منها من حى وقدير وعليم ٠٠ الى آخرها ـ فذلك المدلول هو عين الذات ، وهذا المفهوم هو أمور اعتبارية أى يعتبر بها نفى امتدادها ، فالمراد من اتصافه تعالى بالحياة نفى الموت عنه تعالى ، ومن اتصافه بالارادة نفى الاكراه عنه تعالى ، ومن اتصافه بالسمع نفى الصمم عنه تعالى ، ومن اتصافه بالبصر نفى العمى عنه تعالى ٠٠

**ثانيا : نفى رؤية الله سبحانه وتعالى :**

تلك هى صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ

وتلك هى المقدمة التى يرتب عليها الاباضية رأيهم فى قضية الرؤية ٠٠ أو بالأصح فى نفى الرؤية عنه تعالى ٠٠

فما هى الرؤيـة ؟

ولمـاذا ينفونها عن ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ ؟

وما القول فى الرد على من يقول بالرؤية ؟

ذلك ما نعرض له فيما يلى أخذا من الفقه الاباضى :

**١ ـ ما هى الرؤية ؟ وهل هى ممكنة ؟**

الرؤية ـ كما يعرفها الامام السالمي (٢) ـ هى اتصال شعاع الباصرة بالمرئي أو انطباع صورة المرئى فى الحدقة ـ هذه حقيقة الرؤية التى كانت العرب تعرفها من عربيتهم ، ولا يطلقونها على العلم ونحوه الا تجوزا ٠٠ قال تعالى ٠٠ : « وما أرسلنا

(١) سورة طه آية (٤٦) ٠

(٢) السالمى المصدر المذكور ـ ص ١٨٨ ـ وأيضا السيابى حلقات المذهب الاباضى ص ١٠٧ ـ ١١٢ ،، ص ١٠٧ ـ ١١٤

من رسول الا بلسان قومه (١) فعلى تقدير صحة حديث الرؤية يجب أن يكون الله مرئيا بالباصرة ٠٠

لأن القول بتأويل الرؤية بالعلم غير مقنع ، لأن ذاته لا تعلم ، وانما تعلم صفاته ، وذلك لأنه لابد للشىء المعلوم من أن يتصور فى ذهن العالم به ، وحقيقة ذاته تعالى لا تتصـــور ٠

**٢ ـ دحض أدلة المثبتين للرؤية :**

ويقدم الاباضية لرأيهم أيضا بمناقشة أدلة القائلين بالرؤية ٠٠ وفى هذا يذكر الامام السالمي أن جمهور المثبتين للرؤية لهم فى الادلة مقامان :ـ

**المقــام الأول :**

فى الاستدلال على جوازها ـ لهم فى ذلك طريقان : عقلى ونقلى ٠

**ـ فالطريق الأول :** قالوا ان الله تعالى موجود ، وكل موجود يصح أن يرى ، فينتج أن الله يصح أن يرى ٠٠ هذا قياس من الشكل الأول مركب من مقدمتين : صغرى وكبرى ٠٠أما دليل الصغرى القائلة ( الله موجود ) فظاهر لا شك فيه ـ وأما دليل الكبرى (وكل موجود يصح أن يرى) فدليلها ، اذا رأينا الاشياء مشتركة فى الرؤية ، ولا علة لاشتراكها فى الرؤية الا لكون هذه الاشياء موجودة ، فعلى ذلك فان الوجود هو الوصف المشترك بين جميع الموجودات (٢) ، وهو مصحح لرؤية الحوادث ، وبذلك تصح رؤية البارىء (٣) ٠

ـ غير أن هذا الاستدلال هناك من أئمة الاشاعرة أنفسهم من يعترض عليه ٠٠ فلقد قال الامام فخر الدين الرازى أن استدلالهم هذا ضعيف ، لأن هناك علة تصلح للرؤية غير الوجود وهى المخلوقية فى هذه الاشياء ، وهذه العلة لا توجد فى البارى لانه خالق وليس مخلوقا ٠٠ وقال أيضا : ان المصحح للرؤية لابد أن يكن مشتركا بين القديم والحادث ، والمشترك اما الحدوث أو الوجود ، فيبطل أن يكون المصحح الحدوث ، فيتعين أن يكون هو الوجود ، واذا كان هو الوجود ، فوجب كونه تعالى يصح أن يكون مخلوقا لأن الوجود مشترك بينهما ، واذا كان الوجود مشتركا بينهما ، فيصح على هذا أن يكون الله مخلوقا (٤) لأنه موجود كمـا فى الحوادث والعلـة

(١) سورة ابراهيم آية رقم (٤)
(٢) مشارق أنوار العقول ( للسالمى ) ص ١٨٩
(٣) الجرجانى : شرح المواقف فى علم الكلام ص ١٨٨ ـ ٢٠٠
(٤) مشارق أنوار العقول ص ١٨٩

الوجود ٠٠ وعلى هذا لايصح أن يكون الوجود مصححا للرؤية حتى يؤدى ذلك الى ثبوت البارى ٠٠ واذا كان قد ظهر لنا ضعف هذا الدليل وان كان الاشاعرة قد بالغوا فيه من أنه دليل لاثبات صحة رؤية الله تعالى ، فالاولى ما قاله الرازى من أن **التقول فى هذه المسألة على الدليل العقلى متعذر** ٠

ـ أما الطريق الثانى : فقد استدلوا على جواز الرؤية من الظواهر السمعية بأشياء : منها قوله تعالى حكاية عن الكليم موسى : ( أرنى أنظر اليك ) (١) ، ووجه استدلالهم بها على الجواز ، قالوا : لو لم تكن رؤيته تعالى جائزة ما سألها الكليم عليه السلام ، لان سؤاله اياها لا يخلوا اما أن يكون نشأ عن جهل باستحالتها أو عن معرفة باستحالتها ٠٠ والاول محال ، لان من كان جاهلا بما يجوز على ربه ، وما يستحيل عليه لا يصلح أن يكون نبيا كليما ٠٠ والثانى مستحيل كذلك ، لانه عرف أنها مستحيلة فطلب ما هو مستحيل فى حق مثل الكليم معصية ٠

ـ ويقول ( الاباضية ) فى ذلك : سألها وهو يعلم استحالتها ولا يلزم من سؤاله اياها طلب ما هو مستحيل ٠ نعم يلزم ذلك أن لو أراد وقوعها ، لكنه لم يرد ، وانما سألها ليسمع قومه الجواب باستحالتها ٠ قال الزمخشرى فى تفسيره : ليتيقن قومه وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة (٢) ٠

فان ( قالوا ) اما أن يكون أولئك القوم مؤمنين فيكفيهم اخبار موسى باستحالتها ، واما أن يكونوا كافرين فلا يصدقونه ٠

( قلنا ) ليس القوم بمؤمنين ، وأى ايمان لمن قال لنبيه لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولا يلزم من عدم تصديقهم اياه فى اخباره باستحالتها عدم تصديقه فى اخباره أن الله أجابه باستحالتها مع احتمال أن يظهر لهم آية مع الجواب الثانى كاندكاك الجبل مثلا (٣) ٠٠

ومنها قوله تعالى ( ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ) (٤) والجبل امكن واثبت والجبل مع تمكنه وثباته أقل تأثرا من الكيان البشرى (٥) ـ ( وقالوا ) استقرار الجبل ممكن فى نفسه ، وقد علق الرب تعالى وقوع الرؤية به ،

(١) سورة الاعراف من آية رقم ١٤٣
(٢) الكشاف المجلد الثانى ص ١١٣
(٣) السالمى : مشارق أنوار العصور ـ ص ١٩١ وما بعدها ٠
(٤) سورة الاعراف الآية المشار اليها أعلاه ٠
(٥) فى ظلال القرآن لسيد قطب جـ (٣) ص ٦٣٣

والمتعلق بالممكن ممكن (قلنا) استقرار الجبل مستحيل فى علمه تعالى، والمتعلق بالمستحيل مثله ، لان الاعتبار فى ذلك بالمخاطب ، ـ بالكسر ـ لان الخطاب صدر منه ، وهو عالم باستحالته ..

ـ ومنها ما روى عن الصحابه من الاختلاف فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم .. هل رأى ربه أم لا ، قالوا : لو لم تكن الرؤية جائزة عليه تعالى ما اختلفوا فى ذلك وهم أهل عقول ( قلنا ) ما روى عنهم فى ذلك الاختلاف كذب صريح انتحله القائلون بالرؤية .. كيف وقد روى أولئك القائلون عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت من قال أن محمدا رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية (١) ، وهذه المقالة صريحة فى البراءة ممن قال بذلك ، لان عظم الفرية على الله فسق اتفاقا .

**أما المقام الثانى فى أدلة وقوع الرؤية ـ في زعمهم ـ فقد تمسكوا فى ذلك بأشياء ..** نوردها فيما يلى ، ونورد ما ينقضها (٢) :

ـ منها قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة » (٣) .

ـ ( قالوا ) : وهذه الآية صريحة فى وقوع الرؤية للمؤمنين فى الآخرة .

( الى ربها ناظرة ) اى الى خالقها ومالك أمرها ناظرة اى تنظر اليه (٤) .

( قلنا ) : دعوى الصريحية فى ذلك ممنوعة .. وذلك لما يأتى :

أولا : فلان النظر فى اللغة غير الرؤية ، ولذا يقال : نظرت الهلال فلم أره ، ولا يصح أن يقال رأيته فلم أره . واطلاقه على الرؤية مجاز لايصح الا بقرينة ، والعدول عن الحقيقة الى المجاز خلاف الظاهر .

ثانيا : فلان سياق الآية دال على انتظار رحمة الله تعالى ، بدليل أنه عطف عليها قوله « ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة » (٥) فلو فسر النظر فى الآية بالرؤية لارتفعت المناسبة بين الجملتين ، ولتداعى بناؤها ، واختل نظمها ، اذ لا مناسبة بين عيون رائية ربها ، ووجوه باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة .

ثالثا : الآية قيدت تلك النظرة فى يوم القيامة لقوله يومئذ .. وهؤلاء قد

(١) راجع صحيح مسلم على شرح النووى الجزء الثانى ص ٨

(٢) السالمى : مشارق الانوار ص ١٩٣ وما بعدها .

(٣) سورة القيامة آية رقم (٢٢) وما بعدها .

(٤) فتح القدير ـ للشوكانى الجزء الخامس ص ٣٣٨

(٥) سورة القيامة آية (٢٤) وما بعدها .

أثبتوا الرؤية فى الجنة ، واختلفوا فى ثبوتها فى الموقف ·· فعلى تسليم أن معنى الآية ما قالوه فلا دليل فى الآية على ثبوت الرؤية فى الجنة ·

رابعا : ففى الآية التصريح بأن الوجوه هى الناظرة ، وهؤلاء قالوا بأنه يرى بالابصار فلا تعلق لهم بها ·· لان وصف الوجوه بالنضارة مانع من اطلاقها على الأبصار اذ لا توصف الأبصار بذلك ·

خامسا : ان الصحابة والتابعين قد فسروا الآية بخلاف ما فسر هؤلاء اذ فسروها بأن أولياء الله تنضر وجوههم يوم القيامة وهو الاشراق ، ولا ينظرون الى ربهم « معناه ينتظرون متى يأذن لهم فى دخولهم الجنة بعد الفراغ من الحساب ·· وقالوا يعنى « ينتظر أهل الجنة الثواب بعد الثواب ، والكرامة بعد الكرامة » ·

قال مجاهد : ان النظر فى الآية انتظار مالهم عند الله من الثواب (١) ·

ومن هذا القبيل قوله تعالى ( وهل ينظرون الا الساعة (٢) أى ينتظرون فقوله تعالى ( ناضرة ) الاولى من النضارة والحسن وهى بالضاد ( والناظرة ) الثانية من الانتظار وهى بالظاء يقال منه نظر وجهه نظرا ونظورا ونظارا ونظرة الله وأنشد الفراء (٣) ·

نظر الله أعظما دفنوها
بسجستان طلحة الطلحات

ومن الانتظار قول الشاعر :

وجوه يوم بدر ناظرت
الى الرحمن تؤذن بالفلاح

وقول الآخر :

فان يك صدر هذا اليوم ولى
فان غدا لناظره قريب

يرد لمنتظره : ومن هذا القبيل قول شاعر آخر :

كل الخلائق ينظرون سجاله
نظر الحجيج الى طلوع هلال

(١) فتح القدير للشوكانى الجزء الخامس ص ٣٣٨
(٢) سورة محمد من آية رقم (١٨) ·
(٣) الكشف والبيان الجزء الاول ص ١٥٧

تقديره : ينتظرون سجاله ٠

وقــال آخــر :

وكنــــا ناظـــــريك بكـــل فـــج
كمـــا للغيـــــث ينتظـــــر الغمـــاما

وقال امرىء القيس :

وقدنظـــــــــرتكم أعـــــشى بخامســـــة
للــورد طـال بهـــا حـــبى وتبســـاسى

أى أنتظرتكم ـ والتبساس معناه الشوق الشديد ٠

اذا فقد اثبتت الأدلة العقلية والنقلية على صحة ما ذهبنا اليه ٠

ـ ومن الادلة قوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (١) ، قالوا : الحسنى هى الجنة ، والزيادة هى النظر الى وجهه الكريم ٠٠

ـ وهذا خلاف الظاهر بلا دليل ، فالظاهر أن الزيادة أقل من المزيد عليه ، ورؤية الله تعالى برزعمهم أكبر من الجنة ، وأعلى مقاما ٠٠ فالصحابة والتابعون فسروا تلك الزيادة بغير ما فسره هؤلاء ٠

ـ ومنها قوله تعالى « الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم » (٢) ٠

ـ ( قالوا ) فلقاء ربهم هو رؤيتهم له ـ ( قلنا ) : لا نسلم بذلك ، لان اطلاق اللقاء على نفس الرؤية مجاز لا يصح الا بدليل ، ولا دليل ، ولانه لم يرد ذكر اللقاء على نفس الرؤية مجاز لا يصح الا بدليل ، ولا دليل ، ولانه لم يرد ذكر اللقاء الا فى مقام التخويف والتهويل فهو بخلاف مقام الرؤية المزعومة ، ولانه اشترك فى مقام الطائع العاصى،قال تعالى «يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه (٣)» وقال : «فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه (٤)» فيلزم اشتراك الطائع والعاصى فى الرؤية له تعالى ٠٠ القائلون بها يقولون بخصوصيتها للمؤمنين ، فيلزم تفسير اللقاء بالبعث ، لان فيه لقاء وعده ووعيده والقرائن دالة على ذلك ، فان اتيان الكتاب عن اليمين وعن الشمال ومن وراء الظهر لا يكون الا بعد البعث ٠

ـ ومنها قوله تعالى ( كلا : انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (٥) قالوا : لما حجب

(١) سورة يونس آية رقم (٢٦) ٠
(٢) سورة البقرة آية (٤٦) ٠
(٣) سورة الانشقاق آية (٦)
(٤) سورة التوبة آية (٧٧) ٠
(٥) سورة المطففين آية رقم (١٥) ٠

أعداؤه فلم يروه ، تجلى لاوليائه حتى رأوه ، ولو لم ير المؤمنون ربهم لم يصير الكافرون بالحجاب ـ وتفنيد ذلك فى غاية اليسر ، فذلك القول انما هو استدلال بمفهوم المخالفة ، وقد اختلف فى ثبوت الاستدلال به على العمليات الظنيات ، فكيف يصح الاستدلال به على الاعتقاديات القطعيات ٠٠ هذا لو سلمنا بتفسير الحجاب بما أشاروا اليه من الحجاب الحسى ، ونحن نمنع تفسيره بذلك (١) لاستلزامه أن يكون الله تعالى فى وجهة هى وراء ذلك الحجاب الحسى تعالى الله عن ذلك ٠٠ ولنا أن الحجاب حسى والمحجوب عنه هى جنته ومعنى الآية : محجوبون عن رحمته (٢) ٠

ومنها قوله تعالى ( على الارائك ينظرون ) (٣) والواقع أنه لا دلالة فى الآية على رؤية الله تعالى لعدم ذكر المنظور فيها فيفسر بالنظر الى ما أعد الله لهم من الثواب فى مستقر رحمته ٠ كما أرشد اليه قوله تعالى « واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ) (٤) ٠

ومنها ما رواه جرير بن عبد الله قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ٠ لا تضامون فى رؤيته ) (٤) وهذا خبر غير صحيح من وجوه كثيرة ٠

**أحدها :** أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن ليخبر جريرا بذلك دون الخلق ٠ لان الله تعالى يقول : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ٠ وان لم تفعل فما بلغت رسالته (٦) ٠

**ثانيها :** ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتكلم الا بوحى من ربه ٠ ولم يؤمر أن يخص بالوحى أحدا ، بل هم فى ذلك شركاء ٠

**ثالثها :** ان كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه كلهم ذلك ٠ فكتموا ما قاله لهم الا جرير ٠ أو قال لجرير دون أصحابه ٠ فقد وصفوه بترك البلاغ من الله عز وجل الى العباد كافة ٠ ومن وصفه بهذا عليه السلام فقد كفر ٠

**رابعها :** ان كان أصحابه كتموا وما بلغوا الى الناس قول النبى عليه الصلاة والسلام ٠ فقد خانوا قول الله تعالى ٠ وكتموا ما أقروا به ٠ قال عز من قائل : ( الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ) (٧) ٠

(١) السالمى : المصدر سالف الذكر ص ١٩٧ (٢) الكشاف للزمخشرى المجلد (٤) ص ٢٣٢
(٣) سورة المطففين : آية رقم ٢٣ (٤) سورة الدهر آية (٢٠) ٠
(٥) الجامع للاصول فى أحاديث الرسول الجزء الخامس ص ٤٢٢
(٦) سورة المائدة آية رقم ٦٧ (٧) سورة البقرة آية رقم ١٥٩

**خامسها** : هذا لا يليق بالصحابة وحاشاهم من الكتمان · وكيف ينبغى لجرير أن يسمع هذا الخبر من النبى صلى الله عليه وسلم · وهو كان من آخر الصحابة اسلاما وتأويل هذا الخبر عندنا ان صح : انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ·

أى : تعرفون ربكم اضطرار معرفة لا شك فيها ولا دواع تدعون الى خلافها كما أن معرفتكم بالقمر اضطرار معرفة لاشك فيها · وهذا التأويل أصح فى اللغة وأليق لصفات الله عز وجل · لان الرؤية فى اللغة على وجهين · رؤية وهى ادراك البصر وقد نفى الله عن نفسه درك البصر · ورؤية أخرى وهى معرفة القلب ومنها قوله تعالى : ( أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة ) (١) وقد جاءت أخبار تؤيد ما قلنا وتأولناه · منها ما روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : ( ان أحدا لا يرى ربه فى الدنيا ولا فى الآخرة ) (٢) ·

وزيادة على ما ذكرنا ان الاستدلال بثبوت الرؤية من حديث ( سترون ربكم ··· الخ ) باطل من وجوه :

**أولا** : أنه خبر آحاد · كما بينا ذلك بوضوح · وقد اختلف العلماء فى وجوب العمل به فضلا من افادته العلم والعقائد من العبادات العلمية ، وقد صرح هؤلاء القوم أن خبر الآحاد لا يثبت به الاعتقاد ·

**ثانيا** : ان هذا الحديث معارض لنص الكتاب : ( لا تدركه الابصار ) فهذا النص القرآنى يشمل حكما عقائديا فى الدنيا والآخرة · فليس هذا النص واردا لحكم الدنيا فقط بل هو مطلق عام · يتضمن حكما الهيا · ينفى الرؤية أبديا فى الدار الدنيا والآخرة (٣) وقد ذكرنا حديث جرير بن عبد الله · أضف الى ذلك ما رواه أبو ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرسول الله ، ( هل رأيت ربك ؟ ) فقال : نور أنى أراه ) (٤) وما روى عن الامام علي بن أبى طالب فى قوله تعالى : ( لاتدركه الابصار ) قال : لا تدركه فى الدنيا ولا فى الآخرة ) (٥) وتفسيره

(١) سورة يس آية رقم ٧٧
(٢) الكشف والبان للقلهاتى الجزء الاول ص ١٥٦ ـ ١٥٧
(٣) رؤية الله بين المثبتين والنافين للباحثة عزة محمد عبد المنعم زايد ص ٧٣ ـ ٧٤
(٤) صحيح مسلم على شرح النووى الجزء الثانى ص ١٢
(٥) الكشف والبيان الجزء الثانى ص ١٥٧ ـ ١٥٨

لقوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) قال : الى ثواب ربها ناظرة (١) ٠

**ثالثـا :** أن فيه تشبيه الرب تعالى بالقمر ليلة البدر : فيلزم المستدلين به أن يكون ربهم كالبدر مستديرا منيرا فى جهة مخصوصة ٠ ولاخفاء فى بطلانه ٠

**٣ ــ الادلة العقلية لنفى الرؤية :**

يقول العلامة السالمي : ( أعلـم أنه لو لم نذكـر دليـلا قط على نفى الـرؤية واستحالتها ٠ لاكتفينا بمقام المنع لان الأصل عدمها ٠ وعلى مثبتها الدليل ٠ وقد عرفت سقوط ماتعلق بها ٠ فبقى النفى على أصله (٢) ٠

ومع ذلك فهناك أدلة للاستدلال على نفيها واستحالتها ٠

أما الادلة العقلية : فهى تدور حول ما يحدده الامام السالمى للرؤية من شروط اذ أن لها تسع شرائط هى : سلامة الحاسة ــ وكون الشىء جائز الرؤية ــ مع حضوره للحاسة ــ ومقابلته للباصرة ــ فى جهة من الجهات ــ أو كونه فى حكم المقابلة ــ وعدم غاية الصغر ــ فان الصغير جدا لايدركه البصر قطعا ٠ وعدم غاية اللطافة بأن يكون كثيفا أى ذا لون فى الجملة وان كان ضعيفا وعدم غاية البعد وهو مختلف بحسب وضعها وعدم غاية القرب فان المبصر اذا التصق بسطح البصر بطل ادراكه بالكلية وعدم الحجاب الحائل وهو الجسم الملون المتوسط بينهما والاخير أن يكون مضيئا بذاته أو بغيره ٠٠

فاذا عرفت هذه الشرائط ظهر لك استحالتها على الله تعالى لانها لاتعقل الا فى جسم ، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض ٠٠ ومن لوازم الرؤية التميز أى التبين للناظر تبين المرئى للرائى وشخصه ٠ والله تعـالى يسـتحيل عليه هـذا اللازم ، وباستحالة اللازم يستحيل الملزوم ٠٠ كما أن لوازم الرؤية الكيف ، بمعنى الكيفية اللغوية التى هى عبارة عن حال الشىء وصفاته لانها هى اللائقة بهذا المقام ، لان من رأى الشىء عرف حاله وصفاته المرئيتين ٠٠ وكذلك فان من لوازم الرؤية تبعيض المرئى لان شعاع الباصرة اما أن يقع على جميع أجزاء المرئى ، فيصبح تبعيضه

(١) رؤية الله بين المثبتين والنافين ص ٧٤

(٢) مشارق أنوار العقول للعلامة السالمى ص ١٩٧

ضرورة ، لان ما أحيط به متبعض لا محالة ، واما أن يقع على جزء منه ، وذلك الجزء المرئى هو بعضه ، فصح تبعضه حينئذ بالفعل ٠٠ وأيضا فان من لـوازم الرؤية التميز ٠٠ أى تميز المرئى فى جهة وهو من المحال على الله تعالى ٠٠ ومن شروط الرؤية أيضا التقابل أى أن المقابلة شرط لا تصح بدونها ٠٠ وهذه المقابلة أيضا أمـر غير ممكن فى حق ذاته سبحانه وتعالى ٠

**أما الأدلة النقلية ، فعديدة (١) ٠٠ منها :**

ـ قوله تعالى ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ) (٢) وهذه الآية صريحة فى نفى الرؤية عنه ـ سبحانه وتعالى ـ لوجهين : أحدهما : أنه نفى ادراك الأبصار له تعالى مطلقا فهى نفى ادراك كل بصر له تعالى ٠

**وثانيهما :** أنه تعالى ذكر هذه الآية متمدحا بها كما تمدح بنفى الولد ، وبنفى السنة ٠ فنفى الادراك مدح له تعالى لهذه الآية وما كان مدحا له تعالى فلا يصح زواله عنـد اتصافه بهذه لآن ما كان سببا للمدح فهو كمال وهذه نقص ولا يصح أن يزول شىء من الكمالات الالهية (٣) ٠

وقوله تعالى ( ولما جاء موسى لميقاتنا ، وكلمه ربه ، قال : رب ، أرنى أنظر اليك قال : لن ترانى ٠٠ ) ـ الآية ـ ففيها أجاب الله موسى عليه السلام بانتفاء الرؤية عنه تعالى ٠٠ والاستدلال بها على نفى الرؤية من وجهين :

**أحدهما :** أنه تعالى نفاها ( بلن ) وهى لنفى الاستقبال المؤبد ، فيكون نفيها دائما فى الدنيا والآخرة ٠ لأن علماء اللغة أجمعوا على أن ( لن ) تقتضى النفى والتأبيد

**ثانيهما :** أنه تعالى نفاها عن موسى كليمه ، ومتى ما نفاها عن كليمه ، فغيره أحق بنفيها عنه ٠

(١) السالمى مشارق الانوار ـ ص ٢٠٣
(٢) سورة الانعام آية رقم ١٠٣
(٣) بهجة الانوار شرح أنوار العقول ـ الجزء الاول ص ٩١

**ثالثا : فقـه ومنهـج :**

تلك كانت احدى القضايا التى خاضت فيها المذاهب المختلفة ، وقيلت بشأنها آراء متعددة ٠٠

وكان للفقه الاباضى ، كما جلى جابر اسسه ، ووضع أصوله رأيه البارز فى هذه القضـية ٠٠

وان هذا الرأى باستدلالاته التى أوردناها لتجده فى فقه الاباضية أمرا مستقرا متداولا ، يرجع القول به الى فقهائهم الأوائل ٠٠

وهم فى آرائهم انما يستندون الى صريح الكتاب وصحيح السنة ، ويأخذون النصوص بظاهرها الواضح الجلى ٠٠ لا يتأولون الآيات المحكمة ، ويردون المتشابه الى المحكم ، ولا يرضون أن يفسروا القرآن بغير ما تدل عليه صريح آياته ٠٠ وهم فى فهمهم ــ واستدلالهم ــ بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام انما يعتنون بسلامة الاسناد ، ويقدمون حديث الجمع عن حديث الآحاد ٠٠ واذا بدا هناك تعارض بين حديث مروى ونص قرآنى أخذوا بالنص القرآنى حيث أن كتاب الله هو الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ٠٠ ثم أنهم فى أدلتهم العقلية لا يطاوعون الفروض الى غايتها ، بل يلتزمون فيها بما هو ثابت من الأحكام الشرعية ٠

وانظر فى عرضهم لهذه القضية ــ كيف كان تناول أدلة المناهضين لأرائهم لقد تناولوها دليلا من بعد دليل ، فشرحوا المقصود منه ، وبينوا الرأى بشأنه ، حتى اذا تبين فساد الاستدلال أوضحوا ذلك بجلاء ٠٠ حتى اذا ما فرغوا من ذلك مضوا الى الأدلة الاخرى الثابتة الجلية التى لا تحتمل شكا ولا تأويلا ، فأوردوها ، فى عرض مبسط ، وشرح واضح ٠٠ وبذلك كله يستبين وجه الحق ٠٠ فاذا ما استبان ٠٠ كان لهم أن ينتبهوا الى الحكم الصحيح فى هذا الشأن والى الحكم على من يخالف القول الثابت المؤيد بالقرآن وصحيح السنة ٠

وهكذا يقوم الفقه الأباضى : أصيلا ، صحيح الاسناد سليم الاستدلال ، قوى الحجج والبراهين ، يقرر الأحكام القطعية التى هى حكم الله سبحانه وتعالى دون أدنى مراء ٠

# المبحث الثاني

## انقسام الكبائر الى كفر جحود وكفر نعمة

**تمهيد :**

وهذه قضية ثانية تجد للفقه الاباضى فيها رأيا واضحا بينا ، لا يمضى على غير هدى ، وفى ذات الوقت يراعى وجه الحق ، وصحيح الاسانيد ومن ثم يكون القول فى المذهب الاباضى هو القول الذى يطمئن اليه القلب ٠

وهو ما يتفق والفهم الصحيح لما يدل عليه كتاب الله الكريم وسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ٠

ولعلنا قبل أن نمضى فى عرض رأى الاباضية فى هذا الشأن نجد من الضرورى أن نشير الى ما يأتى :ـ

ـ ان هذه التفرقة قال بها الاباضية منذ نشأتهم ٠٠ بل وعلى أساسها كان افتراقهم عن الأزارقة والصفرية وسواهم من متطرفى الخوارج ٠٠

ـ ان هذه التفرقة هى التى جعلت الاباضية يؤثرون مسلك الاعتدال ، ويتفرغون لأمور دينهم ومذهبهم ، ويقيمون ـ بالتالى ـ فقههم الذى حرصوا على نشره فى شرق وغرب :

وعلى ذلك نعرض فيما يلى لهذا التقسيم الذى قال به الاباضية :

مؤداه وأسانيده ٠٠ ثم نعرض من بعد لرد الاباضية على أصحاب المذاهب الاخرى فى هذا الشأن ٠

**أولا : الكفر قسمان :**

يرى الاباضية (١) أن الكبائر تنقسم الى كفر جحود وكفر نعمة ٠٠ أى أن الكفر ينقسم الى قسمين . كفر جحود وكفر نعمة ٠

ونوضح فيما يلى ما يدخل ـ فى مفهوم الاباضية ـ فى نطاق كل قسم منها ٠

(١) الشيخ/محمد بن يوسف اطفيش : الذهب الخالص : ص ٢٥ وما بعدها ٠
وأيضا : السالمى : مشارق الانوار : ص ٤٠٢ وما بعدها ـ والشيخ/علي بن محمد المنذرى : رسالته الصراط المستقيم ص ١٣ ـ ١٥

**١ ـ كفـر الجحود :**

والمراد بكفر الجحود هنا مطلق النفى سواء كان نفيا للصانع ككفر من جحـد وجود الصانع المختار ، أو نفيا لوحدانيته ككفر من عبد مع الله غيره ، أو نفيا لصفاته ككفر من وصف الله عز وجل بشىء من صفات غيره ، أو أنكر شيئا من كمالاته أو أنكر شيئا من أفعاله الثابتة بالبرهان القاطع كبعث الرسل ، وانزال الكتب ٠

ذلك هو كفر الجحود ، وسيأتى حكمه فيما بعد ـ والكافر هنا مشرك بالله أى أن كفره كفر شرك (١) ٠

**٢ ـ كفـر النعـم :**

وكفر النعم هو ما نشأ عن تأويل الخطأ ، كاستحلال ما حرمه الله تعالى بتأويل الخطأ من فاعله أو قائله كخلاف جميع من خالف المسلمين وما فعل انتهاكا كمقارفة شىء مما أوعد الله على فعله النكال فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ، أو عذب به أمة من الامم الماضية ٠٠ وهو قسمان :

**أحدهما** : ما فعل باستحلال ، وهو ما دان به المتدين بتأويل الخطأ ويسمى مستحلا بالتأويل ٠ أما المستحل بلا تأويل فهو مشرك ٠

**وثانيهما** : ما فعل بانتهاك ، وهو ما يفعله المتدين ، والحال أنه محرم له فى دينه أى يعتقد فى دينه أن ذلك الشىء حرام فيأتيه (٢) ٠ وقالت ( الخوارج ) بتشريك أهل الكبائر وسبيهم وغنيمة أموالهم مستدلين بقوله تعـالى : ( وان اطعتموهم انكـم لمشركون (٣) والحق أنهم مخطئون فى ذلك ونقضوا قاعدتهم بجواز توريث أهل الكبائر ومناكحتهم (٤) ٠ فكيف للكافر أن يرث المسلم ؟

وحكم المستحلين بالتأويل ـ عند الاباضية ـ أن يدعوهم الحاكم للدخول فى دين الحق ، وولاية المسلمين ، والخروج من دين الضلال ، والبراءة من أئمة الضلال ٠٠ فان أجابوا الى ذلك كان لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، وان أبوا

(١) اطفيش : الذهب الخالص ـ ص ٢٦
(٢) السالمى : مشارق انوار ـ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤
(٣) شرح مقدمة التوحيد للشيخين أبى العباس الشماخى وأبى سليمان التلاتى ص ١٥٤ ـ ١٥٥
(٤) المصدر سالف الذكر ص ١٥٥

دعاهم الى الاذعان لحكمه والتسليم له ، فان اذعنوا أجرى فيهم حكم المسلمين وأخذ الزكاة من أغنيائهم ووضعها فى فقرائهم ، وان امتنعوا من ذلك ناصبهم الحرب ، ولا يحل منهم غير دمائهم فلا تغنم أموالهم ، ولا تسبى ذراريهم ، ولا يتبع مدبرهم ، ولا يجهز على جريحهم ، الا اذا كان لهم مأوى يأوون اليه ، أو فئة ينحازون اليها ، فانه حينئذ يجهز على جريحهم ، ويتبع مدبرهم ان ظن أنهم يصلون ذلك المأوى وتلك الفئة . اما اذا ظن أنهم لا يبلغون اليها ، فحكمهم كما لو يكن لهم مأوى ، ولا فئة ، وتحل ذبائحهم ، ومناكحتهم ، وموارثتهم فى السلم والحرب .

وحكم المنتهكين كحكم هؤلاء المستحلين فى جميع ما مر الا أنهم لا يدعون الى براءة من أئمة الضلال ، فانهم يدينون بها ولا الى ولاية لأهل العدل فانها معتقدهم (١) .

وكفر النعمة ـ عند الأباضية ـ يسمى بالنفاق ، أى أن الكافر كفر نعمة يسمى منافقا ـ لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية المنافق ثلاث : اذا وعد أخلف واذا حدث كذب واذا ائتمن خان . قال القطب محمد بن يوسف رحمه الله ) التحقيق عندى أن المنافق يطلق على معنيين : أحدهما ما تقدم والثانى من اسم الشرك وانما خص المنافق (٢) والنفاق ـ عند الاباضية ـ نوعان :

**أحدهما** : التكذيب بالقلب ، مع الايمان باللسان ، وهذا النوع هو الذى نزل فيهم القرآن كقوله تعالى : ( ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ) (٣) .

**وثانيهما** : هو ارتكاب شىء من الكبائر كما يرشد اليه الحديث ..

ـ فالمنافق يطلق على من كذب بقلبه ، وآمن بلسانه ، وعلى من ارتكب شيئا من الكبائر .

### ٣ ـ حكم الكفر :

وهكذا لا يطلق اسم النفاق الا على القسم الثانى ويمنع اطلاقه على القسم الأول وهو الشرك منعا وجوبا أى لا يسمى الشرك نفاقا ولا المشرك منافقا ..

(١) السالمى : مشارق الانوار ـ ص ٤٠٤
(٢) جامع الشمل ـ ص ١٠٣
(٣) سورة النساء آية ١٤٥

وفى هذا يرون أن الأسماء على صنفين (١) :

- صنف منها مختص بأهل الطاعة الموفين بدين الله وهو مؤمن ومسلم ومهتدى ومتدين وطائع وصالح ..

- وصنف مختص بأهل الكبائر .. وهذا أيضا نوعان :

- نوع يطلق على أهل الكبائر كلهم : ضال وظالم وفاجر وعاص وكافر .

- والنوع الثانى مختص ، فلا يطلق الا على أهل صفة مخصوصة : كالمشرك فانه لا يطلق الا على صاحب الشرك . وكالمنافق فانه لا يطلق الا على صاحب النفاق ..

**الشرك :** هو مازاد فى الكفر حتى انتهى الى رد تنزيل من عند الله أو رسول من رسل الله .. واذا عرفت أن الراد للتنزيل مشرك والراد للرسل مشرك ، عرفت تماما ان منكر الصانع ومنكر بعض صفاته الواجبة له مشرك ، لانه ثبت الشرك برد شىء من أفعاله الجائزة عليه .

- وهى انزال الكتب ، وارسال الرسل - كان برد ما هو واجب فى حقه أثبت .

**وللشـرك وجـوه :**

- منها أن ينكر وجود الله سبحانه البتة - كالدهرية الزاعمة أن الاشـياء لا محدث لها . وكالقائلين بأن الخالق الطبيعة .

- ومنها أن يقيم غير الله مقامه فى الخلق والانشاء والاختـراع - كالمنانية والديصانية . الذين يزعمون أن الأشـياء تكونت من أصـلين قديمين وهما النـور والظلمـــة ..

- ومنها أن يقيم الخلق فى العبادة مقام الله كمشركي مكة .

- ومنها أن يجهل معرفة وجود الله تعالى وجميع مالا يسع جهله من وظائف التوحيد المتقدمة .

- ومنها أن يكذب الله بانكار حرف من كلامه أو نبى من أنبيائه أو رسله أو

(١) السالمى : مشارق الانوار ص ٤٠٤ - وتلك تفرقة دقيقة لتحرير المعانى وتحديد استعمالات الالفاظ .

ملائكته ، وجهله البعث والمعاد وشكه فى وجه من وجوه التوحيد وما أشبه ذلك مما لا يسـع جهلـه ٠

ـ ومنها أن يصف ربه بصفات الخلـق ومعانى النقص من الجهـل والعجز والحدوث والعدم والجور ، والظلم ، والهيئة والجسم ـ أو يصف الخلق بصفاته عز وجل من العلم والقدرة والقدم على الحقيقة والاحياء والاماتة ٠٠٠ الخ ٠

ـ ومنها أن يتقرب العبد الى الله سبحانه بمعاصيه ـ أى لا على وجه الاستحلال بالتأويل ـ ليخرج هؤلاء المتدينون فانهم يتقربون الى الله بالبراءة من أهل الحق وهى معصية ، وليسوا بذلك مشركين لتئولهم ٠

**أما الحكم بالنسبة للمشركين** فهو يختلف باختـلاف أصـنافهم ٠٠ فالمشركون أصناف (١) ٠

ـ منهم أهل كتاب ، ومنهم ليسوا أهل كتاب ٠٠ فأهل الكتاب ـ منهم اليهود والنصارى ـ وأما غير أهل الكتاب فهم المجوس والمشركون وغيرهم ٠٠ ولهم أحكام عامة لجميعهم ، وأخرى خاصة فى بعضهم دون بعض ٠

**ـ فأما أحكامهم العامة** : فمنها الحكم عليهم بأن جميعهم نجس ٠٠ ومنها أن يدعوهم الحاكم الى الدخول فى الاسلام ، فان كانوا أهل قرى ومدائن دعا كبراءهم وان كانوا أهل بادية دعاهم واحدا واحدا ـ أو دعى المنظور منهم ـ فان أبوا عن الدخول فى الاسلام ، قاتلهم الامام ، وحل غنيمة أموالهم ، وسبى ذراريهم أينما كانوا ومن أى صنف كانوا ( الا قريشا فانهم تغنم أموالهم ، ولا تسبى ذراريهم لحرمة النبى عليه الصلاة والسلام ٠

**ـ وأما أحكامهم الخاصة** : فلليهود والنصارى والصابئين والمجوس حكم يخصهم، وهو قبول الجزية منهم اذا انقادوا للجزية وتركوا الحرب ٠٠ وحكم يخص اليهود والنصارى والصابئين (٢) دون المجوس ، وهو انهم اذا أدوا الجزية حلت ذبائحهم

(١) السالمى : مشارق الانوار ص ٤٠٦ وأيضا الذهب الخالص اطفيش ص ٦٢ ـ ٦٨

(٢) الصابئون ( على القول الراجح ) هم قوم اختاروا مطائب التوراة ومطائب الانجيل وقالوا : قد أصبنا دينا ٠

ونكاح الحرائر من نسائهم ٠٠ وللمجوس حكم خاص يخصهم مع المشركين من العرب وهو تحريم ذبائحهم ونكاح نسائهم ٠

وأما الحكم الخاص بمشركى العرب من أهل الأوثان فهو أنه لا تقبل منهم جزية ولا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وانما يقاتلون ويناصبون الحرب حتى يسلموا ٠

**ثانيا : الرد على القائلين عكس ذلك :**

وعلى ذلك ، فان الاباضية يتميزون فى هذه الأحكام ٠٠ وان كانوا يتفقون مع بعض المذاهب فى ناحية أو أخرى ٠

ولعل توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف مع المذاهب الاخرى تقتضى منا شيئا من التفصيل :

ـ ينفى الاباضية بحصرهم الكبائر فى ذينك القسمين : أعنى كفر الجحود وكفر النعمة ـ القول بالمنزلة بين المنزلتين ٠٠ أى منزلة عندهم بين منزلتى الايمان والكفر ٠٠ لان المكلف اما مؤمن واما كافر ٠٠

ـ ويقول المعتزلة ان فاعل الكبيرة التى هى ليست بشرك لا يسمى كافرا لكن يخص باسم الفاسق ، فالفسق عندهم منزلة بين منزلتى الايمان والكفر ٠٠ وفى ذلك يقول المعتزلة: انا رأينا أحكام الفاسق فى الدنيا موافقة لأحكام المؤمن من جواز مناكحته وموارثته وذبائحه ودفنه فى مقابر المؤمنين ٠ وأحكامه فى الآخرة موافقة لأحكام الكافر أى المشرك من ادخاله النار وتخليده فيها ٠

وعلى ذلك فالخلاف بين الاباضية والمعتزلة هو خلاف لفظى ٠٠ وبيانه (١) : أن فاعل الكبيرة من غير الشرك لا يسمى مؤمنا ولا كافرا عندهم بل يخص باسم الفاسق لقصرهم اسم الكافر على المشرك ٠٠ أما الاباضية فيطلقون عليه اسم الكافر دون المؤمن لعموم الكفر عندهم للفاسق والمشرك ٠

ـ وقد ذهب الأزارقة الى أن المعاصى كلها كفر وشرك مستدلين بقوله تعالى ( ومن يشرك بالله ، فقد ضل ضلالا بعيدا ) ٠٠ والضلال البعيد ـ عند الأزارقة هو الشرك (٢) ٠٠ ويرى الاباضية أن عموم الآية مخصوص بقوله تعالى : « ان تجتنبوا

(١) السالمى : مشارق أنوار العقول ص ٣٩٨ بشىء من التصرف ٠

(٢) نقول : وتلك كانت قضية الخلاف الكبرى التى فرقت بين القعدة والازارقة عند أول خلاف ٠

كبائر ما تنهون عنه ، نكفر عنكم سيئاتكم ، فمجتنب الكبائر غير ضال ضلالا بعيدا وان أتى الصغيرة أيضا ، فلا نسلم أن الضلال البعيد مقصور على الشرك بل يطلق عليه ، وعلى النفاق أيضا ۰۰

ـ **وقالت النجدية :** أن الكبائر كلها شرك ، وأما الصغائر فلا ۰ مستدلين على ذلك بأشـياء :

ـ **أحدها** : قوله تعالى للمؤمنين لمن جادلهم من الكفار فى تحليل الميتة : وان أطعمتموهم انكم لمشركون (١) ۰۰

**والحقيقة :** أن معنى الآية : وان أطعمتموهم فى استحلال الميتة ، لا فى أكلهم ۰۰ ولا شك أن المستحل لما حرم الله مجاهرة مشرك ۰

ـ **وثانيهما :** قوله تعالى : وأما من أوتى كتابه بشماله (١) فيقول : ياليتنى لم أوت كتابيه ۰۰ الى قوله تعالى : انه كان لا يؤمن بالله العظيم والفاسق لا يؤتى كتابه بيمينه وهو ظاهر بل بشماله ـ اذ لا ثالث ـ فيكون كأى مشرك ۰

**والحقيقة :** أن قوله كان لا يؤمن بالله العظيم ليس عاما لكل من يؤتى كتابه بشماله ، لان فساق أهل القبلة مصدقون بالله فلا يندرجون فى قوله تعالى « لا يؤمن »۰

**وثالثها** : الفاسق ظالم لغيره ، أو لنفسـه ، وكل ظالم كافـر ۰ قال تعالى : أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافـرون ) (٣) ۰

ودحض هذا القول يأتى من أنه يلزم مما ذكر تشريك الأنبياء حيث اعترف بظلمهم ـ فالله سبحانه وتعالى يقول : ( قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ) (٤) وقال حكاية عن موسى : « انى ظلمت نفسى » (٥) وقال حكاية عن يونس : « انى كنت من الظالمين » (٦) ان ما ذكر بعد ( الظالمين ) صفة مخصصة فلا يلزم تشريك كل ظالم ۰

(١) سورة الانعام آية (٢)
(٢) سورة الحاقة آية ٢٥ وما بعدها ۰
(٣) سورة الاعراف آية ٤٤ ـ ٤٥
(٤) سورةالأعرافآية ٢٣
(٥) سورة القصص آية ١٦
(٦) سورة الانبياء آية ٨٧

**ورابعها :** قوله تعالى : وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) (١) فانه يدل على أن الفاسق مشرك ٠

والرد على ذلك ليس قوله ( وأما الذين فسقوا ) باقيا على عمومه الظاهر لأنه يقتضى أن كل فاسق مكذب بيوم القيامة وأنه باطل قطعا ٠

ـ وذهبت المرجئة الى أن فاعل الكبيرة مؤمن ، واستدلوا بأدلة عديدة ٠٠ لانهم قالوا ان الايمان هو التلفظ بالشهادتين وان لم يكن معه قصد واستدلوا بأن النبى عليه الصلاة والسلام والصحابة والتابعين كانوا يكتفون مع من اسلم بالتلفظ بالشهادتين من غير أن ينتظروا بهم الأعمال ٠٠

وهذا باطل ٠ لأن الايمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالاركان

**الخلاصة :**

ومما تقدم كله ننتهى الى أن الاباضية يتركون الأخذ بالقول ان الكفر شرك لا غير ولا يجدون ما يجب عليهم الأخذ بذلك ، لان ما ورد فى الكتاب والسنة وآثار السلف على خلافه ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول « وهل نجازى الا الكفور (٢) » وقد عرفوا أن الله يجازى من مات على كبيرة من الموحدين ، وعرفوا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قاتل عمار وسالبه فى النار ، والله يقول ( وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (٣) ) ، وعرفوا أنه لم تقتله الا فئة معاوية وهم ليسوا بمشركين ٠٠ وقال تعالى ( ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (٤) أى من ترك الحج ٠٠ وقد حكم الامام علي بن أبي طالب ومن معه من المسلمين بكفر من حكم بخلاف كتاب الله من الموحدين ٠٠

(١) سورة السجدة آية (٢٠)
(٢) سورة الانبياء آية ٨٧
(٣) سورة البقرة آية (٢٤)
(٤) سورة آل عمران آية ٩٧

وعلى ذلك من الكفر ما هو ليس بشرك ، وهو كفر ارتكاب كبيرة غير الشرك لاننا اذا حكمنا كذلك ، لزم علينا بأن نحكم بأن هؤلاء الموحدين مشركون ، اذ قد صح تكفيرهم ، مع أنه لم يحكم بحكم الشرك فى الكتاب ولا السنة ولا فى قول السلف ، بل ورد لهم فيها أحكام خاصة ، كقوله تعالى ( فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله (١) ) ٠٠ الى غير ذلك على اختلاف الكبائر التى كفروا بها خلاف ما للمشركين من الحكم بالقتل والسبى والجزية (٢) ٠

## المبحث الثالث

## الشفاعة لغة واصطلاحا

الشفاعة لغة : الوسيلة والطلب ٠ وعرفا : سؤال الخير من الغير للغير ٠ وشرعا : طلب تعجيل دخول الجنة ٠ أو زيادة درجة من الرب عز وجل لعباده المؤمنين ٠ فتكون للانبياء وغيرهم ٠ ويختص نبينا عليه السلام منها بخصلة هى ٠ تقدمه اليها قبل كل شافع ٠ فلا يفتح بابها الا له (٣) ٠

يجب الايمان بالشفاعة ٠ بعد قيام الحجة ٠ وقبل دخول أحد الفريقين مقره الأخير ٠ فأول من يشفع هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ ثم الانبياء من بعده وثبوتها للمؤمن فقط ٠ لا لغيره من أهل الكبائر ٠ الذين ماتوا على غير توبة ٠ لقوله سبحانه : ( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ) ٠ (٤)

ولقوله صلى الله عليه وسلم : لاتنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى ) وقوله : ( ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتى ) ٠ ولذلك من مات على كبيرة من الكبائر ولم يتب منها ٠ فلا تحق له الشفاعة ٠ وفى الاثر ٠ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد على المنبر ٠ ثم قال : الصلاة جامعة ٠ رحمكم الله ٠ ثم قال : يا عباس عم رسول الله ٠ ويافاطمة بنت محمد ٠ ويا آل محمد جميعا ٠ انى والذى نفسى بيده ٠

(١) سورة الحجرات آية ٩

(٢) السالمى : دشارق أنوار العقول ص ٣٣١

(٣) الشيخ المنذرى : الصراط المستقيم ص ١٣ ـ ١٥

(٤) سورة غافر آية ١٨

عند ربي لمطاع مكين · فلا تغرن أحدا نفسه ·· يقول : أنا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم · أو تقول بنت محمد · أو من آل محمد · اشتروا أنفسكم من الله · فانكم ان لم تفعلوا هلكتم · مع من عرفتم هلاكه · انى على الحوض يوم القيامة فارط ( أى متقدم ) فيرد علي اناس من أصحابى · ثم يأتينى رجل عرفته من أصحابى · ليحتنقن نقرة رأسه · ثم لاخذ بحجزته · فأقول أرسلوه · انه من أصحابى · فليؤخذ بيدى فكاكا · أرسل أرسل · فانه والله ما مشى من بعدك قدما · ولكنه مشى القهقرى · ليدخل جهنم · فلا أستطيع شيئا · الحذر الحذر يا آل محمد ·

ويتسائل العلامة السالمي فى كتابه ( شرح أنوار العقول ) فيقول : فان قيل ( المؤمنون مستوجبون للجنة بأعمالهم · فلا معنى للشفاعة لهم ) فالجواب ( ان الشفاعة لهم هى طلب تنقلهم من المحشر · ودخولهم الجنة بسرعة ) (١) ·

ومن الأدلة النقلية على خلود صاحب الكبيرة فى النار ان مات على غير توبة قوله سبحانه : ( ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا (٢)

وأعترض بأن المراد · من عصى الله ورسوله فى التوحيد وأجيب بأن اللفظ عام ولا مخصص · وقوله تعالى : ( بلى · من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) (٣) · ( واعترض ) بأنا لا نسلم أن صاحب الكبيرة أحاطت به خطيئة من كل جانب · لان له حسنات · لا يظلم اياها ( ويجاب ) بأنه أحبط حسناته باصراره على الكبيرة · فلا يظلم شيئا · لأن الله قد أخبر· ( انما يتقبل الله من المتقين ) (٤) ·

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم لبنى عبد المطلب : ( ان الله أمرنى أن أنذركم · أى بقوله : ( وأنذر عشيرتك الاقربين ) الا أنى لا أغنى عنكم من الله شيئا · ألا وان أولئك منكم المتقون ) فاذا تركنا القول بالشفاعة لأهل الكبائر لهذه الادلة الصحيحة من الكتاب والسنة · لانه صلى الله عليه وسلم أمرنا باتباعه وهو يقول :

(١) بهجة الانوار على شرح أنوار العقول فى التوحيد · الجزء الاول ص ١٢٣ ـ ١٢٤
(٢) سورة الجن آية ٢٣
(٣) سورة البقرة آية ٨١
(٤) مشارق أنوار العقول ص ٢٩٤

( اذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله · فما وافقه فهو عنى · وما خالفه فليس عنى ) فرأينا القول بالشفاعة للذين ماتوا على غير توبة مخالفا للكتاب والاخبار الصحيحة لان الاتيان بكلمة التوحيد · لا يغنى عن القيام بالواجبات · والاجتناب عن المنهيات · فالحق سبحانه وتعالى يقول : ( والعصر ان الانسان لفى خسر · الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) · (١) والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : الايمان والعمل أخوان شريكان فى قرن لا يقبل الله أحدهما الا بصاحبه ) · (٢)

ومن الآيات التى تدل على أن صاحب الكبيرة مخلد فى النار إن لم يتب · قوله تعالى : ( ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم · يصلونها يوم الدين · وما هم عنها بغائبين ) (٣) فلو كانوا يخرجون منها · لزم أن يغيبوا عنها · والفجور شامل للشرك وغيره · ولعله يقال : بأن المراد بالفجار هنا · هم الكاملون فى الفجور كما فى أولئك هم الكفرة ويجاب بأنه خلاف الظاهر من غير دليل (٤) ·

ومن الأحاديث النبوية أيضا ما روى أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبى هريرة · أن النبى صلى الله عليه وسلم · خرج الى المقبرة · فقال : ( السلام عليكم دار قوم مؤمنين · انا ان شاء الله لاحقون · وددت أنى رأيت اخوانى · قالوا يا رسول الله : ألسنا باخوانك ؟ قال : بل أنتم أصحابى · وانما اخوانى الذين يأتون من بعدى · وأنا فرطهم على الحوض · قالوا : يا رسول الله · وكيف تعرف من يأتى بعدك ؟ قال : أرأيتم لو كان لرجل خيل غر محجلة فى خيل دهم بهم · ألا يعرف خيله · قالوا بلى يا رسول الله · قال : فانهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء · وأنا فرطهم على الحوض · وليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال · فأناديهم: ألا هلم ·فيقال:انهم قد بدلوا بعدك·فأقول فسحقا فسحقا ·(٥) ففى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك لهم دليل على ابعادهم من رحمة الله · وأنه لا يرق لهم ولا يشفع لهم ·

(١) سورة العصر
(٢) كتاب الصراط المستقيم للشيخ على بن محمد بن على المنذرى ص ١١
(٣) سورة الانفطار الآيات من ١٣ الى ١٦
(٤) مشارق أنوار العقول ص ٢٩٤
(٥) شرح الجامع الصحيح ـ الجزء الاول ص ٧٣ ـ ٧٤

وكم من آية وردت تذكر خلود صاحب الكبيرة ـ كقتل النفس بغير حق والزنا وغير ذلك ـ فى النار . وانما أردنا فى هذه الرسالة . أن نبين شيئا مختصرا من أن الاباضية فى معتقدهم وعملهم يسيرون على هدى كتاب الله . وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والمتتبع للحقيقة . يجد الحق واضحا أمامه فى اتجاه المذهب الأباضى وأنهم يبنون أقوالهم على أسس سليمة ومنهج قويم مستقاة تعاليمه من مصادره الأصيلة كتاب لايفنى أبد الدهر وسنة زكية.ثم ان الانسان لو حكم العقل فىقضية الشفاعة يجدأن الحق ثابت فى النفس ، جياش فى الضمير . انه لا شفاعة لمن مات على الكبيرة ولم يتب الى الله عز وجل منها . وأن لو قيل بثبوت الشفاعة لاهل النار . اذن كان لاداعى الى أن يصلى الناس الفروض . ويجتنبون المحرمات .

## المبحث الرابع

## الولاية والبراءة والوقوف

يعتقد الاباضية بوجوب :

ـ الولاية لأولياء الله ..

ـ والبراءة من أعداء الله .

ـ والوقوف فيمن لم يعلم فيه موجب الولاية ، ولا موجب البراءة ..

وهم يفرعون لذلك فروعا ويضعون أحكاما ، نوردها فيما يلى مراعين الايجاز التام .

### أولا : الولاية والبراءة وحكمهما :

#### ١ ـ بيان الولاية :

الولاية لغة هى القرب والقيام للغير بالامر والنصر والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال .. فبيننا وبين قومنا ولاية بمعنى أن كتابنا واحد ، ونبينا واحد ، وأننا

اتفقنا فى أصل الشرع ، ولا ضير بمخالفة الفروع ، وذلك بعض الولاية العامة (١) ٠٠

وعلى هذا ينبنى تعريف الولاية الشرعية ، فجميع ما ذكر هنالك من دقائق التعريف اللغوى هو موجود هنا ، لكن الولاية الشرعية شاملة لولاية العباد بعضهم لبعض ، ولولاية الله لهم ، وعلى ذلك لا يصح أن تعرف الولاية الشرعية بذلك التعريف ( اللغوى ) لانه غير جامع لها ( (٢) وذلك لان من بعض قيوده الاهتمام بمصالح الغير ، والاتصال به ، والله عز وجل يتعالى عن ذلك ـ فالتعريف المذكور خاص بولاية العباد بعضهم لبعض ـ أما ولاية الله لعباده فهى توفيقه اياهم لطاعته ، واعانتهم عليها ، ونصرته لهم على أعدائهم الذين من جملتهم أنفسهم ، وشياطينهم ٠٠

وأصل الولاية الموافقة فى الدين ، فكل من وافقك فى الدين ، فهو وليك سواء علمت بموافقته أو جهلتها ، أو برئت منه بالظاهر لحدث عرفته منه ، وهو قد تاب ، ورجع عنه ٠٠ فالملائكة ـ عليهم السلام ـ أولياؤنا لأنهم موافقوننا فى أصل الامتثال ، وكذلك أهل الطاعة من الامم السالفة ، فانه وان اختلفت الاوامر بالنظر الى اختلاف الشرائع ، فالدين عند الله الاسلام أى الانقياد لاحكامه مطلقا ٠٠

## ٢ ـ حكم الولاية :

والولاية والبراءة بالحكم الظاهر هما من أحكام دين الله فى أمر الولاية والبراءة ولا تجوز مخالفتهما فى شىء من أحكامهما والولاية والبراءة بالشريطة كافيتان للعبد مالم يمتحن بلزوم ولاية الحكم بالظاهر أو براءة الحكم بالظاهر (٣) واعلم أن مما يدين به المسلمون وهو لازم لهم الولاية لأولياء الله والحب لها والبغض لأعداء الله والبراءة منهم ، ومن أحب عبدا فى الله فكأنما أحب الله ، رفى نسخه ٠ ـ فانما أحب الله وذلك من أشرف أعمال البر وأعظمها درجة فى الجنة ٠

وانما جعل الله بيان ذلك لعباده لبعضهم من بعض بما يظهر من أعمالهم ولم يكلفهم علم ما غيبه ٠ ولعله فيما ظهر للمسلمين عنه خيرا أحبوه عليه وثبتت ولاية عنده ولو كانت سريرته قبيحة مكفرة (٤)

(١) الشيخ اطفيش : الذهب الخالص ـ ص ٣٢
(٢) السالمى : مشارق أنوار العقول ص ٣٣٧
(٣) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين الجزء للشيخ خميس بن سعيد الشقصى ج ٢ ـ ص ٦٧
(٤) الجامع للشيخ ابى جابر محمد بن جعفر الازكوى الجزء الاول ص ١٤٧

وحكم الولاية (١) الوجوب لمن اتصف بصفة الايمان ·· فولاية من اتصف بالايمان فرض واجب ثبت وجوبه بأدلة قطعية :

ـ منها قوله تعالى ( فاعلم أنه لا اله الا هو ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ) (٢) فقرن الأمر بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات بالأمر بمعرفة الوحدانية والاستغفار ثمرة الولاية ، وفى اقتران الامرين تنبيهان :

**أحدهما** : بيان وجوب الامرين ، اذ لا معنى لوجوب الامر الأول وندبية الأمر الثانى مع عدم قرينة تدل على صرفه عن حقيقته ·

**وثانيهما** : بيان وجوب الولاية على جميع المكلفين ، كما أن معرفة الوحدانية واجبة عليهم جميعا « وكفى بها دليلا لمن القى السمع وهو شهيد » (٣) ·

ـ ومنها قوله تعالى ( فبايعهن ، واستغفر لهن الله ) (٤) ففى الامر بالاستغفار لهن أمر بولايتهن ، واذا أمر النبى عليه الصلاة والسلام بأمر شمل الأمة شرعا بدليل يخصه ، ولا دليل هنا على التخصيص ·

ـ ومنها قوله تعالى ( ان الذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، والذين آووا ، ونصروا ـ أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ، ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء ، حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين ، فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير ، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير (٥) ·

والاستدلال بهذه الآية على وجوب الولاية من وجهين :ـ

**أحدهما** : قوله تعالى : ( وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ) فقد لزمهم النصر فى الدين ، والنصر فى الدين هو عين الولاية الشرعية ·

**وثانيهما** : قوله تعالى : ( الا تفعلوه تكون فتنة فى الارض وفساد كبير ) أى ان لم

(١) السيابى : حلقات المذهب الاباضى ص ١١٨
(٢) سورة محمد من آية ١٩
(٣) مشارق الانوار للسالمى ص ٣٣٩
(٤) سورة المتحنة آية ١٢
(٥) سورة الانفال آية ٧٢ وما بعدها ·

تفعلوه ما فرض عليكم من موالاة المؤمنين ومناصرتهم ومعاداة الكافرين ومباعدتهم تكن فتنة فى الأرض باستيلاء الكفار على المسلمين ، وفساد كبير بظهور الشرك على الاسلام ، وقد كلفوا درء المفاسد ما استطاعوا ، وألزموا قمع الشرك ما قدروا ، ومجاهدة الكفار ما أمكنهم ٠٠ وبايجاب ما ذكرنا ثبت وجوب الموالاة والمناصرة للمؤمنين ، والمعاداة والمباعدة للكافرين (١) ٠٠

## ٣ ـ بيان البراءة وبيان حكمها :

ومما تقدم يتضح أن مثل الولاية فى ثبوت الفريضة البراءة من الفاسقين مطلقا أى كانوا مشركين أو أهل كفر نعمة ـ فالبراءة منهم واجبة بنص الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة ٠

والبراءة لغة : هى البعد عن الشىء ، والتخلص ، يقال فلان برأ من كذا اذ بعد عنه أو تخلص منه ٠٠ وعلى ذلك تنبنى البراءة الشرعية ٠٠ فشرعها ابغض والشتم واللعن للكافر لكفره، أى لأجل كفره ، أى بسبب كفره، لا بسبب شىء آخر (٢)٠

ويدل على وجوبها آيات :

ـ منها قوله تعالى : ( قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم : انا برآء منكم ، ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده (٣) ٠

وقوله تعالى :

( لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ومن يتول ، فان الله هو الغنى الحميد ) (٤) ـ فانه تعالى أوجب التأسى بابراهيم عليه السلام والذين معه بقوله ( لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ) وبقوله : ومن يتول ، فان الله هو الغنى الحميد ) ٠

(١) السالمى : مشارق أنوار العقول ص ٣٣٩
(٢) السالمى : المصدر المذكور ص ٣٤٠
(٣) سورة الممتحنة آية (٤)
(٤) سورة الممتحنة آية (٦)

**ووجه الاستدلال الاول** : جعل التأسي لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، فمن لم يرج الله واليوم الآخر ، فلا يتأسى بابراهيم والذين معه فى هذه الصفات المذكورة ، وهو وعيد على ترك التأسي ٠

**ووجه الاستدلال الثانى** : انما هو حيث بين أنه تعالى غنى حميد عمن تولى عن التأسي بهم ، وهذا الكلام لا يرد الا فى ترك الواجبات ، كما فى قوله تعالى ( ومن كفر ، فان الله غنى عن العالمين ) ٠

ـ ومنها الآيات التى فيها ترتيب اللعن على الكفر والظلم كما فى قوله تعالى ( أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (١) ألا لعنة الله على الظالمين (٢) ونحوها من الآيات « واعلم أن الامة مجمعة على وجوب البراءة من أعداء الله جملة لكن اختلفوا فى ثبوتها تفصيلا فى الاشخاص ٠٠ فمذهب الأباضية ثبوتها فى الأشخاص مستدلين أن العلة التى لاجلها وجبت البراءة فى الجملة انما هى الاخلال بشىء من أوامر الله تعالى أو ارتكاب شىء من مناهيه ، فاذا وجدنا هذه العلة فى شخص بعينه وجب علينا أن نجرى عليه الحكم الذى أوجبته هذه العلة ، فثبت القياس قطعيا للقطع بأن علة الحكم فى الأصل هى ما ذكرنا وهى مقطوع بوجودها فى الفرع ، فثبت الحكم قطعا (٣) ٠

**ثانيا : أقسام الولاية والبراءة : (٤)**

وكل من الولاية والبراءة على أقسام ثلاثة ٠٠ نوردها فيما يلى :

**القسم الأول : ولاية الحقيقة وبراءة الحقيقة** : ولهذا طريقان

**أحدهما** : أن يرد الكتاب بما يوجب ولاية أحد أو البراءة منه ، وهذا الطريق على وجـوه :ـ

**أحدها** : من صرح باسمه ـ كالانبياء المخصوصين بأسمائهم فى الولاية ـ وكابليس وفرعون وهامان فى البراءة ٠

(١) سورة آل عمران آية ٨٧
(٢) سورة هود آية ١٨
(٣) السالمى : مشارق أنوار العقول ـ ص ٣٤٠ بشىء من التصرف ٠
(٤) السالمى المصدر المذكور ص ٣٤١ ـ ٣٤٧ وأيضا اطفيش : الذهب الخالص ص ٣٤ ـ ٥٨

**والثاني :** من كنى عنه كأم موسى وأمرأة فرعون فى الولاية وكأبى لهب فى البراءة ·

**والثالث :** من جاء مبهما لم يخص باسم ولا يكنيه كمؤمن آل فرعون ، والمذكور فى قوله تعالى ( وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ) (١) من أهل الولاية وكالذى حاج ابراهيم فى ربه من أهل البراءة ·

**الطريق الثانى :** ما نطق فيه رسول من رسل الله أن فلانا من أهل السعادة أو من أهل الشقاء ، وفيه الوجوه المتقدمة ، وشرطوا فى هذا الطريق أن يسمع السامع من لسان الرسول ذلك الكلام حين نطقه ·

**القسم الثاني : الولاية بحكم الظاهر والبراءة بحكم الظاهر** : ومحلها مكلف ظهر منه موافقة أو مخالفة دينية ·

**القسم الثالث : ولاية الجملة وبراءة الجملة :** وصورتها أن يعتقد المكلف ولاية أهل طاعة الله من الاولين والآخرين الى يوم الدين انسهم وجنهم ، وملائكتهم ، وأن يعتقد البراءة من جميع أهل معصية الله من الاولين والآخرين انسهم وجنهم الى يوم الدين ··

وهذا القسم هو الذى نعبر عنه بعقيدة الانسان وانما نعبر عنه بذلك ، لأنه لابد لكل مكلف أن يعتقده دينا ، وقسما الحقيقة والظاهر وان وجبتا ، فوجوبهما لا على عموم المكلفين ، بل على من وصل اليه علم ذلك ·

**ثالثا : الوقـوف :**

ويرى الاباضية أنه يجب الوقوف فيمن لم يعلم فيه موجب الولاية ، ولا موجب البراءة لقوله تعالى : ( ولا تقف ماليس لك به علم ) (٢) وقوله : ( قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما يطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به من سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ) (٣) ·

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ( قف عما لا تعلم ) ·

وقوله : المؤمن وقاف ، والمنافق وثاب ـ فوجوب الوقوف ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ، وله أقسام خمسة :

(١) سورة يس آية (٢٠) ·
(٢) سورة الاسراء آية (٣٦) ·
(٣) سورة الاعراف آية (٣٣) ·

**الأول :** وقوف الدين ، ومحله فى مكلف لم تعلم حاله بصلاح ولا فساد ، فانه يجب عليك الوقوف عن ولايته ، وعن البراءة منه دينا ·

**الثـانى :** وقوف الرأى ومحله فيما اذا كان لك ولي أحدث حدثا لا تدرى أنت حكمه ، فانه يجوز لك عند البعض أن تقف عنه حتى تعلم حكم حدثه ، فترده الى الولاية ان كان حدثه لم يخرجه منها ·

**الثالث :** وقوف السؤال ، وهو وقوف الرأى بعينه لكن بعض القائلين بوقوف الرأى أوجبوا على الواقف وقوف الرأى السؤال عن حكم حدث وليه ، فسموا الوقوف مـع اعتقاد السؤال عن حكم الولى وقوف سؤال ، فهو مع من قال به ملازم لوقوف الرأى ·

**الرابع :** وقوف الاشكال ، ومحله فى الوليين اذا تلاعنا أو تقاتلا ، ولم يعلم المبطل منهما من المحق فان بعض الأصحاب جوز الوقوف عنهما لما أشكل من أمرهما حتى يعلم المحق منهما ، فيتولى ، والمبطل فيبرأ منه ، وسموا هذا الوقوف وقوف اشكال ، ولا يخفى أنه نوع من وقوف الرأى ·

**الخامس :** وقوف الشك · وهو أن يقف الواقف عن ولاية جميع الناس ، فلا يتولى أحدا منهم الا من شك مثل شكه ، وهذا الوقوف محرم ، لا يجوز الأخذ به ، لما فيه من ترك ولاية المحق بعد وجوبها ، ولما فيه من الولاية لمن ترك ولاية المحق بعد وجوبها ·

## خاتمــــة

**دخل الاسلام الى عمان على عهد الرسول عليه الصــلاة والسلام فما أن وصلت الدعوة الى أهل عمان حتى دخلوا فى دين الله افواجا ·· ومنذ ذلك الوقت المبكر ، والعمانيون يتفيأون ظلال الاسلام ، وقد حسن اسلامهم ، وكانوا فى الدولة الاسلامية الجنود الذين يذودون عن الحق ويرفعون راية الاسلام ·**

ومن عمان شب فتى مسلم تميز منذ صباه بالذكاء والالمعية ، كما اتصف بالفقه والورع ، وعرف بسعة الأفق ، وعمق النظر ·· ذلكم هـو جابر ابن زيـد الأزدى العماني ·· وقد مضى الفتى الى البصرة ليزداد بدينه علما ، وبشرع الاسلام فقها ·· ومن البصرة مضى الى الحجاز حيث التقى بكبار الصحابة ، فتتلمذ عليهم ، وأخذ عنهم ، وروى فقههم وسننهم وما يحفظ الثقات منهم من أحاديث رسول الله عليـه الصلاة والسـلام ·

وأصبح جابر فى البصرة اماما وفقيها وأحد اثنين يليان أمر الفتوى فيها ··

وقد عاصر جابر اشتداد أمر الفتنة التى نبتت فى الأمة الاسلامية منذ أن رأى جماعة من المسلمين ان عثمان بن عفان قد خرج عن السنة ، وخالف الشريعة ، ورسم طريقا يختلف عما عليه الخليفتان قبله ·

وكان موقف جابر مما تلا ذلك من أحداث هو الموقف الذى يوجبه صحيح الفهم للاسلام مؤخوذا من مصادره الأصلية : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الأمة ·

وقام جابر بن زيد على رأس جماعة من المسلمين سموا أنفسهم أهل الحق والاستقامة لما رأو من مواقف الآخرين : موقف من آزر الباطل ونصره ، وموقف من عرف الحق وحاد عنه ، وكذلك موقف من تطرف بغير موجب وأحل ما حرمه الله ·· عدل جابر بجماعته عن كل هؤلاء ·· وراح يضع لهم أسس السلوك الصحيح الذى لا يرعى سوى الحق ، ولا يقوم الا على ما يأمر به الله ·

تلك اشراقة صفحة جديدة جلاها موقف الامام جابر بعد تراكم غيوم من الجهل غطى صحف المعرفة ٠

وتلك هى دعوة الاباضية ٠٠ كما اتضحت من ثنايا الصفحات السابقة ٠٠ جلى جابر بن زيد أسسها ، وبرهن أصولها ، وبين معالمها دون أن يبتغى من ذلك كله الا مرضاة وجهه تعالى ٠٠ وهل أدل على ذلك من أنه وهو زعيم وفقيه يؤثر أن يظل متخفيا غير معروف حتى جاز أن ينسب المذهب الى سواه ٠

وقد جاء من بعده تلاميذ وأتباع ، أخذوا عنه ، وتفقهوا بفقهه ، ومضوا يحملون لواء الدعوة الاسلامية الصحيحة وينشرونها فى شرق وغرب لتبقى عقيدة التوحيد نبضا حيا فى القلب وشوءان تحتضن بالصدق وتعرف بالتطبيق العملى ٠

وعلى ذلك فالاباضية ليست سوى الفهم الصحيح لكتاب المولى عز وجل والعمل المخلص بسنة رسوله المصطفى الكريم ٠٠ أو بعبارة أخرى هى العمل بالاسلام نصا وروحا ٠٠

وقد كتبت تلك الصفحات مؤملا أن أبين لقومي المسلمين فى كل الأقطار صفحة مشرقة من حياة فقيه اسلامى كبير نذر حياته فى سبيل الدعوة الاسلامية والسير على هداها والعمل بمنهجها ٠٠٠ فعساى أكون قد وفقت ـ والله ولي التوفيق ؟

**صالح أحمد سعيد الصوافي**

مسقط في : ١٩٨١/٨/٢١ م

# مقـــترحات وتوصـــيات

لا يزال كثير من المسلمين يعتقدون أن الفقه هو ما حواه فقه الأئمة الأربعة وأن ما خالف ذلك ليس من الفقه فى شىء ·

والحقيقة أن هناك اجتهادات فقهية لعلماء مسلمين على امتداد عصور الاسلام ليست أقل من اجتهاد الأئمة المعروفين وبخاصة أن باب الاجتهاد فى الاسلام ليس مقصورا على جماعة بعينهم أو فقهاء محددين معينين طالما أن الجميع يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ·

ولذا فلم يكن خروجا على الاسلام ظهور فقهاء آخرين لهم من المكانة العلمية والاجتهادات الفقهية ما لأصحاب المذاهب الأربعة المعروفة · بل ان أنصار بعضهم وأتباعهم أكثر عددا من أتباع بعض هذه المذاهب ولذا فقد عرف ( فقه الشيعة ) وانتشر فقه ( الأباضية ) بالاضافة الى فقه كثير من الفرق الاسلامية المشهورة ·

وربما تصور البعض بقصد أو بغير قصد أن ما خالف الأئمة الأربعة من الفقه لا يؤخذ به ولا يعتمد عليه ولا يحتج به ظنا منهم أن هذه الآراء الفقهية انما جاءت نتيجة تعصب لفكر معين أو للترويج لمذهب هو فى نظرهم آراءه باطلة ·

ولا شك اننا ( كمسلمين ) يجب علينا أن نكون منصفين متحرين للحقيقة باحثين عنها ، ولذا كان من الواجب على دور العلم الاسلامية وخصوصا ( كجامعة الأزهر ) بصفته قلعة للاسلام أن تدرس هذه المذاهب دراسة جادة مستوعبة وأن تأتى بمراجع المذاهب نفسها من مصادرها الأصلية حتى لا تحكم حكما جائرا ·

ولقد قدمت بعضا من فقه ( الاباضية ) من خلال كتابتى عن زعيم هذا المذهب الذى نسب فيما بعد الى أحد تلامذته · واعتقد أننى وضحت كثيرا مما غمض على كثير من المسلمين ولذا فاننى اطالب ( المؤسسات الاسلامية والعلمية عامة ) ( وجامعة الأزهر ) على وجه الخصوص بالاهتمام بدراسة المذهب الاباضى دراسة مستفيضة وتشجيع الباحثين على الكتابة فيه ودراسته دراسة مقارنة على أساس الرجوع كما قلت الى مصادره الأصلية وعدم الاعتماد على بعض ما كتبه الباحثون الذين كانت لهم اهواء خاصة وأغراض شخصية أو الذين ظلوا حين أخذوا معلوماتهم من أعداء المذهب أو الذين لم يتعمقوا فى فهمه أو اولوه وفسروه حسب فهمهم القاصر ·

وقد اشتهرت كتابات عن ( الاباضية ) لعلماء مشاهير أمثال ابن حزم والشهرستانى وغيرهما من المتقدمين ونقل عنهم كثير من المحدثين واستطيع أن أؤكد أن كثيرا مما كتبوه عن الاباضية بعيد عن الحقيقة وينافى الواقع منافاة كاملة ·

فالاباضية تستمد فقهها من الكتاب العزيز والسنة المطهرة وتتفق كثير من أراء المذاهب الاخرى مع آراء علماء الاباضية وما أحسن قول العلامة نور الدين عبد الله حميد السالمى رحمه الله الذى يقول فى منظومته كشف الحقيقة ·

نحن الاباضيين لم يشرع لنا نجل اباض مذهبا يحملنا

فنحن فى الأصل وفى الفروع على طريق السلف الرفيع

فنأخذ الحق متى نراه لو كان مبغض لنا اتاه

لذا اقترح على كليات الشريعة أن تعيد النظر فيما دون عن ( الأباضية ) وان تهتم بدراسة فقههم وأن تشجع طلاب الدراسات العليا على تسجيل الرسائل العلمية فيها فى هذا الفقه الذى خفيت ملامحه عند كثير من الناس وصور لكثير منهم أنه فقه خارجى · كما اقترح على ( كلية أصول الدين ) أن تشجع طلاب الدراسات العليا فيها بكافة أقسامها وبخاصة قسمى العقيدة والفلسفة والدعوة على كتابة الموضوعات التى ترتبط بهذا المذهب وتوضح حقيقته وكما قلت على شرط أن يطالب الباحثون بالرجوع الى المصادر الأصلية للمذهب وهى كثيرة جدا ·· وعندنا فى عمان والحمد لله لا تألوا الدولة جهدا فى مساعدة الباحثين وتسهيل مهمتهم ·

وأرجو أن أوفق فى ارسال بعض المراجع بالاضافة الى ما قدمته ( لمكتبة كلية أصول الدين ) ( وكلية الشريعة والقانون ) للتسهيل فى مثل هذا الموضوع ·

هذا وأملى فى الله كبير ثم فى ( جامعة الأزهر ) ان تتضح الحقيقة أمامها قريبا ان شاء الله ويعرف هذا المذهب ويؤخذ باراء علماءه فى كثير من أمور الدين لتتوحد الأمة وتصبح كما اراد الله لها أمة واحدة مهتدية بقوله تعالى « ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأتقون » (١) ·

وحتى تكون هذه بداية الطريق لتوحيد ( المذاهب الاسلامية ) وتجميع الناس على كلمة سواء ·

والله أسأل أن يوفق الجميع لما فيه خير الدين ونصرة الاسلام انه سميع الدعاء ·

(١) سورة المؤمنون آية (٥٢) ·

# بيان بأهم المراجع

١ ـ **الطـبرى** : تاريخ الأمم والملوك ـ دار القلم بيروت ٠

٢ ـ **ابن أبي الحديد** : شرح نهج البلاغة ـ بيروت ١٩٥٩ ـ ١٩٦٤

٣ ـ **ابن الأثـير** : الكامل فى التاريخ ـ لنـدن ١٩٦٩

٤ ـ **ابن قتيبـة** : الامامه والسياسة ـ تحقيق د٠ طه محمد الزينى نشر مؤسسة الحلبي

٥ ـ **الـبرادى** : الجواهر المنتقاه ـ القاهرة ١٨٨٤

٦ ـ **الجـاحظ** : البيـان والتبيين ـ القاهـرة ١٩٢٧

٧ ـ **الربيع بن حبيب** : الجامع الصحيح ( شرح الامام نور الدين السالمي ١٩٦٣

٨ ـ **الشـماخي** : كتاب السير ـ القاهرة ١٨٨٤

٩ ـ **أبو زهـرة** : المذاهب الاسلامية ـ جزءان ـ ط ( أولى )

١٠ـ **أطفيش** : الذهب الخالص المنوه بالقلم القالص ( محمد اطفيش ) ٠

١١ـ **الاباضية بين الفرق الاسلامية** ـ علي يحيى معمر ( مكتبة وهبه ـ القاهرة ) ٠

١٢ـ **الدرجيـني** : طبقات المشايخ بالمغرب ـ تحقيق ابراهيم طلاى

١٣ـ **القلهـاتي** : الكشف والبيان ـ ج (٢) تحقيق د٠ سيدة الكاشف ١٩٨٠

١٤ـ **السـيابي** : ازالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ـ ١٩٧٩

ـ حلقات المذهب الاباضى ـ ١٩٨٠

ـ الحقيقة والمجاز فى تاريخ الاباضية فى الحجاز

١٥ـ **الحـارثي** : العقود الفضية فى أصول الاباضية الطبعة الاولى ـ دار اليقظة

١٦ـ **السـالمي** : تحفـة الأعيان بسيرة أهل عمان ( ط : ٥ )

ـ منظومة أنوار العقول ٠

ـ بهجة الانـوار ٠

ـ مشـارق أنوار العقول ٠

١٧ـ **د٠ عمار الطالبى** : آراء الخوارج الكلامية ـ الجزائر ـ ١٩٧٨ ( ط ـ أولى )

١٨ـ **د٠ عوض خليفات** : نشأة الحركة الاباضية ٠

١٩ـ **أحمد أمين** : فجر الاسلام ـ الطبعة العاشرة ١٩٦٩

ـ ضحى الاسلام ـ الطبعة العاشرة ١٩٦٩

٢٠ـ **العقاد** : ذو النورين : عثمان بن عفان ـ ط ـ دار الكتاب العربي

٢١ـ ـ عبقرية الامام علي بن أبي طالب دار الكتاب العربى

٢٢ـ ـ معاوية بن أبي سفيان في الميزان دار الكتاب العربي

٢٣ـ **الجامع** : للشيخ أبي جابر محمد بن جعفر ـ ١ الطبعة الأولى
وزارة التراث القومي والثقافة ـ سلطنة عمان ـ مسقط ·

٢٤ـ **منهج الطالبين وبلاغ الراغبين** : للشيخ خميس بن سعيد بن علي الشقصى
الجزء الثاني ـ الطبعة الأولى
وزارة التراث القومي والثقافة ·

٢٥ـ **حصاد ندوة الدراسات العمانية** ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ المجلد الأول
وزارة التراث القومي والثقافة ·

٢٦ـ الكشاف للزمخشرى ·

٢٧ـ فتح القدير للشوكانى ·

٢٨ـ فى ظلال القرآن لسيد قطب ·

# الفهـــرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|